

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم التاريخ

الموالي و إسهاماتهم الطّبية في العصر

العبّاسي (656 . 132 هـ / 1258 . 750 م)

رسالة مقدّمة لِنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إشراف : الدكتورة

رافعي نشيدة

إعداد : الطالب

دحماني محمد

السنة الجامعية : 1434 . 1435 هـ / 2013 2014 .

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم التاريخ

الموالي و إسهاماتهم الطّبية في العصر العبّاسي

(656 . 132 هـ / 750 . 1258 م)

إشراف : الدكتورة

رافعي نشيدة

إعداد : الطالب

دحماني محمد

أعضاء لجنة المناقشة

أ د : بشار قويدر رئيساً .

د : رافعي نشيدة مقررّاً .

أ د : خالد عبد الحميد عُضواً .

د : صاحي بوعلام عُضواً .

السنة الجامعية : 1434 . 1435 هـ / 2013 2014 .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى أعلى شئٍ في حياتي " أمي الحبيبة " ؛ حفظها الله و رعاها
و أطال في عُمرها ، إلى الأخ الأكبر " عبد القادر " و أفراد أسرته
" حفيظة " و " محمد " و " درّاجي " و " مريم " و " يوسف " ، إلى
إخواني " حمزة " و " ساعد " ، إلى أخواتي " حدّة " و " زهية "
و " فتيحة " و أبنائهنّ ، إلى الزوجة العزيزة و أبنائي الأعزاء " سارة "
و " إسماعيل " و " آدم " . إلى كلّ من عرّفني و أحبّني ، إلى كلّ أحرار
العالم و أنصار القضايا العادلة في مشارق الأرض و مغاربها ، إلى
إخواني المستضعفين في البلاد الإسلامية ، إلى طلبة العلم .
أُهدي هذا العمل المتواضع .

شكر و عرفان

أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى كلّ من ساهم في إنجاز هذا البحث ؛ من قريبٍ أو من بعيدٍ ؛ و أخصّ بالذكر الأستاذة الدكتورة : " رافعي نشيدة " التي قبّلت الإشراف على هذا العمل ؛ و لم تبخل عليّ بنصائحها و إرشاداتها القيّمة ؛ التي أفادتني كثيراً ؛ خاصةً من الناحية المنهجية ؛ و في هذا الصدد ؛ لا يسعُنِي إلاّ التنويه بِخِصَالِهَا الْعَالِيَةِ ، و تواضعها الكبير في تعاملها مع الطلبة كما أشكر الشيخ المحترم ، و الأستاذ الفاضل ؛ إمام مسجد الأُمَّة ببولوجين " حمدان سفّاج " و الأستاذة " العمري سهيلة " ؛ اللذان قاما بمراجعة البحث و تصحيح ما يحتويه من الأخطاء اللّغوية و الإملائية ، كما لا أنسى توجيهات زميلي في الدراسة " طارق بن زاوي " ؛ و نصائح زملائي في مرحلة الماجستير " فاتح " ، " هشام " ، " طاهر " ، " عزّ الدين " ، " امبارك " ، " عبد العزيز " ، " باحماني " ، " كريم حسينة " ، " تسعديت " .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، و صلّ اللهم و سلّم على سيّدنا محمّدٍ ، و على آله و صحبه ، و من استنّ بسنّته
و اهتدى بهديه إلى يوم الدين ؛ أدّى الأمانة ، و بلّغ الرّسالة ، و نصّح الأُمّة ، و كَشَفَ العُمّة ، و تَرَكْنَا على المحبّة
البيضاء ؛ ليأها كنهاريها ، لا يزيغ عنها إلّا هالكٌ خاسر ، أمّا بعد :

لقد حاولتُ في هذا العمل ؛ أن أتطرّق إلى موضوع العلوم الطّبيّة في الحضارة الإسلاميّة ؛ و هو في حقيقة
الأمر واحدٌ من أهمّ العلوم العقليّة ؛ التي أبداع فيها علماء العرب و المسلمين في العصر العبّاسي ، و جانبٌ من
جوانب الحضارة الإسلاميّة في القرون الوسطى . و مهما قُلتُ حول هذا الموضوع ؛ فإنّي لا أستطيع أن أعطي
لهؤلاء حقّهم ، أو أن أُمّ بكلّ ما قدّموه للأُمّة الإسلاميّة من خدماتٍ جليلّةٍ ، و إنجازاتٍ علميّةٍ خالدةٍ .

1 - دوافع اختيار الموضوع :

إنّ دوافعٍ إختياري لهذا الموضوع ؛ أي : إسهامات الموالى الطّبيّة في العصر العبّاسي ، نابع من رغبتى في
الخوض في الجانب الحضاري للدولة الإسلاميّة في أزهى عُصورها ؛ أي العصر العبّاسي ؛ الذي يحتاج إلى المزيد من
الدراسات ، كما أردتُ الرّد على الذين يتّهمون هذا الدّين بالعنصريّة و التطرّف و التخلف و الجهل
و التأكيد على تأثير و فضل الحضارة الإسلاميّة على الغرب المسيحي في مختلف العلوم ؛ لاسيما العلوم الطّبيّة ؛ التي
أسهم فيها الموالى بنصيبٍ كبيرٍ ، و أصبحت مُنجزاتهم مفخرةً للمسلمين ، و أضحت مؤلّفاتهم مراجعٍ مهمّةٍ
للعديد من أطباء أوربا في عصر التّهضة ؛ و حتّى في الوقت الحالي ، كما أنّي أردتُ التأكيد على عظمة هذا الدّين
؛ الذي حتّ على العلم و رَفَع من شأن العلماء ؛ عَرَبِيهم و عَجَمِيهم ، و جعلهم في مصاف الأنبياء ، و دعا إلى
وحدة الصفوف و عدم التفرقة . و في هذا الصدد ؛ أردتُ أن أذكر إخواني في العالم الإسلامي ؛ بأنّ أجدادنا يوم
وحدوا كلمتهم أصبحوا أسياداً للعالم ، و تمكّنوا من بناء أعظم حضارةٍ عرفتها العصور الوسطى ؛ عكس ما نعيشه
اليوم

من تفرقة ، و إثارة للتعرات القبلية و الطائفية ، و إذكاء للصراعات المذهبية ، و نشر لثقافة الحقد و الكراهية بين أفراد الأمة الإسلامية الواحدة ؛ فحلّ الجهل بيننا محلّ العلم و الحكمة و الرّشاد ، و نسينا أنّ كلّ عزٍّ لا يُدعّمه اتّحادٌ إلى زوال و إنّ كلّ سيادةٍ لا يُؤكّدها علمٌ إلى زوال .

2 - الدراسات السابقة :

يُعدُّ هذا البحث محاولةً من ضمن محاولاتٍ سابقةٍ ؛ حاولت الكشف عن إنجازات العرب و المسلمين في ميدان الطبّ ، فمنها ما تناولت هذا العلم بصفةٍ عامّةٍ ؛ من خلال التطرّق إلى إسهامات الأطباء المسلمين عربهم و أعجمهم ، و عبر مختلف مراحل التاريخ الإسلامي ، و منها ما تناولت هذا الموضوع في إطار دراسةٍ شاملةٍ للحياة العلمية و الثقافية في دولةٍ ما ؛ من الدول التي شهدها العالم الإسلامي عبر مختلف مراحلها ، و من تلك الدراسات أيضاً ما ركّز على إختصاصٍ معيّنٍ ، أو شخصيةٍ طبّيةٍ معروفةٍ ؛ سواء كانت من العرب ، أو من الموالي أو من أهل الدّمة . أمّا الجديد في هذا البحث ؛ فهو التركيز على فئة " الموالي " دون غيرهم من العرب و سأحاول بحول الله التذكير بإسهاماتهم الطّبية في الفترة العبّاسية .

3 - إشكالية البحث :

إنّ الجديد في هذا الموضوع ؛ كما أشرتُ إليه ، هو أنّني سأحاول التذكير بفضل العلماء الموالي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في الفترة العبّاسية بشكلٍ عامٍ ، و التركيز على العلوم الطّبية و الصيدلانية بشكلٍ خاصٍ مجيباً عن عدّة تساؤلاتٍ ؛ منها : من هم الموالي ؟ و فيم تجلّى تأثيرهم السياسي و العلمي ؟ و كيف جمعوا بين الطبّ و علومٍ أخرى ؟ و من هم أشهر الأطباء الموالي ؟ و ماهي أهمّ الإختصاصات الطّبية التي برز فيها هؤلاء ؟ و كيف تعاملوا مع مرضاهم ؟ و ماهي أهمّ مؤلّفاتهم ؟ و ما مدى تأثير إسهاماتهم الطّبية على الغرب المسيحي ؟ .

4 - منهج البحث :

و قد انتهجت في هذا العمل المنهج التاريخي ؛ الوصفي و التحليلي ، أي أنني حاولت وصف الأحداث التاريخية التي تتعلق بحياة هؤلاء الأطباء الموالي ؛ من خلال ترجمة السيرة الذاتية لهم ، و تناول أهم جوانب حياتهم ، و سرد أفكارهم و آرائهم ، ثم تحليلها و مقارنتها بغيرها ، و إبراز أهميّة و قيمة إسهامات الأطباء الموالي ، و دورها فيما وصل إليه الطب الحديث .

5 - خطة البحث :

إنّ هذا العمل تمّ تقسيمه إلى أربعة أبواب ؛ تناولت في كلّ منها مايلي :

في الفصل الأوّل ؛ الذي عنوانه : **دور الموالي في الحضارة الإسلامية في العصر العباسي** ، حاولت فيه الإختصار قدر المستطاع ، لأنّه يتناول أموراً سياسية ؛ و طبيعة بحثي هذا تستدعي عدم التوسّع فيها ، و التركيز على الجانب الحضاري و العلمي ؛ و بالأخصّ العلوم الطّبيّة ؛ فقد قمتُ بتعريف موجزٍ للموالي ، ثمّ تناولتُ باختصارٍ تأثيرهم على مجريات الأحداث السياسية في العصر العباسي . و في هذا الصدد ؛ قسّمتُ هذا التأثير بين العنصرين الفارسي و التركي ؛ باعتبارهما أكثر العناصر الأعجمية تأثيراً و إحتكاراً للسلطة السياسية طيلة فترة الخلافة العباسية ؛ فاقصرتُ على ذكر بعض الوزراء و الأسر الأعجمية التي حظيت بمكانة هامّة في البلاط العباسي ؛ كأبي سلمة الخلال ، المورياني ، خالد بن برمك ، أسرة البرامكة ، أسرة بني سهل . ثمّ ذكرتُ بإيجازٍ بعض الحركات الدّينية المتمرّدة في بلاد العجم ؛ التي هدّدت إستقرار الدولة ؛ كالمقتنعية ، و البابكية ، و الزّاوندية ، و بعدها أشرتُ إلى بعض الدّول الانفصالية التي ظهرت في بلاد فارس و ما وراء النّهر ؛ كالتامانية ، و الصّقارية ، و الطّاهرية . و في الأخير تناولتُ الدول التي حكمت باسم الخلافة العباسية ؛ على غرار الدولة البويهية و السّلاجوقية . بعد هذا ؛ تطرّقتُ إلى التأثير العلمي للموالي ، و دورهم الكبير في الإزدهار الحضاري الذي شهدته الدولة العباسية ؛ و في هذا

الصدد ؛ أشرت بإيجازٍ إلى بعض العلماء الموالى الذين أبدعوا في مختلف العلوم العقلية و التقلية ؛ كعبد الله بن المقفّع بديع الزمان الهمداني ، بشار بن بُرد ، الفارابي ، عمر الخيام ، النسوي ، الطوسي ، هبة الله البغدادي ، الطبري البلاذري ، ابن الفقيه ، ابن خرداذبة ، وغيرهم .

و تحدّث في الفصل الثاني عن **دور الطبّ في الحضارة الإسلامية في العصر العبّاسي** ؛ فاستهلّته بلمحةٍ تاريخيةٍ وجيزةٍ حول الطبّ في الحضارة الإسلامية ؛ موضحاً الفرق بين الطبّ الإسلامي و الجاهلي ؛ و مستندلاً ببعض الأحاديث النبوية الصريحة ؛ التي تدعوا إلى الخوض في هذا العلم ؛ و مبيّناً المنهج الذي قام عليه الطبّ الإسلامي ، و مقارنته بغيره ، ثم تناولت تطوّر هذا العلم في العصر العبّاسي ؛ مُركّزاً على مكانة الأطباء ، ثم دخلت في صلب الموضوع ؛ أي : **أشهر الأطباء الموالى في العصر العبّاسي** ؛ إذ حاولت أن أبحث عن الأطباء الموالى الذين عاشوا في الفترة العبّاسية ؛ غير أنّي وجدتُ أنّ أغلبهم ظهروا في العصر العبّاسي الثاني و الثالث ، فقُمتُ بتناول أهمّ جوانب حياتهم ؛ مشيراً باختصارٍ إلى إنجازاتهم و مؤلّفاتهم في ميدان العلوم الطّبية . و في هذا الصدد ؛ اكتفيتُ بذكرِ اثني عشر طبيباً من الموالى ؛ الذين ظهروا في بلاد المشرق الإسلامي ؛ تاركاً المجال لغيري ؛ لمن أراد تناول شخصيات أخرى من الأطباء الموالى لم يرد ذكرها في هذا العمل ؛ بمن عاشوا في الأقاليم الإسلامية الأخرى على غرار مصر و بلاد المغرب الإسلامي و الأندلس . و هؤلاء الأطباء هم : ابن ربن الطبري ، الرّازي ، ابن سينا ، ابن أبي الأشعث ، الحسن بن سوار ، الحسن القُمري أحمد بن محمد الطبري ، ابن عبّاس الأهوازي ، ابن مسكويه ، ابن مندويه الأصفهاني ، النّجيب السمرقندي .

و خصّصتُ الفصل الثالث للحديث عن **إسهامات الأطباء الموالى في بعض الاختصاصات الطّبية ؛ كالجراحة** طبّ العيون ، الطبّ النّفسي ، طبّ الحيوان ، الصيدلة ؛ تاركاً المجال لغيري ؛ لمن أراد أن يتوسّع في هذا الموضوع و يتناول إسهامات أخرى لم يرد ذكرها في هذا البحث .

و عاجلتُ في الفصل الرابع أثر تلك الإسهامات في الغرب المسيحي ؛ محاولاً تبين فضل هؤلاء الأطباء

الموالي ، و أثر إسهامهم في الغرب المسيحي ؛ من خلال سببهم في إكتشاف العلل و الأمراض الجسدية و النفسانية التي تُصيبُ البدن ، و وضعِ معارفٍ طبيّةٍ جديدةٍ ، و إنتهاجِ طرقٍ و أساليبِ علاجٍ نادرةٍ ؛ أعطت دفعاً جديداً لهذا العلم ، و أثرت بشكلٍ واضحٍ على الغرب المسيحي ، و لا يزال بعضها مُتبعاً عند الأطباء في الوقت الحالي ، إضافةً إلى منهجهم العلمي الرّاقى ؛ القائم على التجربة و الملاحظة و الإستقصاء ، كما حاولتُ التركيز على الجانب الإنساني الذي إتبعه هؤلاء الأطباء في تعاملهم مع مرضاهم ؛ لاسيما المصابين بالأمراض العقلية و مقارنته بنظرة الغرب إلى هؤلاء ؛ و مُعاملتهم القاسية لهم . ثم تطرقتُ بعد ذلك إلى أشهر المؤلفات الطبيّة التي تركها الأطباء الموالي على غرار كتب : فردوس الحكمة ، الحاوي في الطبّ ، القانون في الطبّ ، المنصوري ، كامل الصناعة الطبيّة ، و غيرها من الكتب ؛ التي كانت بمثابة موسوعات طبيّة شاملة ، إستفاد منها كثيراً طلبة العلوم الطبيّة و الصّيدلانية في البلاد الإسلاميّة ، و تأثّر بها أطباء الغرب المسيحي ؛ الذين عكفوا على ترجمتها و الإستفادة من المعارف الطبيّة النادرة التي تحتموها .

6 - الصعوبات :

أما الصعوبات التي واجهتني في هذا العمل فتمثّلت في :
 . قلة المصادر المتخصّصة ، و صعوبة الوصول إلى العديد منها ؛ نظراً لكون أغلبها عبارة عن مخطوطات ؛ لا تزال حبيسة رُفوف المكتبات الإسلاميّة و الأوربية ، و تحتاج إلى مُراجعةٍ و شرحٍ و تعليقٍ ؛ ممّا تعذّر عليّ التوسّع أكثر في هذا الموضوع . و لحسن حظّي أيّ وجدتُ بعض المصادر المهمّة في موسوعة الطبّ الإسلامي ؛ على غرار كتاب المنصوري للزّازي ، و فردوس الحكمة لابن ربن الطبري ، و الملكي للأهوازي .

. صعوبة التوفيق بين العمل و البحث العلمي ؛ إذ أنّ طبيعة عملي كأستاذ في الطّور المتوسط تَسْتَدْعِي التفرُّغَ للتلاميذ ، و العمل طيلة أيام الأسبوع ؛ و في الفترتين الصباحية و المسائية ، فلم يُكُن لي خيارٌ سوى الإستِعاَنة بِأيّام نهاية الأسبوع ، و الأعياد الوطنية و الدّينية ، و العطل المدرسية ؛ للتقدّم في هذا العمل .

. إحتواء البحث على مصطلحاتٍ غامِضةٍ ؛ تتعلّق ببعض أصنافِ العقاقير الطّبية ، و النباتات الطبيعية ، و الأدوية المفردة و المركّبة . و رغم الإستِعاَنة ببعض المصادر المتخصّصة في ذلك ؛ فإنني لم أفلح في تعريفها ؛ ممّا جعلني أضطرّ إلى الإستِغناء عن بعضها .

7 - تقييم المصادر :

أ . المصادر المتخصّصة :

إنّ طبيعة بحثي تجعّلي أتجنّب الدخول في التفاصيل السياسية ؛ بإستثناء ماهو ضروري ، و التركيز على الجانب الحضاري ؛ لاسيّما ما يتعلّق بالجانب العلمي ؛ و بالأخصّ العلوم الطّبية ، و من أجل ذلك ؛ إعتدّت أكثر على المصادر الطّبية المتخصّصة التي تركها الأطباء الموالى . و ما لاحظتُهُ من خلال إطلاعي على هذه المصادر ؛ أنّها تشابهُ في محتواها ؛ إذ تتضمّن في مجملها وصفاً دقيقاً لأعضاء الجسم و وظائفها ، و شرحاً وافياً لمختلف العلل و الأمراض التي تُصيبُ البدن ، و طُرُق علاجها ، كما أنّها تحوي آراء و أفكار و نظريات الأقدمين من الأمم الأخرى في بعض المسائل الطّبية ؛ لاسيّما اليونانيين ؛ على غرار " جالينوس " و " بقراط " ، و بعض الأطباء الهنود ؛ ممّا يُثبِتُ الأمانة العلمية التي كان يتّصفُ بها الطبيب المسلم آنذاك . و قد إعتدّت على هذه المصادر في الفصل الثالث ؛ إذ أفادتني في تناول بعض إسهامات الأطباء الموالى ؛ و لعلّ أهمّ تلك المصادر : كتب الحاوي في الطبّ و المنصوري و المرشد أو الفصول ، و منافع الأغذية و دفع مضارّها للرّازي (ت 320 / 932)

كتاب فردوس الحكمة لعلي بن ربن الطبري (ت 232 هـ / 850 م) ، كتب القانون في الطب ، و الأدوية المفردة لابن سينا (ت 428 هـ / 1036 م) ، كتاب كامل الصناعة الطبيّة لعلي بن عبّاس الأهوازي (ت 384 هـ / 994 م) ، كما إعتمدتُ على كتبٍ أخرى لمؤلّفين آخرين ظهوروا بعد سقوط الخلافة العبّاسية ؛ مثل كتاب مُفيد العلوم و مبيد الهموم لابن الحشاء ، و كتاب تذكرة أولي الألباب و الجامع للعجب العُجاب لداوود الأنطاكي (ت 1008 هـ / 1599 م) ؛ و هُما كِتَابان يحتويان على شرحٍ مَفصّلٍ لبعض المصطلحات و الأدوية . و العقاقير الطبيّة ، و النباتات الطبيعية .

ب . كتب السِير و التراجم :

أمّا كتب السِير و التراجم ؛ فقد إعتمدتُ عليها كثيراً في الفصل الثاني ، حيث أفادتني في التعريف ببعض الأطباء الموالي ، و التطرّق إلى أهمّ جوانب حياتهم ، و تناول أهمّ إنجازاتهم الطبيّة ، و مؤلّفاتهم النفيسة التي تركوها ؛ و أهمّ تلك الكتب : كتاب عيون الأنباء في طبقات لابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ / 1269 م) ، كتاب تاريخ حكماء الإسلام لِظهير الدّين البيهقي (ت 565 هـ / 1169 م) ، كتاب الفهرست لابن النّدم (ت 385 هـ / 995 م) ، كتاب تاريخ الحكماء للقفطي (ت 646 هـ / 1248 م) ، كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت 626 هـ / 1228 م) ، كما استعنتُ ببعض كتب السِير و التراجم في الفصل الأوّل للتعريف ببعض الشّخصيات ؛ سواءً تعلّق الأمر بالخلفاء أو الوزراء أو العلماء ، من تلك المصادر : كتاب الوزراء و الكُتّاب للحهشيارى ، كتاب تاريخ الصحابة للبُستي ، كتاب وفيات الأعيان و أنباء أهل الزمان لابن خلّكان (ت 681 هـ / 1282 م) ، كتاب الإعلام بوفيات الأعلام للذّهبي (ت 748 هـ / 1347 م) ، كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي .

ج . المصادر العامة :

أما المصادر الخاصة بالتاريخ العام ؛ فقد أفادتني كثيراً في المبحث الثاني من الفصل الأول ، و بالرغم من الإختصار الشديد الذي ميّز تناوُّلي للأحداث السياسية ؛ فإنني رجعت إلى العديد منها ؛ منها : كتاب تاريخ الرسل و الملوك للطبري (ت 310 هـ / 922 م) ، و كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت 630 هـ / 1232 م) ، كتاب مروج الذهب و معادن الجواهر للمسعودي (ت 346 هـ / 957 م) ، كتاب المنتظم في تاريخ الملوك لابن الجوزي (ت 597 هـ / 1201 م) ، كتاب المستوعب لفترة المأمون لطيفور (ت 280 هـ / 893 م) ، كتاب السلوك لمعرفة الملوك للمقرئزي ، كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت 279 هـ / 892 م) ، كتاب تاريخ دولة آل سلجوق للبنداري (ت 643 هـ / 1245 م) ، و غيرها .

و فيما يتعلّق بالمصادر الجغرافية ؛ فقد اعتمدتُ عليها للتعريف ببعض المدن و الأقاليم التي وردَ ذكرها في هذا العمل ، و اكتفيتُ بكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626 هـ / 1228 م) ، و كتاب البلدان لليعقوبي (ت 284 هـ / 897 م) ، ثمّ قمتُ بإضافة معلوماتٍ أخرى حول تلك المدن و الأقاليم ؛ مستعيناً ببعض المراجع .

إضافةً إلى هذا ؛ اعتمدتُ على كتب الحديث في المبحث الأول من الفصل الثاني ؛ للإستدلال ببعض الأحاديث النبوية الشريفة ؛ التي تحثُّ على ممارسة الطبِّ و الخوض فيه ؛ و من تلك المصادر : كتاب السنن لأبي داوود و كتاب شعب الإيمان للبيهقي ، و كتاب الجامع الصحيح المختصر للبخاري (ت 257 هـ / 869 م) و كتاب الصحيح لمسلم (ت 261 هـ / 874 م) ، و كتاب شرح سنن ابن ماجه للسندي ، و كتاب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان .

الفصل الأول :

دور الموالي في الحضارة الإسلامية في العصر

العبّاسي .

أولاً . التأثير السياسي للموالي في العصر العبّاسي

1 . التعريف بالموالي

2 . تأثير العنصر الفارسي

3 . تأثير العنصر التركي

ثانياً . التأثير العلمي للموالي في العصر العبّاسي

أرسى الرسول صلى الله عليه و سلم أسس دولته ؛ القائمة على دعوة الناس كافة ، و تمكن الفاتحون من بعده من توسيع هذه الدولة ؛ فأضحت إمبراطوريةً مُترامية الأطراف ؛ وصلت حُدُودها إلى الصين شرقاً ، و بلاد المغرب و الأندلس غرباً ؛ مما فتح المجال لِدخولِ شعوبٍ و أقوامٍ و طوائف جديدة في الإسلام ، فأصبح المجتمع الإسلامي يُمثّل خليطاً من أجناسٍ مختلفةٍ في عاداتها و تقاليدها و تراثها الحضاري ، و تكوّنت بيئة اجتماعية غنيّة في أفكارها و آدابها ؛ كان لها الفضل في إنجاز أعظم حضارةٍ عرفتها العصور الوسطى .

قام المجتمع الجديد على وحدة الروابط الدّينية بدلاً من الروابط العرقية و القبليّة ؛ فكانت التقوى معياراً للتفريق بين الناس ، و تفضيل بعضهم على الآخر ؛ مصداقاً لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (1) ، كما كان للرّسالة المحمّدية و ما تحويه من قيمٍ إنسانيةٍ راقيةٍ ؛ الأثر البالغ في نفوس هؤلاء الأعاجم ، مما جعلهم يدخلون في دين الله أفواجاً ، فانصهرت تلك الشعوب و الأقوام و الطوائف في بوتقةٍ جديدةٍ هي : " الأمة الإسلامية " (2) ؛ لذلك لم يجد الفاتحون المسلمون صعوبةً في الاندماج في المجتمعات الجديدة التي شملها الفتح . و باعتبار اللّغة العربية لغة القرآن ؛ فقد دأب هؤلاء الأعاجم على تعلّمها ؛ لا لِكُونِهِمْ في حاجةٍ إليها للتخاطب فحسب ، بل لفهم القرآن و ما جاء به من قيمٍ إنسانيةٍ و حضاريةٍ راقيةٍ ؛ كانوا يفتقدونها قبل إسلامهم .

إنّ هؤلاء الأعاجم ؛ الذين أُطلق عليهم فيما بعد إسم " الموالى " ؛ لم يكتفوا بالدخول في هذا الدّين الجديد و إنّما دافعوا عنه بأنفسهم و أموالهم ، و ساهموا في نشره ؛ من خلال مشاركتهم في الفتوحات الإسلامية في الشرق و الغرب ، كما كان لهم تأثيرٌ سياسيٌّ و حضاريٌّ كبيرٌ على الدّولة الإسلامية ؛ خاصةً في العصر العباسي ، فمن هم الموالى ؟ و ما مدى تأثيرهم السياسي و الحضاري على الدّولة الإسلامية في العصر العباسي ؟

(1) سورة الحجرات ، الآية 13 .

(2) العيدروس محمد حسن : تطوّر الحياة الاجتماعية و الإقتصادية و الفكرية في العصر العباسي ، دار الكتاب الحديث القاهرة 1432 هـ /

2011 م ، ص. 11 .

أولاً : التأثير السياسي للموالى في العصر العباسي :

1 . التعريف بالموالى :

تُرجع المعاجم العربية لفظ " مولى " إلى أصلٍ واحدٍ ، و هو القرب من الوالى ؛ فالمولى هو المالك ، و العبد و المعتق ، و الصاحب ، و القريب ، و الإبن ، و العم ، و النزيل ⁽¹⁾ كما أنّ هذا اللفظ يعني : الرّب و الناصِرُ و التابع ؛ مصداقاً لقوله تعالى: { وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ، وَ فِي هَذَا لِيُكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ ، وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ، وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ، هُوَ مَوْلَاكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى ، وَ نِعْمَ النَّصِيرُ } ⁽²⁾ .

أما المؤرّخون فيعتبرون الموالى طبقة إجتماعية من ثلاث طبقات يتشكّل منها المجتمع العربي أيام الجاهلية و هي دون طبقة الصرحاء ، لكنّها أعلى من طبقة العبيد ، قوامها الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ، و فصلتهم عنها و تبرّأت منهم ؛ لجرائمهم التي ارتكبوها ، يدخل في ضمنهم الصعاليك ⁽³⁾ و المغامرون ، و كذا العتقاء ممّن كانوا في الأصل عبيداً ثمّ أُعتقوا ، كما كان لهذه الطبقة حقوق أفراد القبيلة نفسها ، و عليهم نفس الواجبات ، فالموالى حلفاءً انضمّوا إلى القبيلة ، فعزّوا بعزّها ، و امتنعوا بمنعتها ⁽⁴⁾

(1) الرازي ، محمد أبي بكر عبد القادر : مختار الصحاح ، دار القلم ، بيروت ، (د س ط) ، ص. 736 .

(2) سورة الحج ، الآية 78 .

(3) الصعاليك هم فقراء و لصوص معاً ، كانوا يعيشون جائلين في القفار و البوادي ، مُتحللين من كلّ رابطةٍ أو خُلق ، مستخفين بأيّ مبدأ أو قيمة طالبين رزقهم من الصيد و التّهب و السلب . ابن منظور (ت 711 هـ) : لسان العرب ، تعليق : علي شيري ، المجلد 7 ، دار إحياء التراث العربي بيروت 1408 هـ / 1988 م ، ص 350 ؛ محمد سعيد العشماوي : الخلافة الإسلامية ، دار سينا للنشر ، القاهرة 1992 ، ط. 2 ، ص. 55 .

(4) عبد العزيز سالم : تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية ، بيروت 1971 ، ص. 435 .

أما في العصر الإسلامي ، فقد أصبح لهذا اللفظ معنىً آخرًا ، فقد أطلقه المؤرخون ؛ تحت تأثير الأوضاع السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية التي طرأت في العصر الأموي على المسلمين من غير العرب ، و على الأخصّ الفرس و الخراسانيين ⁽¹⁾ ، أي أنّ إتساع رقعة الدولة الإسلامية ، و دخول شعوب جديدة في الإسلام أدى بالعرب إلى البحث عن إسمٍ لهؤلاء العجم ؛ يميّزهم عنهم ، فوجدوا في قوله تعالى : { أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ ، فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيكُمْ ، وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } ⁽²⁾ ، فأطلقوا عليهم لفظ " مولى " ، الذي أصبح يُمثّل رابطة إجتماعية يرتبط بها غير العربي عند دخوله للإسلام بالرّجل الذي أدخله فيه ، و بالتالي بعشيرته ، فيُصبح من واجبه التناصر و التعاون ضدّ أعدائهما ، حتّى و لو كانوا عربياً أشرافاً ، و من حقّه الحماية و المناصرة ⁽³⁾.

كان للموالى الفرس الحقّ في إختيار واليهم ، و في هذا الصدد يذكر البلاذري في كتابه (فتوح البلدان) أنّ مجموعة من الأساورة قرّرت الدّخول في الإسلام ؛ بعدما أدركت فشلها في حربها للعرب و المسلمين ، فعقدت مع أبي موسى الأشعري ⁽⁴⁾ إتفاقية ؛ يُحاربون بموجبها أعداء العرب من العجم على أن يسمح لهم بالتزول في أي

(1) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، دار الجليل ، بيروت ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1991 ، ط 13 ، ج 1 ، ص. 349 .

(2) سورة الأحزاب ، الآية 5 .

(3) أحمد الشايب : تاريخ الشعر السياسي ، دار القلم ، ط 5 ، بيروت 1987 ، ص. 266 .

(4) أبو موسى الأشعري : هو الصحابي الجليل : عبد الله بن قيس بن سلم بن حضار بن حرب ، عمل للرسول صلى الله عليه و سلّم على زيد و البصرة و ساحل اليمن ، و استعمله عمر بن الخطّاب على الكوفة و البصرة . شهد الفتنة الكبرى بين عليّ و معاوية ، و كان له دور كبير في الصلح بينها فيما يُعرف بقضية " التحكيم " ، توفي سنة 43 هـ . ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم : المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف ط. 4 ، القاهرة 1934 ، ص 266 ؛ المزي ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : بشار عوّاد معروف مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1408 هـ / 1988 ، ط. 1 ، ج 15 ، ص. 447-452 ؛ الذهبي ، الحافظ أحمد بن عثمان : الإعلام بوفيات الأعلام تحقيق : مصطفى بن علي عوض ، ربيع أبو بكر عبد الباقي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت 1413 هـ / 1993 ، ط. 1 ، مج. 2 ، ص. 32 .

بلدٍ يشاؤون ، و أن يلحقوا بشرف العطاء ، فلمّا وصلوا البصرة ، سألوها أيّ الأحياء أقرب نسباً إلى الرسول صلّى الله عليه و سلّم ؟ فقيل : بنو تميم ، فاختاروا مواليتهم ⁽¹⁾ . و هكذا دخل هؤلاء الأعاجم في الإسلام و انصهروا في بوتقة الأمة الإسلامية ، فأضحى المجتمع الإسلامي يُمثّل خليطاً من أجناسٍ مختلفةٍ في عاداتها و تقاليدها و تراثها الحضاري ؛ و هو ما أشرنا إليه سابقاً .

كانت الأمة الإسلامية في العهد الراشدي بسيطةً في تركيبها الإجتماعية ؛ فاتّسمت بالمساواة التي نادى بها الإسلام بين الناس جميعاً ؛ بغضّ النظر عن مكانتهم الإجتماعية أو انتمائهم القبلي ، لكنّ الأمويين من بعدهم تعصّبوا للعرب ، و أهملوا غيرهم من الموالى و أهل الدّمة . هذا التعصّب حمّلهم على نُصرة كلّ ناقمٍ على الخِلافة الأموية ، و لمّا آلت الخِلافة إلى بني العباس ؛ كان من البديهيّ أن يلقى الموالى ؛ لاسيما " الفرس " مكانةً هامّةً نظير تأييدهم و نُصرتهم و احتضانهم للدّعوة العباسية ؛ التي ارتكزت على العداوة للأمويين ، و الموالاتة لآل البيت و لمّا نجحت هذه الدّعوة ، و زالت دولة بني أمية ؛ أصبح هؤلاء الموالى أصحاب الدولة و حُماها ، و تبوّؤوا مكانةً هامّةً ، و ترقّوا إلى أعلى المناصب و المراتب . و بالتّالي كان لهذه الفئة الإجتماعية ؛ أي الموالى تأثيرٌ على مجريات الأحداث السياسية في العصر العباسي ، و دورٌ كبيرٌ في ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية لاسيما الجانب العلمي .

ففيما تجلّى هذا التأثير السياسي و العلمي ؟

2 . تأثير العنصر الفارسي :

كما أشرنا سابقاً ؛ كان للموالى تأثيرٌ كبيرٌ على مجريات الأحداث السياسية ، خاصّةً في العصر العباسي فبعد نجاح دعوة بني العباس ، و قيام دولتهم ، كان من الطبيعيّ أن يعتمد هؤلاء على الفرس ؛ و أهل خراسان

(1) البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر بن داود : فتوح البلدان ، تحقيق : شوقي أبو خليل ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق (سوريا)

بوجهٍ خاصٍ في تصريف شؤون دولتهم ؛ إعتراضاً منهم بفضلهم عليهم ⁽¹⁾ ، فهم الذين أيدوا الدعوة في مراحلها الأولى ، و كانوا وقود الدولة و جُندها المخلصين ، المعبرين عن إرادتها ، و المنقذين لسياستها ، فكان أبو جعفر المنصور يقول : " ... يا أهل خراسان ، أنتم شيعتنا و أنصارنا ، و أهل دعوتنا ... " ⁽²⁾ ، و حين حضرته الوفاة أوصى ولده المهدي بهم فقال : " ... و أوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك ، و شيعتك ؛ الذين بذلوا أموالهم و دماءهم في دولتك ، و من لا تخرج محبتك من قلوبهم ، أن تُحسن إليهم ، و تتجاوز عن مُسيئهم و تُكافئهم عمّا كان منهم ، و تخلف عمّن مات مات منهم في أهله و ولده ... " ⁽³⁾ ، ولذلك سلّم الخلفاء العباسيون زمام أمورهم إلى الفرس . وقد ترتّب عن هذا ؛ أن ضوعف عطاؤهم ، و نالوا من الرعاية حقّهم و تولّى القيادة فيهم رجال منهم ، وصلوا إلى مراتب السلطة و القيادة ، و نالوا من الحقوق بقدر ما كانوا يشتهون فسيطروا على الجهاز الإداري في حاضرة الخلافة ، و في الأمصار الخاضعة لها ، و غلبوا على جميع دواوين الدولة و تولّوا مناصب الولاية على البلدان ، و نالوا من الثقة الشبّي الكثير ، و زاولوا منصب الوزارة منذ فجر الدولة و كانت بأيديهم مقاليد السياسة العباسية ⁽⁴⁾ ، كما أنّ الوزراء و الكتّاب الظاهرين في العصر العباسي الأوّل من

(1) المقريري ، أحمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، ط 2 ، مطبعة لجنة التأليف و النشر ، القاهرة 1956 ص. 16 ؛ عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب . العصر العباسي الأوّل . الإسكندرية 1993 ، ص. 9 ؛ أحمد أمين : ضحى الإسلام ط 10 ، ج 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1343 / 1935 ، ص. 14 .

(2) المسعودي ، علي بن الحسين : مروج الذهب و معادن الجواهر ، تعليق قاسم وهب ، ج 2 ، دمشق 1988 ، ص. 211 .

(3) ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ط 4 ، مج. 8 ، بيروت 1415 / 1995 ، ص. 204 ؛ السيوطي ، عبد الرحمان بن أبي بكر : تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 4 ، المكتبة التجارية ، القاهرة 1969 ، ص. 251 .

(4) هاشم يحيى الملاح و آخرون : حضارة العراق ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1984 ، ص. 19 .

العناصر الفارسية ، كأبي سلمة الخلال ⁽¹⁾ ؛ الذي حضى بمكانة خاصة عند الخليفة العباسي الأول : أبي العباس السفاح (132 · 136 هـ) ، و أبي أيوب المورياني ⁽²⁾ ؛ الذي تقلد منصب الوزارة ، و فوّضت إليه شؤون الدواوين في عهد الخليفة العباسي : أبي جعفر المنصور (136 · 158 هـ) ، إضافةً إلى يعقوب بن داوود ⁽³⁾ و خالد بن برمك ⁽⁴⁾ .

(1) أبو سلمة الخلال : هو مولى الحارث بن كعب ، و قيل في نسبته ؛ أنه نُسب إلى الخَلِّ ، و قيل أنه نُسب إلى خلل السيف وهي الجفون و دُكر أنّ العرب تُسمي من يعملها : " الخلال " ، وقد كان لإبي سلمة الخلال دورٌ كبيرٌ في نجاح الدعوة العباسية ، مما جعله يحضى بمكانة خاصة عند الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح ؛ بالرغم ما حدث بينهما ، فُتل في رجب سنة 132 هـ ، بعد مكيدةٍ دبّرها له أبو مسلم الخراساني . الجهشيارى . أبي عبد الله محمد بن عبدوس : كتاب الوزراء و الكتاب ، تقدم : حسن الزين ، دار الفكر العربي ، بيروت 1988 ، ص. 56 · 60 ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، مج. 7 ، ص. 312 · 313 .

(2) أبو أيوب المورياني : هو فتي من قرية من قرى الأهواز يُقال لها : الموريان ، و اسمه سليمان بن مخلد ، قلده الخليفة الثاني أبي جعفر المنصور الوزارة ، و فوّض إليه الدواوين ، و غلب عليه غلبة شديدة ، و صرف أهله جميعاً في الأعمال حتى قالت العامة إنّه قد سحر أبا جعفر ، و لكن سرعان ما توترت العلاقة بينهما ، إذ قتل المنصور سنة 154 هـ ، و قيل أنّ السبب هو إتهام الخليفة للمورياني بقتل ابنه الذي كلفه برعايته الجهشيارى : المصدر السابق ، ص. 64 · 79 ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، مج. 8 ، ص. 177 · 178 .

(3) يعقوب بن داوود : ، تقلد الوزارة في عهد الخليفة العباسي الثالث (158 · 169 هـ) ، و حضى بمكانة خاصة ، حتى أنه حجّ مع الخليفة سنة 160 هـ ، ولما استقام أمره ، أرسل إلى الزيدية جميعاً ، فأتى بهم من كل ناحية ، و كان هذا مما عُتب عليه ، الشيء الذي جعل الخليفة يجسه ، فأقام في السجن سنتين و شهوراً ، ثم دُكر يحيى بن برمك الرشيد بأمره ، و شفع إليه فيه ، فأمره بإخراجه ، فأخرج و قد ذهب بصره ، فأحسن إليه الرشيد و ردّ إليه ماله ، و اختار المقام بمكّه فأذن له في ذلك فأقام بما حتى وافته المنية سنة 187 هـ . الجهشيارى : المصدر السابق ، ص 99 · 105 .

(4) يحيى بن خالد بن برمك : هو أحد أفراد أسرة البرامكة التي سنتطرق إليها فيما بعد ، تقلد منصب الوزارة على غرار والده " خالد " الذي قلده الخليفة العباسي الأول " أبو العباس السفاح " ديوان الخراج و ديوان الجند ، كما تولى الوزارة بعد مصرع " أبي سلمة الخلال " ، و عمل مساعداً للخليفة العباسي " المنصور " ، و قد أدى يحيى بن برمك دوراً بارزاً في تأمين ولاية العهد لهارون الرشيد في مواجهة الضغوط الكبيرة التي مارسها عليه الخليفة " الهادي " ، بهدف تنحيته و تولية ابنه " جعفر " ، و حفظ الرشيد فضل خالد بن برمك عليه ، فولاه الكتابة و النيابة عن وزرائه ، و منحه سلطات مطلقة ؛ فكانت الدواوين كلها بيده ، و استطاع يحيى " من خلال ابنه " الفضل " و " جعفر " من إدارة الدولة . الجهشيارى : المصدر السابق ص. 177 ؛ الذهبي : المصدر السابق ، مج. 4 ، ص. 350 ، 351 .

و لو تصفّحنا أسماء الوزراء الذين أشار إليهم الجهشيارى ، لتبيّننا أنّ أكثر الوزراء في العصر العباسي الأوّل كانوا من الفرس ، و قد وصل الصعود في مجال العمل السياسي بهذه العناصر إلى إحتكار نوع من السلطة السياسية يتوارثها الأبناء عن الآباء ، فتكونت بذلك أسرات ، احتكرت هذا المنصب ؛ أي " منصب الوزارة " ، و ظلّت لفترةٍ طويلةٍ محلّ احترام و ثقة الخلفاء العباسيين ؛ بالرغم من أصلها الفارسي ، ولعلّ أهمّ تلك الأسر هي : أسرة البرامكة ⁽¹⁾ ؛ التي تبوّأت مكانة خاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد ، و أسرة بني سهل ⁽²⁾ ، التي ظهرت خلال الصراع بين الأمين و المأمون .

إنّ التأثير السياسي للموالى الفرس في هذه الفترة لم يقتصر على الجانب الإداري و أمور الدولة فحسب ، بل تعدّاه إلى الحركات الدينيّة ؛ التي إنتشرت بشكلٍ واسعٍ في بلاد فارس و خراسان ، و التي إنّجّمت إنّجّماً قومياً

(1) أسرة البرامكة : تُنسب أسرة البرامكة الفارسية إلى جدّها "برمك" ، و هو لقبٌ أُطلق على سادان معبد النوبهار في مدينة " بلخ " و قد حُضيت هذه الأسرة بمكانة خاصة لدى خلفاء بني العباس ، و برز من هذه الأسرة في أوائل عهد الدولة " خالد بن برمك " و " يحيى بن خالد بن برمك " و غيرهم ممّن تقلّدوا منصب الوزارة ، و أشرفوا على الدواوين ، و ساهموا في إدارة الدولة ، و بالرغم من قَدَمه للدولة إلّا أنّ الخليفة العباسي الخامس " هارون الرشيد " (170 - 193 هـ) ، نكّب بهم سنة 187 هـ ؛ حين قتل جعفرًا ، و سجن يحيى و أبناءه ، و صادر ممتلكاتهم و أموالهم . الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 3 ، مج 4 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1411 هـ / 1991 م ، ص 657 ، 661 ؛ الجهشيارى : المصدر السابق ، ص 246 ؛ ابن ودران ، حسين بن محمد : تاريخ العباسيين أو دولة الرشيد من بني العباس و بنيه ، تحقيق : منجي الكعبي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 ، ص 72 ؛ هولو زامبارو : معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة : سيّدة إسماعيل و آخرون ، دار الرائد العربي ، بيروت 1400 هـ / 1980 م ، ص 13 ؛ جودت فرج : البرامكة : سلبياتهم و إيجابياتهم ، دار الفكر العربي ، 1990 ، ص 9-16 .

(2) أسرة بني سهل : هي أسرة فارسية ، ظهرت على مسرح الأحداث السياسية أيام الصراع الذي دار بين " الأمين " و " المأمون " بعد وفاة " هارون الرشيد " و كان لها الدور الكبير في ترجيح كفة " المأمون " ، و لما اعتلى الخلافة ، كان من الطبيعي أن يحضى أفراد هذه الأسرة بمكانة خاصة عنده . طيفور أحمد بن أبي طاهر : كتاب المستوعب لفترة خلافة المأمون ، تحقيق : هنس كلّر ، دار الجنان ، بيروت ، ص 118-125 ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، مج 10 ، ص 23 ؛ زامبارو : المرجع السابق ، ص 198 .

شعوبياً ، و إستهدفت الطعن في السيادة العربية ، و إحياء المجد الفارسي القديم ⁽¹⁾ ، كما أنهم عمدوا إلى تمجيد العنصر الفارسي ، و الحطّ من شأن العرب ، و التعصّب للعجمية أدبياً و سياسياً و إجتماعياً ⁽²⁾ . و من الحركات التي ظهرت في العصر العباسي الأول : حركة الراوندية ⁽³⁾ و المقتنية ⁽⁴⁾ ، و البابكية ⁽⁵⁾ و غيرها ، و هكذا جنح الشعوبيون الفرس إلى هذه الحركات لمحاربة الإسلام و العرب .

و بظهور العنصر التركي مع بداية العصر العباسي الثاني ، و سيطرته على مسرح الأحداث السياسية ، تراجع دور العنصر الفارسي بشكل ملحوظ ، و الذي إقتصر على تسيير الدّول الإنفصالية التي ظهرت في أقاليم مختلفة من

(1) هاشم يحي الملاح و آخرون : المرجع السابق ، ص. 21 .

(2) عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب . العصر العباسي الأول ، ج 3 ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1993 ، ص. 8 .

(3) الراوندية : قوم فيما ذكر ، كانوا من أهل خراسان ، ظهرت ثورتهم في عهد أبي جعفر المنصور ، و كان الراوندية يقولون بالتناسخ ، و ادّعوا ألوهية المنصور ، و في سنة 141 هـ أتوا قصره و جعلوا يطوفون حوله ، و يقولون : هذا قصر ربنا فقبض المنصور على رؤسائهم و سجنهم ، فغضبوا و هاجموا السجن و أخرجوا رؤسائهم منه ، و قصدوا نحو المنصور ، فخرج إليهم بنفسه ، و لحقت به جيوشه ، و قبضت عليهم . الطبري : المصدر السابق ، مج. 4 ، ص. 394 ، 395 ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، مج. 8 ، ص. 29 : 30 .

(4) المقتنية : كان زعيمهم يُعرف بالمتّع ، وقد كان رجلاً أعور ، يُقيم في إحدى قرى مرو ، ادّعى لنفسه الألوهية ، و احتجب عن الناس برقع من حرير ، و يقال إنّه إنَّخذ وجهاً من ذهب ، و استقوى الناس بالسحر ، و يُروى أنّه لمّا حوَّص من طرف جيش المهدي و أحسن بالعلبة ، تحسّى هو و نساؤه ستماً فماتوا ، و دخل المسلمون الحصن ، فقطعوا رأسه ، و أخذوه إلى المهدي . الطبري : المصدر السابق ، مج. 4 ، ص. 560 ؛

البغدادي عبد القادر بن طاهر بت محمد : الفرق بين الفرق تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا 1995 ، ص. 257 .

(5) البابكية : هم أتباع " بابك الخرمي " ، و هو رجل فارسي محوسي الأصل ، دخل في الإسلام و تسمّى الحسن ، فأراد أن يسترجع ملك فارس و دينها ، فاستعصم بالجبل المعروف بالبدين ، و في 201 هـ ، في عهد المأمون أظهر أمره ، و أعلن العصيان و في سنة 212 هـ جهّز له المأمون جيشاً بقيادة محمد بن حميد الطوسي ، لكنّه قُتل و إنهزم جيشه ، و في سنة 222 هـ تمكّن جيش المعتصم من أسر بابك الخرمي ، ثم أمر بصلبه سنة 223 هـ . الطبري : المصدر السابق ، مج. 5 ، ص. 139 ، 212 ، 234 ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ص. 267 ؛ مصطفى عبد الكريم

الخطيب : معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1416 هـ / 1997 ، ص. 62 .

بلاد فارس ، نتيجةً لِمَتَزَقِ الوحدة السياسية للدولة العباسية ، و لعلّ من أهمّ تلك الدول : الدولة الطاهرية (1) و الصفارية (2) و السامانية (3) ، و غيرها .

ساهم الخلاف و الصراع بين هاتين الحركتين الانفصالية إلى تقزيم الدور الفارسي ، و فسخ المجال أمام العنصر

التركي ، فلم يسترجع الفرس مكانتهم و تأثيرهم السياسي على الدولة العباسية إلا في بداية القرن الرابع الهجري ؛

(1) الدولة الطاهرية : (205 - 259 هـ / 820 - 873 م) : نشأت هذه الدولة في بلاد فارس بإرادة الخلافة ، أسسها طاهر بن الحسين ، أحد قادة المأمون ، الذي ولّاه خراسان عام 205 هـ ، و أضاف إليه أعمال المشرق كلّها ، من بغداد حتّى الحدود مع الهند ، و اتخذ من نيسابور عاصمةً له . راودت طاهر منذ بداية توليته نزعة انفصالية ، فأعلن تمردّه ، و قطع الدعاء للمأمون ، ثمّ طرح لبس السواد مُعلنًا بذلك انفصاله عن بغداد ، إلا أنّه توفي فجأةً ، و لم يتمكّن خلفاؤه من المحافظة على مكتسباته على الرغم من حرصهم على استمرار سياسة التعاون مع الخلافة ، ووقفوا عاجزين أمام تفاقم الحركات العلوية حتّى سقطوا أخيراً على يد الصفاريين . الطبري : المصدر السابق ، مج. 4 ، ص. 152 ؛ شاکر مصطفى : موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها ، مج. 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1993 ، ص. 428 .

(2) الدولة الصفارية : (254 - 298 هـ / 868 - 911 م) : ظهرت في بلاد فارس ، أسسها يعقوب بن الليث الصفار في عام 254 هـ ، الذي استطاع توسيع رقعة دولته ، خاصةً بعد أن قضى على الدولة الطاهرية ، فأصبحت تضم خراسان ، سجستان ، السند و مكران ، و بذلك أضحت هذه الدولة تُمثّل خطراً يُهدّد السلطة المركزية في بغداد ، و لمّا شعرت الخلافة بعجزها على القضاء على الصفاريين مالت إلى المهادنة ، و لم تفلح في ذلك إلا بعد أن أقامت حُكماً موالياً لها في إقليم ما وراء النهر بقيادة " نصر بن أحمد الساماني " ، الذي قضى على الدولة الصفارية عام 298 هـ . ابن الأثير أبو الحسن علي الشيباني : الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ج. 6 دار الكتاب العربي ، بيروت 1997 ، ص. 347 - 361 ؛ شاکر مصطفى : المرجع السابق ، مج. 1 ، ص. 437 ؛ قنسنك و آخرون : دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة : محمد ثابت الفندي و آخرون ، مج. 14 ، القاهرة 1352 هـ / 1933 م ، ص. 214 .

(3) الدولة السامانية : (261 - 389 هـ / 874 - 999 م) : ظهرت هذه الدولة في بلاد ما وراء النهر ، و امتدّت نفوذها إلى طبرستان و الريّ و سجستان ، و مناطق واسعة من بلاد فارس و خراسان ، و قد أذى السامانيون دوراً حضارياً و سياسياً بارزاً ، فامتاز عهدهم بنهضة علمية رائعة كما أنّهم دافعوا عن منطقة التغور الشرقية ، و مدّوا النفوذ الإسلامي إلى بلاد الترك ، و لم يخرجوا يوماً عن تبعية الخلافة . سقطت دولتهم على يد الغزنويين عام 389 هـ / 999 م . الطبري : المصدر نفسه ، مج. 5 ، ص. 502 ؛ القرطبي ، أحمد بن يوسف : أخبار الدول و آثار الأول تحقيق : أحمد حطيط ، مج. 2 ، عالم الكتب 1412 هـ / 1992 م ، ص. 423 - 424 ؛ زامبارو : المرجع السابق ، ص. 71 ، 72 ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مج. 11 ، ص. 76 ؛ شاکر مصطفى : المرجع السابق ، مج. 1 ، ص. 431 .

حين ظهر "بنو بويه" ⁽¹⁾ على مسرح الأحداث السياسية ، فتمكّن هؤلاء من إسترجاع المجد الفارسي الضائع في العصر العباسي الثاني (334 . 232 هـ / 945 . 847 م) ⁽²⁾ ، فكان من المتوقع أن يعيد هؤلاء الإستقرار و الوحدة إلى أقاليم الخلافة ، و يتجنّبوا إثارة الفتن المذهبية ، إلّا أنّ ذلك لم يتحقّق ؛ لأنّهم دخلوا بغداد يحملون روح العداء للخلفاء العباسيين المخالفين لهم في المذهب ⁽³⁾ ، و تجلّى ذلك من خلال عزم " معزّ الدولة " ⁽⁴⁾ ؛

⁽¹⁾ البويهون : ينتمون إلى أسرة من بلاد الديلم في الشمال ، و يُنسبون إلى " أبي شجاع بويه " ، المنتهي نسبه إلى ملوك الساسانيين ، و قد تمكّن هؤلاء من تكوين دولة قويّة ، شملت مناطق واسعة من بلاد فارس و خراسان و العراق ، و نتيجةً لضعف الدولة العباسية و انشغالها بالحركات التمردية كثورة الزنج و القرامطة ، و كذا الحركات الانفصالية في الأقاليم و قد إستعان الخليفة العباسي " المستكفي " (333 . 334 هـ) بأحمد بن بويه و طلب منه دخول بغداد سنة 334 هـ ، و بذلك دخلت الدولة العباسية في مرحلةٍ جديدةٍ ، طغى عليها النفوذ البويهي ، و أضحى الخليفة العباسي كأثمة مؤظف عند البويهيين ، أشهر من عُرف منهم : عماد الدولة ، أبو الحسن علي ، و ركن الدولة ، أبو علي الحسن و معز الدولة ، إنتهى حكمهم على يدّ طغرل بك السلجوقي سنة 447 هـ / 1055 م . إبن الأثير : المصدر السابق ، ج . 7 ، ص . 157 ، 160 ؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ، ص . 88 ؛ الزبيدي ، محمد حسين : العراق في العصر البويهي ، دارالنهضة العربية ، القاهرة ، 1969 م ، ص . 29 ، 33 ؛ أحمد راتب عرموش و آخرون : موسوعة الأديان ، ط 4 ، دار التفائس ، بيروت 1428 هـ / 2007 م ، ص . 151 .

⁽²⁾ مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد : تجارب الأمم ، طبعة أمدرود ، ج . 1 ، القاهرة 1919 ، ص . 275 ، 279 ؛ هاشم يحي الملاح : المرجع السابق ، ص . 27 ، 28 .

⁽³⁾ محمد سهيل طقّوش : التاريخ الإسلامي الوجيز ، ط 5 ، دار النفائس ، بيروت 2011 ، ص . 188 .

⁽⁴⁾ معزّ الدولة : (303 . 356 هـ / 915 . 967 م) : هو أحمد بن بويه ، فناخسرو بن تمام ، من سلالة سابور ذي الأكتاف الساساني ، أبو الحسن معزّ الدولة ، من ملوك بني بويه في العراق ، فارسي الأصل ، مستعرب ، كان في أوّل أمره يحمل الخطب على رأسه ، ثمّ ملك هو و أخواه " عماد الدين " و " ركن الدين " البلاد ، و كان أصغر منهما سنّاً ، و يُقال له الأقطع ، لأنّ يده اليسرى قُطعت في معركة مع الأكراد ، توتّى في صباه " كرمان " و " سجستان " و " الأهواز " تبعاً لإخيه عماد الدين ، ثمّ إمتلك بغداد سنة 334 هـ ؛ في خلافة المستكفي ، و دام مُلكه في العراق 22 سنة ، و توفي فيها و دُفن في مقابر قریش . و قد عُرف عنه أنّه كان سريع الغضب ، بذيع اللسان ، يُكثر سبّ وزرائه و المختشمين و يفترى عليهم . إبن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر : وفيات الأعيان و أبناء أهل الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، ج 1 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1968 ص . 56 ؛ مسكويه : المصدر السابق ، ج 6 ، ص . 146 ؛ خير الدين الزركلي : كتاب الأعلام . قاموس و تراجم لأشهر الرجال ط 15 ، ج 1 ، و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت 2002 ، ص . 105 .

بعد دخوله بغداد و سيطرته على زمام الأمور فيها في إلغاء الخلافة العباسية ، و إقامة خلافة علوية على أنقاضها و لكنّه أحجم على ذلك ؛ بعد إستشارة أصحابه لأنّ هذا التّغيير كان سيُعرّض العالم الإسلامي لهزّاتٍ عنيفةٍ ؛ من شأنها زعزعة الحكم البويهي (1) .

إنّ ما ميّز هذه الفترة هو الإستقرار السياسي الذي ساد نظام الحكم ، خاصةً فيما يتعلّق بمدّة حكم الخلفاء فقد تولى هؤلاء الحكم مدّةً طويلةً ؛ عكس ما حدث أيام النفوذ التركي ، و لكن بالرّغم هذا ، فإنّ الخليفة لم يبقَ منه سوى الإسم ، و أضحى كأنّه موظّف عند البويهيين ، يؤمّرُ فيأتمر ، و يفعل ما يُطلب منه ، و ليس له حقّ التصرف في أمور الدولة من دون إستشارتهم ، و أخذ موافقتهم .

تواصل النفوذ البويهي إلى غاية سنة 447 / 1055^{هـ} ، حين ظهر العنصر التركي من جديد ، و تمكّن " السلاجقة " (2) من إنهاء الحكم البويهي ، و استرجاع مجد الأتراك و نفوذهم ، و سيطرتهم على زمام أمور الخلافة العباسية ؛ مُستغلّين ضعف الأسرة البويهية ، و نزاع أفرادها على الحكم (3) . فكيف سيكون حال الخلافة في عهد النفوذ التركي يا تُرى ؟

3 . تأثير العنصر التركي في العصر العباسي :

(1) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج. 7 ، ص. 160 . الزبيدي : المرجع السابق ، ص. 34 ، 35 .

(2) السلاجقة : ينحدر السلاجقة من قبيلة قنق الغزيرة التركية ، و ينتسبون إلى جدّهم " سلجوق بن دقاق " ، و هو أول من اعتنق الإسلام من أفراد عائلته و كانت منازلهم في الصحراء الواسعة الممتدة من الصين إلى شواطئ بحر الخزر ، نزحوا من موطنهم إلى بلاد ما وراء النهر ، ثم إلى خراسان أين أسسوا دولتهم ، بعد إنتصارهم على حساب الغزنويين سنة 431^{هـ} ، وواصلوا زحفهم نحو بلاد فارس و العراق ، و تمكّنوا من دخول بغداد و القضاء على الحكم البويهي سنة 447^{هـ} ؛ و بذلك دخلت الدولة العباسية في عهدٍ جديدٍ تحت النفوذ التركي ، الذي استمرّ إلى غاية سقوط الدولة . أشتهر السلاجقة بقتالهم للصليبيين ، و من أشهر ملوكهم " ألب أرسلان " الذي إنتصر على البنظيين في معركة " ملاذكرد " عام 463 / 1087^{هـ} .

إبن الأثير ، المصدر السابق ، ج. 8 ، ص. 125 ، 126 . البنداري ، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ط 3 دار الآفاق الجديد ، بيروت ، 1980 ، ص. 55 ؛ أحمد راتب عرموش : المرجع السابق ، ص. 303 .

(3) إبن الأثير : المصدر السابق ، ج. 8 ، ص. 125 ، 126 .

ظهر العنصر التركي على مسرح الأحداث السياسية أيام الخليفة العباسي " المعتصم " (218 - 227 هـ)

في ظلّ ظروفٍ صعبةٍ عاشتها الدولة العباسية ⁽¹⁾ ، نتيجةً لإشتداد النّزاع بين العرب و الفرس ، و اختلاف التوازنات بين العناصر التي تكوّنت منها الدولة ، ذلك أنّ الخليفة لم يركنْ إلى العنصر العربيّ نتيجةً لتمرّده ، و قيامه ضدّ الخلفاء ، كما ضعفت ثقته بالعنصر الفارسي ؛ الذي إتّضحت نواياه في التأمّر على الخلافة ، و الرّغبة في إسترجاع أجداد الدولة الفارسية القديمة ، فحملت هذه المعطيات الخليفة المعتصم ، على أن يوكل سلامته الشخصية إلى فرقةٍ من العنصر التركي ، و بالتّالي قضى على الطابع العربيّ في الجيش؛ فسرح العرب ، و محاسنهم من ديوان الجند ، و أحلّ محلّهم جنوداً من الأتراك ؛ كان قد جلبهم من أقاليم بلاد ما وراء النهر ⁽²⁾ ، إمّا عن طريق النخاسة أو الأسر في الحروب ؛ إذ كان يأتي بهم أطفالاً ، و يتولّى تربيتهم و تدريبهم على الحروب و القتال ؛ و قد تربّى على حبّهم في أحضان أمّه التركية ⁽³⁾ ، فمكّن لهم في الأرض ، و خصّهم بالنّفوذ ، و قلّدهم قيادة الجيوش و أسكنهم مدينة " سامراء " ⁽⁴⁾ ؛ التي بناها لهم ، ممّا سيكون له الأثر في مستقبل هؤلاء و مستقبل الدولة

(1) العيدروس : المرجع السابق ، ص. 14 .

(2) بلاد ما وراء النهر : هي البلاد الواقعة ما وراء نهر جيحون إلى الشّرق . الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي : معجم البلدان ، ط 2 ، مج. 2 ، دار صادر ، بيروت ، 1995 ، ص. 45 .

(3) عبد السلام الترميني : أحداث التاريخ الإسلامي ، ج. 2 ، دار طلاس ، دمشق 1411 هـ / 1991 ، ص. 62 .

(4) سامراء : أو سُرّ من رأى : وهي المدينة الثانية من مدن خلفاء بني هاشم ، بناها الخليفة العباسي المعتصم ، وسكنها من بعده سبعة خلفاء و هم : الواثق ، المتوكّل ، المنتصر ، المستعين ، المعتزّ ، و المهدي . كانت سامراء قبل بنائها صحراء لا عمارة فيها ، و كان بها دير للنصارى ، فلما قديم المعتصم بغداد في السنة التي بُويع فيها ؛ و هي ثمان عشرة و مائتين ، نزل دار المأمون ، ثمّ بنى داراً في الجانب الشرقي من بغداد ، و إنتقل إليها و أقام فيها ثلاث سنوات ، و معه خلق من الأتراك فلما اشتدّ آذاهم في بغداد ، عزم المعتصم على بناء مدينة جديدة لهم ، فاختار لهم المكان و سمّاها سامراء أو سُرّ من رأى . اليعقوبي : البلدان ، ص. 14 ، 15 ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مج. 11 ، ص 84 .

العبّاسية (1) ، فانتقلت بذلك الخلافة من "بغداد" إلى "سامراء" ؛ التي أضحت مقرّاً للعصبية التركية الجديدة و أصبح الخليفة خاضعاً لقوّاته التركية الجديدة (2) ، التي سرعان ما أدركت الوضع ، و بدأ هؤلاء الأتراك يتجهون إلى تكوين كيانات خاصة بهم ، و يطمعون في الإستئثار بالحكم ، فكان لهم ما أرادوا ، إذ أحكموا قبضتهم على أجهزة الدولة .

إنّ المتتبع للتاريخ السياسي للدولة العبّاسية خلال النفوذ التركي يدرك حجم المؤامرة التي تعرّضت لها الخلافة من هؤلاء ، فبدأ الإنحلال يتسرّب إلى جسمها بفعل إزدياد نفوذهم ، فتقلّصت رقعة الدولة ، و اقتصر حكم الخلفاء على العراق و بعض مناطق فارس و الأهواز (3) ، و تنامت الحركات الانفصالية في الأقاليم ، و تولّت هذه الدول الانفصالية مسؤولية الدفاع عن العالم الإسلامي ، كلّ في ناحيتها ، و تبقى منطقة الثّعور كوحدات تقوى و تضعف وفقاً لتطوّر العالم الإسلامي ، كما طغى على هذه الفترة أجواء مشحونة بالفوضى و اللا إستقرار و فقدان الثقة بين الخليفة و العناصر التركية المسيطرة على زمام الأمور ، التي عملت على تثبيت سيطرتها على الحكم من خلال تدبير الدسائس و المؤامرات ، و تعيين خلفاء ضعاف لإستمرار نفوذهم ، و وصل الحدّ إلى قتل و عزل بعض الخلفاء ، و تدبير المكائد لهم ، و محاولة نشر الخلاف و التفرقة داخل البيت العبّاسي ، و تحريض

(1) الطبري : المصدر السابق ، ج 8 ، ص. 667-668 ؛ المقريزي : المصدر السابق ص. 15 ، 16 ؛ محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ص. 168 .

(2) هاشم يحي الملاح : المرجع السابق ، ص. 22 .

(3) الأهواز : منطقة واسعة من بلاد فارس ؛ مؤلّفة من سبع كور بين البصرة و فارس ، لكلّ كورة منها إسم ، و يجمعهن إسم الأهواز ، و يُطلق عليها إسم : " خوزستان " ، أمّا الأهواز حالياً ؛ فهي مدينة إيرانية تقع في المنطقة الحاذية للحدود العراقية الإيرانية ؛ إلى الشمال الشرقي من مدينة البصرة و تبعد عن العاصمة " طهران " حوالي 1150 كلم ؛ بإتجاه الجنوب الغربي . ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلّد 1 ، ص. 380 ؛ آمنة أبو حجر : موسوعة المدن الإسلامية ، ط 2 ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، عمّان (الأردن) 2010 ، ص. 136 .

بعضهم على الآخر ، و الأمثلة كثيرة ، يسردها علينا بعض المؤرخين ، كالطبري ، ابن الأثير ، المسعودي ، ابن عمري ، مسكويه ، المقرئ ، وغيرهم (1) .

و إذا كان هؤلاء الأتراك قد حقّقوا بعض المكاسب للدولة الإسلامية ؛ كمُساهماتهم في القضاء على ثورة بابك الخرمي ، و الإنتصار على الروم في موقعة " عمورية " سنة 223 هـ / 838 م ، إلا أنّ حدود الدولة الإسلامية في عهدهم توقّفت عند حدود الفتح الإسلامي في عهد بني أمية ؛ ذلك أنّ الأتراك كانوا مقاتلين ، و لم يكونوا مجاهدين ؛ يعملون لنشر الإسلام ، فتحول هؤلاء الجند الموالى إلى مُرتزقة ؛ يُهدّدون بالثورة و العصيان ، إذا ما تأخّرت أرزاقهم (2) .

تواصل النفوذ التركي ، و تأثيره على مجريات الأحداث السياسية في الدولة العبّاسية إلى غاية بداية القرن الرابع الهجري ، حين ظهر العنصر الفارسي من جديد ، ممثلاً في دولة " بني بويه " ؛ الشيعة المذهب ، و التي أعادت للفرس مكانتهم و مجددهم ، و تأثيرهم على الخلافة العبّاسية ، فطلّت تحكّم باسمها إلى غاية سنة 447 هـ ، ليعود النفوذ التركي من جديد ممثلاً في دولة السلاجقة ، و بالتالي تواصلت هيمنة العناصر الأعجمية على السلطة و إستشارها بالحكم ، و حكمها باسم الخلافة ، فطلّ الخليفة يحمل الإسم فقط ، و خاضعاً لسلطة السلاجقة و مع هذا ، أصبحت أوضاع الخلافة أفضل بكثيرٍ منها مع " بني بويه " ، ذلك أنّهم كانوا من أهل السنّة ، فاحترموا الخلفاء تديناً ، و أبدوا من مظاهر التعظيم و الإجلال ما يقضي به منصبهم الديني ، إضافةً إلى هذا ، إستطاع السلاجقة أن يُوحّدوا المشرق الإسلامي من جديدٍ تحت رايتهم ، و يمدّدوا رقّعتهم في غرب آسيا عن طريق الجهاد

(1) الطبري : المصدر السابق ، ج 9 ، ص. 168 · 469 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 7 ، ص. 91 ؛ ابن عمري ، محمد بن علي بن

محمد : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرائي ، ط 1 ، دار الآفاق العربية ، القاهرة 1999 ، ص. 98 ، 134 ؛ مسكويه :

المصدر السابق ، ج 2 ، ص. 23 .

(2) عبد السلام الترماني : المرجع السابق ، ص. 63 .

ضدّ البنّظيين ، و يستولوا على معظم بلاد الشام من الفاطميين ⁽¹⁾ . و قد تعرّضت هذه الدولة في أواخر عهدها للإنقسام و الضعف ، ثمّ السقوط و الإندثار ، نتيجةً للصراع على الحكم ، فتجزّأت إلى عددٍ من الدول كسلاجقة العراق ، سلاجقة كرمان ⁽²⁾ ، سلاجقة الشام ، سلاجقة الروم ، بالإضافة إلى السلاجقة العظام الذين تقلّصت رقعة دولتهم بشكلٍ كبيرٍ ، كما ساهمت هذه النزاعات التي شهدتها البيت السلجوقي في بروز ظاهرة قيام دول منفصلة على حسابهم ، دارت في فلك الخلافة العباسية عُرفت بالدول الأتابكية ⁽³⁾ ، ذات الأصول التركية .

إنّ الملاحظ من كلّ ما سبق ، أنّ العباسيين إعتمدوا إعتماداً كلياً على العناصر الأعجمية في تصريف شؤون دولتهم ، مع كونهم عربياً ، فأبنا كيف إستعان هؤلاء بالعناصر الفارسية و أهل خراسان بوجهٍ خاصٍ ، و كيف قرّبوهم إليهم ، و جعلوهم على رأس الدواوين ، و منحوهم المناصب الإدارية ، و قلّدوهم منصب الوزارة ، و كيف إحتكرت أسرٌ بأكملها السلطة السياسية في العصر العباسي الأوّل كأسرة البرامكة ، و أسرة بني سهل ، و لكن مع بداية العصر العباسي الثاني ، و نتيجةً لضعف الدولة ، و المؤامرات التي كانت تُحاك ضدّها في الداخل و الخارج

(1) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص. 192 .

(2) كرمان : ولاية مشهورة كبيرة ، معمورة ، ذات بلاد و تُرى و مدن واسعة بين فارس و مكران و سجستان و خراسان ، فتحها " عبد الله بن عامر بن كُرير " ؛ في خلافة عثمان بن عفّان ؛ أمّا حالياً ؛ فهي مدينة إيرانية تقع جنوب شرق أصفهان ، و تبعد عنها 600 كلم . ابن قُتيبة :

المصدر السابق ، ص. 568 ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، مج. 4 ، ص. 404 ؛ أمانة أبو حجر : المرجع السابق ، ص. 170 .

(3) الأتابكية : نشأ الأتابكة في البلاط السلجوقي ، نتيجةً للنظام الذي إستحدثته السلاجقة القائم على شراء المماليك الأتراك ، و إدخالهم في خدمة القصور السلطانية ، و بخاصة فيما يتعلّق بتربية أبنائهم ، بالإضافة إلى تولّي الوظائف العامة . و ترقّى هؤلاء في الوظائف الإدارية و العسكرية حتى و صلوا إلى المناصب القيادية ، و إنّخذوا من نشوب النزاعات داخل البيت السلجوقي بعد وفاة السلطان ملكشاه ، فرصةً لفرض سيطرتهم على المناطق التي تحت حكمهم ، و تسابقوا في توسيع رقعتها كل على حساب الآخر ، مما أسفر عن نزاع أتابكي سار في خطٍ موازٍ للنزاع السلجوقي . من أشهر الأتابكيات : أتابكية الموصل و حلب ، اللتان كان لهما دوراً مُميّزاً في جهاد الصليبيين . محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص. 194 ؛ أحمد راتب عرموش : المرجع السابق ، ص. 28 .

ظهرت عناصر أعجمية أخرى ، إستغلّت الوضع لتحقيق أهدافها و مآربها ؛ فاستحوذت على السلطة ، و حكمت باسم الخلافة على غرار البويهيين و السلاجقة ، و هو ما أدّى إلى تنامي الحركات الانفصالية في الأقاليم و تمزيق الوحدة السياسية للدولة ، و إزدياد الأطماع الخارجية ، لاسيما البنزطيين و المغول ، و بالتالي عجلت هذه الأوضاع الصعبة في سقوط الدولة على يدّ المغول سنة 656^{هـ} / 1258^م . و لكنّ الأمر الذي يستحقّ توضيحه في هذا الصدد ، هو موقف الخلفاء العباسيين من تلك العناصر الأعجمية . أتمّ ذلك في غفلة منهم أو تجاهلٍ ؟ أم أنّهم كانوا يرسمون لأنفسهم سياسة عميقة لم يتخلّوا عنها طيلة فترة الخلافة ؟

في اعتقادي أنّ العلاقة بين الخلفاء العباسيين و هؤلاء الأعاجم في العصر العباسي الأول كانت قائمة على أن يُمارس هؤلاء الفرس نفوذهم و سلطاتهم ، لكنّ في إطار محدودٍ ، لو تجاوزوه ، لقادهم ذلك إلى نهايتهم ، و هذا ما رأيناه سابقاً في قضية " أبي مسلم الخراساني " و كيف غدر به أبو جعفر المنصور ، ثمّ نكبة " البرامكة " في عهد الرشيد ، و كذا ما فعله المأمون بأسرة " بني سهل " . أمّا مع بداية العصر العباسي الثاني ؛ فقد إتخذت هذه العلاقة شكلاً آخرّاً ، ميّزه ضعف شخصية الخليفة ، و عدم قدرته على التحكّم في تلك العناصر ، بل وصل الحدّ بهؤلاء إلى تعيين و عزل و قتل بعض الخلفاء ، الذين حاولوا التخلّص من نفوذهم و أضحى الخليفة لا يحمل سوى الإسم وهذا ما حدث خلال النفوذ التركي ، و تواصل في العهد البويهي و السلجوقي .

II - التأثير العلمي للموالى في العصر العباسي :

رأينا سابقاً كيف كان للموالى دور بارز في مجريات الأحداث السياسية ، و كيف تعاقبت العناصر الأعجمية ؛ الفارسية و التركية ، على تسيير أمور الدولة ، و الحكم باسمها ، و أفضى ذلك إلى فقدان العنصر العربي لمكانته فأصبحت الدولة العباسية دولةً شبه أعجمية ، تعتمد على الموالى و أهل الذمّة في أغلب شؤونها .

إنّ هذا التأثير لم يقتصر على الجانب السياسي و أمور الدولة فحسب ، و إنّما تعدّاه إلى جوانب أخرى حضارية ، و سنحاول بحول الله التكلّم بإيجازٍ عن التأثير العلمي للموالى طيلة العصر العباسي ، فقد أعطى هؤلاء

الموالى الثقافة العربية عقولهم و تجارهم ، و برزوا في مجال الفكر ، فعمت آثارهم الفكرية البلاد الإسلامية ، و كثرت إسهاماتهم العلمية في شتى العلوم الدينية و الأدبية و التحريية ، و عكفوا على الترجمة ، و التصنيف ، و الإبتكار فكان لهم الفضل في إزدهار الحياة العلمية ، و كذا التطوّر الحضاري الذي عرفته الدولة ، و ممّا ساعدهم على ذلك إتقانهم للغة العربية ؛ التي دأبوا على تعلّمها ، لا لكونهم في حاجة إليها للتخاطب و التعامل فحسب ، بل باعتبارها لغة القرآن ، فالحاجة إلى فهم القرآن ؛ و ما جاء به من قيم إنسانية و حضارية ، هي التي دفعت بهؤلاء الأعاجم إلى تعلّم العربية ⁽¹⁾ . إضافة إلى هذا فإنّ حرص خلفاء بني العبّاس مثل الرشيد و المأمون و المتوكل و غيرهم على تشجيع العلم ، و دفع عجلته إلى الأمام ، هو الذي دفع بهؤلاء الأعاجم إلى المشاركة في تنشيط الحياة العلمية إلى جانب العرب ⁽²⁾ ؛ و من ذلك أنّ الرشيد كان يقبل الجزية كُتُباً ، بينما كان المأمون يدفع وزن ما يُترجم ذهباً ، و الأمثلة كثيرة لا يمكن ذكرها كلّها ، و قد شمل الخلفاء بعنايتهم دور العلم و المعرفة ، كبيت الحكمة ⁽³⁾ في بغداد ، و دار العلم في الموصل ⁽⁴⁾ ، و الجامع الكبير في صنعاء ⁽¹⁾ ، حتّى صارت تلك المراكز العلمية جامعات ؛ يفد عليها طلاب العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامي .

(1) حسين أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص. 246 ؛ أحمد أمين : المرجع السابق ، ج 2 ، ص. 14 .

(2) أحمد سعيد الدمرداش : تاريخ العلوم عند العرب ، دار المعارف ، القاهرة 1977 ، ص. 33 .

(3) بيت الحكمة : هي دار أنشأها الخليفة العبّاسي المأمون (187 هـ . 218 هـ) لتشجيع حركة الترجمة و التأليف ، إذ عُرف عنه شغفه بالعلم و تقديره للعلماء ، و مجالستهم ، و مُناظرتهم ، على غرار والده هارون الرشيد ، فقد كان يُرسل الملوك و يمنحهم الهدايا الثمينة ، مُقابل الحصول على كتب الحكماء و الفلاسفة ، ثم يأمر بترجمتها إلى العربية ، و حضّ الناس على قراءتها و ترغيبهم في تعلّمها ، كما أنّه كان يخصّ العلماء بالعتاء . الشطّي أحمد شوكت الشطّي : الحضارة العربية الإسلامية ، مطبعة جامعة دمشق ، 1383 هـ / 1993 م ، ص. 133

(4) الموصل : هي من أهم المدن في الجزيرة الفراتية ، تقع على الضفة الغربية لنهر دجلة ، و يُعتقد أنّ إسم " الموصل " جاء في إتصال عواقل النهر بنهر دجلة ، حيث تكوّن مجرى كبير واحد ، و كان يقوم بموضعها أيّام الساسانيين مدينة يقال لها " بوذارشير " ، و قد علا شأنها في أيّام الدولة الأموية =

و الجدير بالذكر ، أنّ علماء العرب و المسلمين عكفوا على الترجمة ⁽²⁾ ، ثمّ إنكبوا على التصنيف و الإبتكار و إليهم يعود الفضل في تقديم كثيرٍ من الإكتشافات ⁽³⁾ .

كانت هذه العناصر الأعجمية ، التي أقبلت على ميادين المعرفة ، أقدّر على التدوين و التأليف بسبب ميراثهم الحضاري القديم ، فلمّا تعلّموا العربية ؛ كان تأليفهم بها سهلاً ميسوراً ، و أصبح كثير منهم من السباقين الأولين في تدوين مختلف العلوم العقلية و التّقليّة ؛ كالتفسير ، الفقه ، الشعر ، الفلسفة ، الفلك ، الفيزياء الرياضيات ، و الطبّ... إلخ ⁽⁴⁾ . و سنذكر بإيجازٍ بعض العلماء من الموالى ؛ ممّن برزوا في تلك العلوم تاركين المجال لمن أراد أن يتوسّع في هذا الموضوع ، و يبحث عن شخصيات أخرى لم يرد ذكرها ، و إسهامات أخرى لم تُذكر في هذا البحث المتواضع .

ففي ميدان الأدب ؛ ظهر مبدعون من الموالى في ميدان النثر الفصيح ؛ ترك أسلوبهم في التأليف بصمات واضحة و أسهموا بمؤلّفاتهم في إثراء الثقافة الإسلامية ، وبالرغم من كونهم من العجم ؛ فإنّهم نافسوا العرب ، و تفوّقوا على بعضهم في الفصاحة و البلاغة ؛ على غرار " عبد الله بن المقفّع " ⁽⁵⁾ الذي يُعتبر من أشهر هؤلاء الأدباء

إذ أصبحت في عهد الخليفة " مروان بن محمد " قاعدة إقليم الجزيرة ، و إتخذها الحمدانيون ، ثمّ بنو عقيل ، فيما بعد حاضرة لهم . الزبيدي : المرجع السابق ، ص. 72 .

⁽¹⁾ صنعاء : كان إسمها في القدم ، و هي قصبة اليمن و أحسن بلادها ، تُشبه بدمشق لكثرة فواكهها ، و تدفّق مياهها ، سُميت بهذا الإسم نسبةً إلى " صنعاء بن أزال بن يقطن " ، الذي بناها . الحموي : معجم البلدان ، المجلّد 3 ، ص. 426 ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مج. 14 ، ص. 344 .

⁽²⁾ Dominique Sourdel : **Histoire Des Arabes** , çinquième edition , presses unersitaire de France , paris 1976 , p 65 .

⁽³⁾ الدقّاع ، علي بن عبد الله ، روائع الحضارة الإسلامية في العلوم ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1998 ، ص. 26 .

⁽⁴⁾ André Miquel : **l'islam est sa cilivisation** , armand _ colin , paris , 2003 , p 163 .

⁽⁵⁾ عبد الله بن المقفّع : إسمه بالفارسية " روزبه " ، و كان يُكْتَب قبل إسلامه " أبا عمرو " ، سُمي بالمقفّع لأنّ الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة ؛ في مالٍ إحتجته من مال السلطان ، ضرباً مُبرحاً ، فتفجّعت يده ، أصله من مدينة " خوز " في بلاد فارس ، كان كاتباً و شاعراً في قمتة الفصاحة =

الموالي ، إذ كان له الفضل في نقل و ترجمة الكثير من الكتب الفارسية إلى العربية ؛ على غرار كتاب :
 (كليلة و دمنة) ، كما أنّ صاحب المقامات " بديع الزمان الهمداني " ⁽¹⁾ يعتبر من الذين أبدعوا في فنّ المقامات
 فهو أول من استوى على يده هذا الفنّ في اللّغة العربية ⁽²⁾ .
 أمّا في ميدان الشعر ؛ فيعتبر الشاعر الكبير " بشار بن برد " ⁽³⁾ من الشعراء الموالي الذين دافعوا عن أصلهم
 غير العربي ، إذ تعصّب لإصله الفارسي و هاجم بقصائده كلّ ما له شأن بالعرب ، ولم يسلم من هجائه حتّى بنو
 عصبته ؛ على غرار ما وقع له مع الوزير " يعقوب بن داود " ، و هو ما سبق ذكره في هذا البحث .

و البلاغة كما كان أحد الثقله من اللسان الفارسي إلى العربي ، مُضطلعاً باللّغتين ، فصيحاً بهما ، و قد نقل عدّة كتبٍ من كتب الفرس أشهرها
 (كليلة و دمنة) . ابن التّمم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت 380 هـ) : **الفهرست** ، تحقيق : رضا المازندراني ، ط. 3 ، دار المسيرة
 طهران 1988 ، ص. 132 ؛ القفطي ، أبي الحسن يوسف جمال الدّين : **تاريخ الحكماء** ، من كتاب : **أخبار العلماء بأخبار الحكماء** ، تحقيق :
 جوليوس ليارت لايبزيغ ، ألمانيا 1903 ، ص. 220 ؛

Pierre Vallas : **Dictionnaire de civilization musulmane** , Larouse , Paris 2001 , p. 147 ;

Dominique Sourdel : **op . cit .** , p. 67 .

⁽¹⁾ **بديع الزمان الهمداني** : هو أحمد بن الحسن بن يحيى الهمداني ؛ المكنّى بـ " أبي الفضل " ، أحد الأئمّة و الكتّاب ، وُلد في همدان ، و انتقل إلى هراة
 سنة 380 هـ ، فسكنها ، ثم سافر إلى نيسابور سنة 382 هـ ؛ و لم تكن قد ذاعت شهرته ، فلقى أبا بكر الخوارزمي ، فشجر بينهما ما يدعو إلى
 المساجلة ، فطار ذكر الهمداني في الآفاق ، و لمّا مات الخوارزمي ؛ خلا له الحوّ ، فلم يدع بلده إلاّ دخلها ، و لا أميراً إلاّ فاز بجوائزه ، كان يُضرب به
 المثل بحفظه ، و يُذكر أنّ أكثر مقاماته إرتحال . الحموي ، ياقوت الرومي : **معجم الأدباء** ، المسمى : **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** ، تحقيق :
 إحسان عباس ، ج 1 دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 ، ص 234 . 253 .

⁽²⁾ محمد حسن العبدروس : **تطوّر الحياة الاجتماعية و الإقتصادية و الفكرية في العصر العباسي** ، دار الكتاب الحديث . القاهرة . 1432 هـ /
 2011 م ، ص. 273 .

⁽³⁾ **بشار بن برد** : (95 : 167 هـ) هو شاعر فارسي الأصل ، ولد أعمى و نشأ في " بني عقيل " نشأةً عربيةً فاكسب فصاحة اللسان ، و أتقن
 اللّغة العربية و أسرارها ، أشتهر بالهجاء ، و تعصّب لأصله الفارسي ، و لم يسلم من هجائه رجال الدولة العباسية ، الشيعيّ الذي أدى إلى إنّهامه بالزندقة
 و نفيه من البصرة إلى الكوفة ، ثمّ قتله عام 167 هـ / 785 م ، إثر مكيدةٍ دبرها له " يعقوب بن داود " وزير الخليفة العباسي " المهدي " بعد القصيدة

أمّا في ميدان الفلسفة ؛ فقد ظهرت شخصيات من الموالى ، أسهمت في نهضة لا تُداني من الدراسات العقلية و الفلسفية ، و يُعدّ صاحب (المدينة الفاضلة) " أبي نصر الفارابي " (1) أشهر هؤلاء الفلاسفة ؛ الذين تركوا بصماتهم في هذا المجال ، وأثروا الفكر الإنساني بإنجازاتهم العظيمة ، و مؤلفاتهم الكثيرة (2) .

و فيما يخصّ علم الرياضيات ؛ فقد برز من الموالى علماء كثيرون ، أبدعوا في الدّراسات و الأبحاث ؛ الخاصة بالمسائل الهندسية ، و أدخلوا الكثير من النظريات و الأساليب المتطورة في علم الجبر ، و أوجدوا رموزاً للحذور و المربّع ، و المكعب ، و المجهول ، و أبدعوا في حساب الأعداد ، و المثلاثات ، و الأبعاد ، و المعادلات و حساب أحجام الأجسام الهندسية ؛ كالمهرم الثلاثي ، و الهرم الرباعي ، و المخروط ، و استخدموا الأساليب الجبرية في حلّ العمليات الهندسية ، و الطريقة الهندسية في حلّ الأعمال الجبرية ؛ كما وضعوا حلولاً جبرية و هندسية لأهمّ المعادلات التي وضعوها (3) ، و قدّموا إضافات جديدة ؛ معتمدين في ذلك على مؤلّفات الأمم السابقة ؛ لاسيما اليونانيون ، و بالتالي كان لهؤلاء الرياضيين الموالى الدور الكبير في تطوّر هذا العلم ، و أحدثت

التي هجاه فيه . ابن النّدم : المصدر نفسه ، ص 181 ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ص . 271-274 ؛ آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تعريب : محمد عبد الهادي أبو ريده ، ط . 4 ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1387 هـ / 1967 م ، ص . 469 .

(1) الفارابي : (260-339 هـ) : هو محمد بن محمد بن طرفان بن أوزلغ ، أبو نصر الفارابي ، و يعرف بالمعلّم الثاني تركي الأصل ، ولد في فاراب التي تقع وراء نهر جيحون ، وهي حالياً جمهورية طاجكستان ، و قد أجمع علماء المشرق و المغرب على أنّه كان عازناً ماهراً ، و عالماً بأصول الموسيقى و فروعها ، التي قادته إلى اختراع العود و الربابة و آلة القانون ، و قد عاش طويلاً ، و اشتغل بالعلم في بغداد ، ثمّ ذهب إلى حلب بسبب اضطرابات سياسية ، حيث أقام في بلاط " سيف الدولة " ، و لكنّه في الأيام الأخيرة من حياته اعتزل خدمة الأمراء ، و عاش معتكفاً ، توفي في دمشق في أثناء رحلة لها سنة 339 هـ / 950 م . ابن النّدم : المصدر السابق ، ص . 312 ؛ أحمد لطفي جمعة : تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق و المغرب ، المكتبة العلمية ، بيروت ، 1345 هـ ، ص . 25-26 ؛ الدّقاع : روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم ، ص . 38 ؛ Pierre Vallas : op . cit , p. 114 .

(2) محمد حسن العيدوس : المرجع السابق ، ص . 290 .

(3) حربي عبّاس عطيتو محمود ، حسّان حلاق : العلوم عند العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت 1995 ، ص . 333 .

إنجازاتهم ثورة حقيقية في هذا المجال ، و أضحت مؤلفاتهم مرجعاً مهماً لطلبة هذا الإختصاص في العالم الإسلامي و الغرب المسيحي ؛ من خلال ترجمتها ، و الإستفادة منها ، و لعلّ من أبرز الرياضيين الموالى ؛ الذين تركوا بصماتهم في هذا العلم : الرياضي الكبير " أبو الفتوح عمر الخيام " ⁽¹⁾ ؛ إضافةً إلى " أبي الحسن بن أحمد النسوي " ⁽²⁾ و " نصير الدين الطوسي " ⁽³⁾ ، و غيرهم .

أمّا فيما يخصّ علم الفيزياء و الكيمياء ، فقد برزت أسماء كثيرةً من الموالى ، أسهمت في تقدّم هذا العلم ؛ إلى جانب العرب ، و أمدّت علوماً أخرى ؛ لاسيما تلك التي لها علاقة بما كالعلوم الطبيّة ، بمعارف كثيرة ؛ فأبدعوا في قياس المسافة و الحجم ، و تفتّنوا في تصنيع المعادن المختلفة ؛ كالحديد ، النحاس ، الفضّة ، الماس ، الزئبق المرجان... إلخ ؛ إضافةً إلى تمكّنهم من تحضير الكثير من المركّبات ، و إستخدموا المواد الكيميائية المختلفة في صناعة الورق و الحرير ، و دبغ الجلود ، و الروائح العطرية ، و الزجاج ، و الشموع ، و مواد التجميل ، و الزيوت النباتية

(1) عمر الخيام : (436 · 517 هـ) : هو أبو الفتوح ، عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوري ، كان في صغره يشتغل في حرفة صنع و بيع الخيام ، و لذا لُقّب بالخيام ، و قد عُرف بكثرة تنقله لطلب العلم ، إستقرّ في بغداد عام 466 هـ ، و أبدع في كثير من فنون المعرفة مثل الرياضيات و الفلك و اللغة و الفقه و التاريخ و الأدب . القفطي : المصدر السابق ، ص. 243 ، 244 ؛ أحمد جبار : علماء الحضارة العربية الإسلامية و مساهماتهم ط. 1 ، كليك للنشر ، الجزائر 2011 ، ص. 207 ؛ أحمد لطفي جمعة : المرجع السابق ، ص. 33 ؛ الدفّاع : المرجع السابق ، ص. 85 .

(2) النسوي : هو أبو الحسن عليّ بن أحمد النسوي ، لا نعرف بالضبط متى ولد ، وُلد في بلدة " نسا " بخراسان ، و ترعرع هناك ، و عُرف باسم القاضي النسوي أشتهر بإسهاماته في علمي الحساب و الهندسة ، فقد كتب في الحساب الهندي كتاباً سمّاه (المقنّع في الحساب الهندي) ، الذي صار من أهمّ المراجع في علم الحساب ، أمّا في علم الهندسة ، فقد إكتفى بتفسير بعض الحقائق الغامضة في مؤلّفات أرخميدس و أقليدس و مينالوس السمعاني أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562 هـ) : الأنساب ، تقلّم و تعليق : عبد الله البارودي ، ط. 1 ، دار الجنان بيروت لبنان 1408 هـ / 1988 ، ص. 486 ؛ الدفّاع : المرجع السابق ، ص. 92 .

(3) نصير الدين الطوسي (597 · 672 هـ) : هو محمد بن محمد أبو جعفر نصير الدين الطوسي ، وُلد في خراسان ، و عاش و توفي في بغداد إشتهر في علم الهندسة و الفلك ، كما عُرف بترجمته و تعليقه لكتاب " أصول الهندسة " لإقليدس و هي أدقّ و أوضح ترجمة عربية لهذا الكتاب . الدفّاع : المرجع السابق ، ص. 93 .

وبالتالي أعطى هؤلاء العلماء معارف جديدة لهذا العلم ، و أسهموا في تطوره ، و كان لهم تأثير كبير على علماء الغرب المسيحي ؛ و لعلّ من أشهر علماء الفيزياء و الكيمياء من العلماء الموالى : " عبد الرحمن الخازني " (1) و " هبة الله بن ملكا البغدادي " (2) ، و " فخر الدين الرازي " (3) ، و غيرهم .

أمّا في ميدان علم الفلك ؛ فقد برع الفلكيون الموالى في رصد النجوم ، و ضبط أبعادها ، و مراقبة سيرها ، فالرصد في البلاد الإسلامية بصفة عامة ؛ لم يهتم باكتشاف أشياء ، أو ظواهر فلكية جديدة ، و إنما كانت وظيفته التثبت من الظواهر المعروفة ، و تصحيح القياسات المرتبطة بها ، و كذلك ؛ تحسين و إثراء الثوابت التي أقامها علماء الفلك اليونانيون و الهنود ، و لعلّ من أشهر الفلكيين الموالى : " أحمد بن سهل البلخي " (4) و أبا الوفاء

(1) الخازني : هو أبو الفتح ، عبد الرحمن الخازني ، المتوفى سنة 550 هـ ، و سبب تسميته الخازني لأنه كان مملوكاً لعلّي الخازن المروزي ، لذا نرى أنّ أبا الفتح ترعرع في ظلّ الخازن المروزي في " مرو " و هي من أشهر مدن خراسان ، توجد حالياً في جمهورية تركمنستان " ، و هناك درس ، و نبغ في علم الفيزياء و الفلك و الرياضيات ، و عندما رأى التاجر المشهور عليّ الخازن المروزي علامات الذكاء عنده ، أعتقه لوجه الله و صار أبو الفتح حرّاً و قد ألّف الخازني كتابه المشهور " ميزان الحكمة " عام 506 هـ . الدفاع : روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم ، ص. 125 .

(2) هبة الله بن ملكا البغدادي : هو أبو البركات ؛ المعروف باسم " أوحد الزمان " ، ولد في بغداد سنة 480 هـ ، و توفي بمعدان سنة 560 هـ ، كان يهودياً ، ثمّ أسلم ، يعتبر مكتشف القانون الثالث للحركة بإجماع مؤرخي العلوم ، وله دورٌ في إكتشاف القانون الثاني للحركة ، الذي طوّره و بلوره إسحاق نيوتن ، و يُروى أنّ سبب إسلامه ؛ أنّه كان في صحبة السلطان " محمود " ببلاد الجبل ، و كانت زوجة محمود بنت عمّه ، و كان لها مكرماً مُطيعاً ، فلما ماتت ؛ حزن عليها محموداً حزناً شديداً ، ولما عاين أبو البركات ذلك الجزع من محمود خاف على نفسه من القتل ؛ إذ هو الطبيب ، فأسلم طلباً لإسلامة نفسه . القفطي : المصدر السابق ، ص. 349 ؛ البيهقي ، ظهر الدين : تاريخ حكماء الإسلام ، تحقيق : محمد كرد علي ، مطبعة الترقّي ، دمشق 1365 / 1946 هـ ، ص. 152 ، 154 ؛ الدفاع : المرجع نفسه ، ص. 129 .

(3) فخر الدين الرازي : هو أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن الحسن ، المعروف باسم "الإمام فخر الدين الرازي " ، ولد في " الريّ " سنة 544 هـ و توفي في هراة سنة 606 هـ ، عُرف بإتقانه للعربية و الفارسية ، و تفسيره للقرآن الكريم ، كما يعتبر من كبار علماء الفقه و أصوله ، إضافة إلى بروزه في علوم عديدة كالفلسفة و الفيزياء و الفقه و الكيمياء و الطب . المرجع نفسه ، ص. 130 .

(4) البلخي : هو أحمد بن سهل البلخي ، و يُعرف بأبي زيد ، عاش فيما بين (323 . 235 / 934 . 849 هـ) ، وُلد بالقرب من " بلخ " في قرية " شامستان " و توفي هناك ، درس في بادئ حياته العلوم الشرعية ، حتّى صار مدرّساً فيها ، و لكنّه لم يكتفي بذلك ، بل غادر مسقط رأسه إلى بغداد

البوزجاني⁽¹⁾ ، و أبو سهل الكوهي⁽²⁾ ، و غيرهم .

ومن العلوم التي أبدع فيها العلماء الموالى : علم " الجغرافيا " ؛ الذي لم يكن مرتبطاً بالتجارة و الفتوحات الإسلامية فحسب ، بل كان مرتبطاً أيضاً ارتباطاً بعلم الفلك ؛ الذي برع فيه المسلمون ، و تُعتبر فريضة الحجّ و الرّحلة نحو طلب العلم ، و حاجة الدولة الإسلامية إلى معرفة الطرق الكبرى للوصول إلى أقاليمها ، و الإهتمام بثروات و مقدورات البلدان المفتوحة ؛ من الأسباب التي أدّت إلى ظهور هذا العلم ؛ إذ دفعت ببعض العلماء المسلمين إلى وصف المناطق التي زاروها في طريقهم ؛ و بالتّالي كثرت الرحلات الجغرافية عند المسلمين ، و تنوّعت

طلباً للعلم ، و فيها تعلّم علوماً كثيرة ، منها علم الفلك ، من أشهر مؤلفاته كتاب " صور الأقاليم " ، و المعروف أحياناً باسم " أشكال البلاد " أو " تقويم البلدان " ، والذي حاز بسببه شهرة عظيمة . ابن النديم : المصدر السابق ، ص. 153 ، ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج 1 ص. 274 : 282 ؛ السمعاني : المصدر السابق ، ص. 388 ؛ خير الدين الزركلي : المرجع نفسه ، ص. 180 ؛ يوسف فرحات : علماء العرب الشركة المشرقية للمطبوعات ، (د م ط) 1986 ، ص. 81 .

(1) البوزجاني : هو أبو الوفاء ، محمد بن إسماعيل بن العباس الحاسب ، عاش فيما بين (328 : 388 هـ) ، وُلد في منطقة " بوزجان " من بلاد خراسان و توفي في بغداد عمل مُرصداً في بغداد ، و نال شهرةً عظيمةً من دراسته مؤلفات " إقليدس " و " بطليموس " ، و تصحيحه للأخطاء التي وقع فيها هؤلاء العلماء الكبار ، كما شرح و علّق على مؤلفات " البتاني " في علم الفلك ، من أشهر مؤلفاته كتاب " في عمل المسطرة و البركار و الكونيا " و المقصود بالكونيا ، هو المثلث القائم الزاوية . البيهقي ، ظهر الدين ، المصدر نفسه ، ص. 84 : 85 ؛ الدقّاع : روائع الحضارة الإسلامية في العلوم ؛ ص. 190 ؛ يوسف فرحات : المرجع السابق ، ص. 93 ؛ 163 ، p . cit : André Miquel

(2) الكوهي : هو أبو سهل رستم الكوهي ، المتوفى سنة 405 هـ ، كان من أهالي " الكوه " في جبال طبرستان ، جنوب " بحر الخزر " ، اشتهر بالعلوم التطبيقية عامةً ، و بعلم الفلك خاصةً ، و عندما إستولى " شرف الدين بن عضد الدولة البويهى " على السلطة ، قرّب إليه " الكوهي " و طلب إنشاء مرصد فلكي في بغداد ، و تقلد دراسة متكاملة عن رصده الكواكب السبعة من حيث مسيرتها و تنقلها غي بروجها ، و من أشهر مؤلفاته كتاب " الأسطرلاب بالبراهين " . المرجع نفسه ، ص. 196 .

بِتَنوع أسبابها وظروفها السياسية والإقتصادية والعسكرية والدينية، و نشأت عند كثيرين منهم حب الرحلة والمجازفة⁽¹⁾، و لعل من أشهر الجغرافيين الموالى أبو بكر بن إسحاق؛ الملقب بـ "ابن الفقيه"⁽²⁾ و "أبا القاسم ابن خرداذبة"⁽³⁾، و غيرهم.

أما في ميدان الكتابة التاريخية؛ فقد أسهم المؤرخون الموالى في إثراء المكتبات الإسلامية بالكتب والمؤلفات التي أصبحت فيما بعد مرجعاً مهماً لمؤرخي العرب والمسلمين؛ سواء تعلق الأمر بالأحداث التاريخية، أو السير والتراجم، و لعل من أشهر هؤلاء: "الطبري"⁽⁴⁾، و "البلاذري"⁽⁵⁾، و غيرهم.

(1) حربى عباس عطيتو محمود، حسن حلاق: المرجع السابق، ص. 356.

(2) ابن الفقيه: هو أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق، أحد أهل الأدب في أواخر القرن الثالث الهجري، و قد ألف كتاب (البلدان) سنة 290^{هـ} إلا أن هذا الكتاب يختلف عن المصنفات التي سبقته؛ في أنه لم يقصد إلى خدمة الإداريين و عمال الدواوين، و إنما كان هدفة إمتاع المثقفين؛ و لذلك غلب عليه الأسلوب الأدبي، و خلط بين المعلومات الجغرافية و الطرائف الأدبية. دائرة المعارف الإسلامية، مج. 1، ص. 256.

(3) ابن خرداذبة (205-300^{هـ}): هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد، شغل وظيفة "صاحب البريد و الخبز" بناوحي الجبال بفارس؛ و هو ما دفعه إلى تأليف كتاب (المسالك و الممالك)؛ الذي استغرق في تأليفه حوالي أربعين سنة؛ و هو كتاب يصف فيه المناطق التي زارها، كما ساعده في هذا العمل وظيفته الحكومية، و إطلاع على الوثائق الرسمية. و لم يقتصر الكتاب على وصف الطرق و بيانات الخراج، بل تناول فصولاً حول تقسيم الأرض، و عجائب العلم، و الأبنية المشهورة. دائرة المعارف الإسلامية، مج. 1، ص. 149؛ حنان قرقوني: من العلوم عند المسلمين، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت 1427^{هـ} / 2006^م، ص. 31.

(4) الطبري: أبو جعفر بن جرير (ت 310^{هـ})، صاحب كتاب (تاريخ الأمم و الملوك)، و ولد في طبرستان، بدأ شغفه بالعلم في سن مبكرة، تلقى دراسته في التاريخ، الفقه، التفسير، اللغة، و النحو على يد شيوخه في الري و العراق و الشام، و الواقع أن (تاريخ الطبري) يُعتبر أول كتاب في التاريخ العام، أكمل به الطبري سابقوه من التأريخ للأحداث أو الأقاليم أو الطبقات، كابن سعد، و يعقوبي، و الدينوري، و الواقدي... إلخ. يُسرى عبد الغني عبد الله: معجم المؤرخين المسلمين، دار الكتب العلمية، بيروت 1411^{هـ} / 1991^م، ص. 114.

(5) البلاذري: يحيى بن جابر البغدادي (ت 279^{هـ})، صاحب كتاب (فتوح البلدان)، ينتمي إلى أسرة من أصل فارسي، و كان جدّه من كتاب ابن الخصيب في مصر، و ولد في مصر، و تلقى تعليمه في العراق و الشام، و قد عُرف عنه أنه كان أقرب أصدقاء الخليفة "المتوكل"، و من بعده "المستعين"، كما أنه قام بتربية و تأديب الخليفة "المعتز"، و قيل أنه سُمي بهذا الاسم لأنه في آخر أيامه فقد عقله لتناوله "حب البلاذر"، من أشهر مؤلفاته كتاب (فتوح البلدان) و (أنساب الأشراف). يسرى عبد الغنذي عبد الله: نفس المرجع، ص. 56.

و هكذا كان لهؤلاء الأعاجم الأثر الكبير في إزدهار الحياة العلمية في العصر العباسي إلى جانب العرب ، إذ دأبوا على النقل و الترجمة و التأليف و التصنيف ، و أبدعوا كما رأينا سابقاً في مختلف العلوم النقلية و العقلية و سنحاول بحول الله في هذا البحث المتواضع أن نتطرق بنوعٍ من التفصيل إلى إسهامات الموالى في علمٍ من تلك العلوم ، ألا و هو علم الطبّ . ففيم تجلّت تلك الإسهامات ؟

الفصل الثاني :

دور الطبّ في الحضارة الإسلامية في العصر العبّاسي

أولاً : الطبّ في الحضارة الإسلامية

1. الطبّ في عهد الرّسول صلّى الله عليه و سلّم

2. تطوّر علم الطبّ في العصر العبّاسي

3. المنهج الطّبيّ عند المسلمين

4. مكانة الأطبّاء في العصر العبّاسي

5. أجور الأطبّاء في العصر العبّاسي

6. المستشفيات في العصر العبّاسي

ثانياً . تراجم لأشهر الأطبّاء الموالى في العصر العبّاسي

1 . علي بن ربن الطبري

2. أبوبكر الرّازي

3. ابن أبي الأشعث

4. أحمد بن علي مسكويه

5. علي بن عبّاس الأهوازي

6. الحسن بن سوار

7. أحمد بن محمد الطبري

8. ابن مندويه الأصفهاني

9. علي بن هندو

10. ابن سينا

11. الحسن القمري

12. النّجيب السمرقندي

رأينا سابقاً كيف كان للموالي دور كبير فيما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من رقيّ في شتى ميادين الحياة لاسيما الجانب العلمي ، إذ أسهموا في ازدهار الحياة العلمية ، و كان لهم الأثر البالغ في تطوّر مختلف العلوم العقلية و التّقنية ، و أثروا المكتبات الإسلامية و العالمية بمؤلّفاتهم الكثيرة ؛ التي أصبحت مراجع مهمّة لطلبة العلم في البلاد الإسلامية و الغرب المسيحي ، و لا يزال تأثيرها واضحاً على العلم الحديث ؛ و علم الطبّ واحدٌ من أهمّ تلك العلوم التي أبدع فيها الموالي ؛ من خلال إنجازاتهم الطّبية العظيمة ، و طرّقتهم النّادرة في العلاج ، و مؤلّفاتهم النّفيسة ؛ و هو ما سأحاول توضيحه في هذا البحث . ففيم تجلّت إسهامات الموالي الطّبية يا تُرى ؟

I . الطب في الحضارة الإسلامية :

قبل الخوض في هذا الموضوع ، ينبغي التطرّق إلى موضوع الطبّ في الحضارة الإسلامية ، و الفرق بينه و ما كان عليه في الجاهلية ؛ و كذا المنهج الذي قام عليه الطب الإسلامي ، و سأحاول بحول الله ؛ بعد ذلك ، توضيح أثره في الغرب المسيحي ، و دوره فيما وصل إليه الطبّ الحديث .

أ . الطبّ في عهد الرسول صلّى الله عليه و سلّم .

أخذ الطبّ في الإسلام منحىً جديداً ، و إنّخذ منهجاً مغايراً لما كان عليه قبل البعثة النبوية ، حين كانت ممارسة الطبّ في الجزيرة العربية أكثر شيوعاً عند العرّافين و فئة الممارسين المحرّبين ، ففئة العرّافين اعتمدت على التكهّن بأسباب المرض ، و سرّه ، و علاجه ، و الإستعانة بالتعاون و التّجوم و السّحر ، و كان لكلّ قبيلة عرّافٌ يرجع إليه أفرادها فيما يُصيبهم من أمراضٍ و عللٍ و أحداثٍ مختلفةٍ ، و كانوا يُنزلونه منزلة الكاهن من حيث الإحترام و التقدير ، أمّا فئة الممارسين المحرّبين ، فقد كانت تُزاوّل العلاج بالكيمياء ، و البتر ، و الحجامة ، و العقاقير و الأعشاب الطّبية ⁽¹⁾ . و لما جاء الإسلام جعل لهذا العلم ضوابطاً شرعيةً ؛ تستمدّ أصولها و ثوابتها من القرآن

(1) محمود الحاج قاسم : الطبّ عند العرب و المسلمين . تاريخ و مساهمات . ط . 1 ، الدار السعودية للنشر ، 1987 ، ص . 47 ، 48 ؛ أحمد

أمين : المرجع السابق ، ج 2 ، ص . 6 ، 7 ؛ الشّطّي : المرجع السابق ، ص . 13 .

الكرّيم ، و السنّة النبوية ؛ فأصبحت ممارسة الطبّ تخضع لإطّيرٍ و حدودٍ خاصة ، وضعها الإسلام لتكون هادياً لأطبّاء المسلمين ، و لكلّ العلماء و عموم النّاس ، لكي ينجحوا في الوصول إلى الحقّ ، و الخير ، و الصّلاح في كلّ فروع الحياة ، فأصبح الأطبّاء المسلمون يحترمون القاعدة الشرعية التي رواها "أبو الدرداء" ؛ حين روى عن رسول الله صلّى الله عليه و سلّم أنّه قال : { إنّ الله أنزل الدّاء و الدّواء ، و جعل لكلّ داءٍ دواءً ، فتداووا ، و لا تداووا بجرّام } (1) .

و من هنا قام الإسلام بتقويم و تعديل و تطوير ما اعتمدت عليه فئة العرّافين و الممارسين المحرّبين ، فلم يعد مقبولاً أبداً أن يُعالج المرضى بالدّجل و الشعوذة و الكهانة و السّحر (2) ؛ باعتبارها من مظاهر الشرك بالله عزّ و جلّ ، كما تُهي عن التداوي بالخمر أو النجاسة أو الكيّ ، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال : { الشّفاء في ثلاثة : شربُهُ عَسَلٍ ، و شَرْطُهُ مِحْجَمٍ ، و كَيْئُهُ نَارٍ ، و أُهْمِي أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّْ } (3) ، و بذلك أغلق الأطبّاء المسلمون هذه الصّفحة من العلاج ، التي أثبت الطبّ الحديث أنّها مُجرّد تسكين مؤقت ، ليس له فائدة حقيقية و بالتالي وجدوا أنفسهم مُجبرين على الإجتهد و البحث عن الأسلوب العلمي الرّاقى في علاج الأمراض .

إنّ المبادئ التي قامت عليها حضارة الإسلام ؛ أتها جمعت بين حاجة الجسم و حاجة الرّوح ، و اعتبرت العناية بالجسم ضرورة لتحقيق سعادة الإنسان ، فكان الرسول صلّى الله عليه و سلّم أحرص النّاس على ذلك فقد وردت نصوص نبوية صريحة ؛ تفتح المجال أمام المسلمين للإجتهد في الأمور الكونية ، التي تستند إلى علوم

(1) أبو داوود ، سليمان بن الإشعث السجستاني الأزدي (202 · 275 هـ) : سنن أبي داوود ، ج 4 ، تعليق : عزّت عبيد الدعاس و عادل السيّد دار ابن حزم ، بيروت ، 1418 هـ / 1997 ، ص. 134 .

(2) عبد الحق حميش : حفظ الصّحة في الإسلام ، يومية الخبر ، العدد 7396 ، الإثنين 07 جمادى الثانية 1435 هـ / 07 أبريل 2014 م الجزائر ، ص 19 .

(3) البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، ج 5 ، دار الهدى ، عين اميلية (الجزائر) ص. 2151 ؛ السندي ، أبي الحسن الحنفي : شرح سنن ابن ماجة القزويني ، ج 2 ، دار الجيل ، بيروت ، ص. 353 .

لا تدخل في مهمّة رسالته ، و لكن ضمن الإطار الأخلاقي ؛ أي تُستخدم لمنفعة النَّاس ، و صالح الإنسانية و منها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ : { أَنْتُمْ أَعْلَمُ النَّاسَ بِدِنْيَاكُمْ } ⁽¹⁾ . و لعلّ من النصوص النبوية البارزة التي تحثّ على ممارسة الطبّ ، هو ما رواه جابر ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : { لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أَصَابَ دَوَاءَ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عِزَّ وَ جَلَّ } ⁽²⁾ ، و روى أسامة بن شريك قال : قال رسول الله عليه و سلّم : { تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً ، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ ، الْهَرَمُ } ⁽³⁾ ، و عن ابن مسعود ، أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قَالَ : { إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً ، عَلِمَهُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَ جِهَلَهُ مِنْ جِهَلِهِ } ⁽⁴⁾ و قد عُرف عن رسول الله أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِالْعِلْمِ عِنْدَ الْأَمْرِ وَ الْأَتَقْنِ ؛ حَتَّى وَ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِالْمَرْأَةِ أَوْ الْمَشْرُوكِ حِينَ أَمَرَ أَنْ يُعَالَجَ "سعد بن معاذ" ⁽⁵⁾ عند الصحابية الجليلة "رفيدة" ⁽¹⁾ ، لَأَتَّهَمَهَا مَاهِرَةٌ فِي الطَّبِّ ؛ مَعَ أَنَّ الْبَيْئَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ تَكُنْ بَعْدَ أَلْفَتْ مَعَالِجَةَ الْمَرْأَةِ لِلرَّجُلِ ، وَ لَكِنْ لِعِلْمِهَا بِالطَّبِّ ، وَ إِتْقَانِهَا لَهُ ، كَانَتْ لَهَا

(1) مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين النيسابوري : صحيح مسلم ، يشرح النووي ، إشراف : حسن عباس قطب ، مج. 8 ، كتاب الفضائل ص. 119 ، دار عالم الكتب ، الرياض (المملكة العربية السعودية) ، ص. 141 .

(2) مسلم : المصدر نفسه ، المجلد 7 ، كتاب السلام ، ص. 69 ؛ ابن بلبان ، الأمير علاء الدين علي الفارسي (ت 739 هـ) : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط. 2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1414 هـ / 1993 م ، مج. 13 ، ص. 427 .

(3) أبو داود : المصدر السابق ، ج 4 ، ص. 125 ؛ الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى السلميّ : الجامع الصحيح ، تحقيق : أحمد محمد شاكر و آخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص. 2038 ؛ السندي : المصدر السابق ، ص. 339 . ؛ البيهقي ، أبو بكر أحمد : شعب

الإيمان تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط. 1 ، ج 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1410 هـ / 1990 م ، ص. 200 .

(4) ابن بلبان : المصدر السابق ، مج. 13 ، ص. 427 .

(5) سعد بن معاذ : هو سعد بن معاذ بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، كنيته " أبو عمرو الأمسي الأنصاري " ، مات بالمدينة في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ، بعد قريضة ، و هو الذي قال في شأنه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ : { إِهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ } .

البُستي ، أبو حاتم محمد بن حبان (ت 354 هـ) : تاريخ الصحابة ، تحقيق : بوران الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1408 هـ / 1988 م ، ص. 112 .

هذه المكانة السامية⁽²⁾، كما أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن أبي وقاص⁽³⁾ أن يأتي الحارث بن كلدة⁽⁴⁾ ليعالج عنده؛ مع أنّ هذا الطبيب لم يثبت إسلامه بعد، و لكن لإتقانه لحرفته و مهارته فيها، قَبِل الرسول أن يعالج عنده مسلم⁽⁵⁾.

(1) رفيدة: هي كعبية بنت سعد الأسلمية، المعروفة باسم "رفيدة الأسلمية"، صحابية جلييلة من بني أسلم، اشتهرت رضي الله عنها بتضميد الجروح، لذا كانت تصحب جيوش المسلمين المقاتلين ضدّ المشركين، كما تواتر أن أُقيم لها خيمة خاصة و بارزة في مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كمستشفى لعلاج المرضى و المصابين بالجراحة، تعتبر أول ممرضة في الإسلام، ذاع صيتها بين معاصريها في فنّ الجراحة، لهذا السبب اختارها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلاج سعد بن معاذ، عندما أُصيب برمية قويّة في غزوة الخندق. ابن هشام، أبي محمد بن عبد الملك: السيرة النبوية، مج. 2 دار الكتب العلمية، بيروت 1419 هـ / 1998 م، ص. 142؛ علي بن عبد الله الدقاع: رواد علم الطبّ في الحضارة العربية الإسلامية، ط. 1 مؤسسة الرسالة، بيروت 1419 هـ / 1998 م، ص. 142.

(2) راغب السرجاني: قصة العلوم الطبيّة في الحضارة الإسلامية، ط. 1، مؤسسة إقرأ، القاهرة 2009، ص. 31.

(3) سعد بن أبي وقاص: هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف؛ المكنى بـ "أبي إسحاق"، صحابي جليل، من الأوائل الذين دخلوا في الإسلام و أحد المبشرين بالجنة، أسلم و هو في ابن سبع عشرة سنة، كان أول من رمى بسهم في سبيل الله، و قائد الجيش الإسلامي في معركة القادسية سنة 14 هـ، توفي سنة 55 هـ. ابن قتيبة: المصدر السابق، ص. 241، 242؛ منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت 1992، ص. 237.

(4) الحارث بن كلدة: هو الحارث بن كلدة بن عمر بن علال الثقفي، و كان من الطائف، عاش في الجاهلية و الإسلام، تعلّم الطبّ في بلاد فارس و أخذ يدرس في جنديسابور و يلاحظ، و قد دامت مدّة أبحاثه هناك مدّةً طويلةً. لما مرض سعد بن أبي وقاص بمكة، عادده الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمّ دعا له الحارث بن كلدة، فعندما حضر تأمّله، ثمّ أعلن أن لا بأس عليه، و أعطاه وصفةً من التمر و الحلبة و السمن تُطبخ، ثمّ يحسوها فعملوا له ذلك فشفي، و بقي يداوي طيلة عهد الخلفاء الراشدين، و قد سأله مرّةً الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: ما الدواء؟ فقال الحارث الأزم؛ أي الحمية، و قد سُمّي يومذاك "طبيب العرب". ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الحزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ص. 161-167؛ علي شلق: العقل العلمي في الإسلام، منشورات جروس برس، طرابلس (لبنان) 1413 هـ / 1992 م، ص. 27؛ حسان الحلاق: مقدمة في تاريخ العلوم و التكنولوجيا، الدار الجامعية، 1990، ص. 32؛ الشطّي: المرجع السابق، ص. 31.

(5) راغب السرجاني: المرجع نفسه، ص. 31.

ب . تطوّر علم الطبّ في العصر العباسي :

لقد أدرك المسلمون من خلال هذه النصوص النبوية الصريحة ، أنّ علم الطبّ يحتاج إلى الإجتهد ، و دوام النظر و البحث ، فلم يقفوا عند حدود الطبّ النبوي الذي عُرف عن رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ، و الذي كان قائماً على الرقية و الحجامة ، و التداوي بالعسل و التمر والأعشاب الطبيعية ، مع إيمانهم بنفعه و بركته و إنّما حاولوا الإستفادة من إسهامات الأمم الأخرى في هذا الميدان خاصةً اليونانيين ، و دأبوا على قراءة مؤلّفاتهم الطّبيّة التي كانت تعجّ بها المكتبات خاصة في مدرسة الإسكندرية و جنديسابور ⁽¹⁾ ، ثمّ عكفوا على ترجمتها ⁽²⁾ ؛ و قد بلغت الترجمة ذروتها في العصر العباسي ؛ نتيجةً لحرص خلفاء بني العباس على العلم و المعرفة و تشجيعهم لترجمة كنوز الأمم الأخرى من الكتب و المؤلّفات ⁽³⁾ ، و تأسيسهم للمدارس الطّبيّة و المستشفيات ؛ و أوّلوها عنايةً فائقةً ⁽⁴⁾ . و ما يمكن قوله في هذا الصدد ؛ هو أنّ المسلمين كان لهم دورٌ كبير في الحفاظ على تلك الكنوز ، و إنقاذها من الضياع من خلال ترجمتها إلى العربية لأنّها كانت حبيسة الكهوف و المغارات ، و زوايا النسيان في بعض المخازن ⁽⁵⁾ .

⁽¹⁾ الدقّاع : رّواد علم الطبّ في الحضارة العربية الإسلامية ، ص. 68 ؛ عبد العزيز بن عبد الله : " تعليم الطبّ بالمغرب و العالم الإسلامي " مجلة الأكاديمية ، العدد 5 ، المملكة المغربية ، ربيع الثاني 1409 هـ / ديسمبر 1988 ، ص. 29 ؛ نشأت الحمارة : " فضل دمشق في تطوّر الطبّ بين العصرين النوري و المملوكي " ، مجلة التراث العربي ، العدد 55 ، سوريا ، ذي القعدة 1414 هـ / أبريل 1994 ، ص. 144 .

Fuad sezin , **ISLAMIC MEDCINE** , p 28

⁽²⁾ حنان فرقوني : المرجع السابق ، ص. 156 ؛

Gustave Le Bon : **La Civiltion Des Arabes** , Casbah éditions , Alger 2009 , p 445 .

⁽³⁾ Rosdi Rashed : **Histoire des sciences arabes** , édition du seuil , paris 1997 , tome 3 , p 157 .

⁽⁴⁾ العيدروس : المرجع السابق ، ص. 293 .

⁽⁵⁾ الدقّاع : المرجع نفسه ، ص. 75 ؛ حميد موراني : تاريخ العلوم عند العرب ، دار المشرق ، بيروت 1989 ، ص. 51 ، 52 .

إنّ عملية الترجمة و الإطّلاع على تجارب الأمم الأخرى ، و الإستفادة من مؤلّفاتها في مختلف العلوم لاسيما الطبّ ، يُثبت أنّ الحضارة الإسلامية كانت متفتّحة تمام الإفتتاح في أمور العلوم الحياتية ، و لم يكن هناك حرج في أن يأخذ العلماء المسلمون من غيرهم ، إذ كانوا يعتبرون هذه العلوم ميراثاً إنسانياً ، يستفيد منه الجميع ، بما في ذلك الأُمَّة الإسلامية (1) .

ج . المناهج الطبية عند المسلمين :

لم يكتفِ المسلمون بترجمة تلك المؤلّفات الطّبية ، و إنّما قاموا بتعديلها و تصحيح ما بها من أخطاءٍ تّجاه نظريات بعينها ؛ مثل ما قام به الطبيب " ابن النفيس " (2) ؛ حين اكتشف الدورة الدموية الصغرى ، و عارض النظريات اليونانية السابقة ؛ لاسيما " أبقراط " (3) ، و " جالينوس " (4) . و بالتّالي تمكّن المسلمون من وضع

(1) عبد العزيز بن عبد الله : المرجع السابق ، ص. 165 .

(2) ابن النفيس : علاء الدين بن أبي الحزم (ت 687 هـ) : طبيب عربي مشهور ، ولد في دمشق ، و سافر إلى مصر ، و هو أوّل من وصف الدورة الدموية الصغرى في كتابه (شرح تشريح القانون لابن سينا) ، و لكن المشتغلين بتاريخ الطبّ لم ينتهوا إلى ذلك ، إلّا في النّصف الأوّل من القرن العشرين ، من آثاره : (الموجز في الطبّ) ، (بُغية الطالبين و حجة المتطبين) ، (فاضل بن ناطق) ؛ و قد جعله على نمط (حيّ بن يقظان) لابن طفيل . منير البعلبكي : المرجع السابق ، ص. 39 ، 40 ؛ يوسف فرحات : المرجع السابق ، ص. 241 ؛ عبد العزيز خضر عباس : " الطبّ العباسي " ، مجلّة آفاق التراث و الثقافة ، العدد 34 ، دبي ، الإمارات العربية المتّحدة ، 1422 هـ / 2001 م ، ص. 202 .

(3) أبقراط (460 . 377 ق م) : طبيب يوناني ، يُعتبر أبا الطبّ ، عمل على تحرير الطبّ من الخرافات ، و حاول إقامته على أساس علميٍّ ؛ مُؤكّداً أهميّة الملاحظة السريرية ، و يُقال : إنّهُ وضع مبادئ للأخلاق الطّبية ؛ فرضها على تلاميذه ، و هي مبادئ تتضمّنهما اليمين ؛ الذي لا يزال الأطباء يُقسمونها حتّى اليوم في حفل التخرّج . ابن جلجل ، سليمان بن حسان الأندلسي : طبقات الأطباء و الحكماء ، تحقيق : فؤاد سيّد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، القاهرة 1955 ، ص. 16 ؛ منير البعلبكي : المرجع السابق ، ص. 15 .

(4) جالينوس (129 . 199 ق م) : طبيب يوناني ، يُعتبر أحد أعظم الأطباء في العصور القديمة ، أسّس الفيسيولوجيا التجريبية ، وضع عشراتٍ من المؤلّفات في علمي التشريح و الفيسيولوجيا ؛ سيطرت على الفكر الطّبيّ في أوربا طوال القرون الوسطى و عصر النهضة ، و قد أقام الدليل في آثاره هذه على ما يتميّز به تفكيره من أصالةٍ ، و نزعةٍ إلى الإختبار ، و من أجل ذلك ؛ عدّها بعض المؤرخون المعاصرون أحد الأسس التي قام عليها الطبّ الحديث . ابن جلجل : المصدر السابق ، ص. 41 ؛ منير البعلبكي : المرجع السابق ، ص. 156 .

معارف طبيّة خاصة بهم ، و منهج جديد يعتمد على التجربة و المشاهدة و الفروض ، و ليس منهجاً فلسفياً نظرياً بحثاً مثل ما كان عليه عند اليونانيين و الفرس ؛ و الذي لا يمكن تطبيقه في كثيرٍ من الأحيان (1) .

و هكذا اعتمد الأطباء المسلمون على المنهج التجريبي في علم الطبّ ؛ و كانوا يقومون بطرق مختلفة و متعدّدة للعلاج ، و ملاحظة الفروق ، و تسجيل ذلك بعناية و دقّة ؛ فكانوا يُدَوّنون ما يشاهدونه في الحالات المرضية المختلفة ، و يحاولون ابتكار العلاج المناسب لكلّ حالةٍ ، و في هذا الصدد يقول الطبيب المشهور ابن سينا (2) :

" ... و تعهّدت المرضى ، فانفتح عليّ من كلّ أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف ... " (3)

و يقول الرازي (4) : " ... عندما تكون الواقعة تُواجهنا متعارضة مع النظرية السائدة ، يجب قبول الواقعة حتّى و إن أخذ الجميع بالنظرية السائدة ، تأييداً لمشاهير العلماء ... " (5) ، و إنطلاقاً من هذا المنهج الجديد لم يقبل المسلمون بالنظريات و الأدوية القديمة التي استخدمها قدماء اليونانيين و الفارسيين ، و إنّما عملوا على تأسيس نظريات جديدة قائمة على التجربة و الواقع ، و ابتكار أدوية جديدة لمعالجة مختلف الحالات المرضية .

إنّ إتباع المسلمين لمنهج جديد في الطبّ لا يعني بالضرورة أنّهم تخلّوا عن مؤلّفات الأمم السابقة ، أو لم يستفيدوا منها ، بل العكس ؛ فقد نقلوا عن أطباءهم ، و اعتمدوا على بعض نظرياتهم ، و أعطوا التقدير و الإحترام الكافيين ، و نسبوا إليهم نظرياتهم و منجزاتهم ، و هو ما أثبت أمانة و نزاهة أغلب الأطباء المسلمين هذه الأمانة العلمية المشرفّة كانت بالفعل من أهمّ مناقب علماء المسلمين (6) ، خاصة أنّ المعاصرين من أبناء

(1) حسان حلاق : المرجع السابق ، ص. 35 ؛ أحمد أمين : المرجع السابق ، ج 2 ، ص. 10 .

(2) لمعرفة هذه الشخصية ؛ أنظر الفصل الثاني من هذا البحث ، ص. 70 .

(3) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 438 .

(4) لمعرفة هذه الشخصية ؛ أنظر الفصل الثالث من هذا البحث ، ص. 48 .

(5) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 420 .

(6) قدرتي حافظ طوقان : العلم مع الحياة ، ط. 2 ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1407 هـ / 1987 م ، ص. 99 .

الأمم الأخرى لم يكونوا يعرفون تاريخ أجدادهم ، و بالتالي كان من السهل سرقة أبحاثهم لولا البعد الأخلاقي العميق عند علماء المسلمين . وفي هذا الصدد ؛ يضرب لنا الرازي مثلاً فريداً في عصره عن الأمانة العلمية ، إذ جمع في كتابه (الحاوي) آراء أسلافه في جميع الأمراض ، ناسباً كلّ فكرةٍ إلى قائلها ، مُبدياً بعد ذلك رأيه ، مُرححاً أو ناقضاً أو مُتحمّطاً ؛ مُتخذاً تجربته السريرية دليلاً ، كما نجد في (الحاوي) ملاحظات و مشاهدات سريرية كثيرة و قصصاً عن ممارسته (1) .

إضافةً إلى كلّ ما ذكرناه سابقاً ، فإنّ المسلمين تميّزوا عن غيرهم من الأمم الأخرى في ممارسة الطبّ ، إذ لم يجعلوه حكراً عليهم حتّى في زمان قوّة دولتهم ، و لأنّهم كانوا ينظرون للطبّ على أنّه ميراث إنساني ، فتحوّ المجال أمام غيرهم من أطباء الأمم الأخرى ليساهموا بإنجازاتهم ، و قد رأينا سابقاً أنّ الرسول صلّى الله عليه و سلّم كان سبّاقاً لذلك ، حين أمر سعد بن أبي وقاصّ بالعلاج عند الحارث بن كلدة ، بالرغم من علمه بأنّه مازال مشركاً ، و بعد وفاته صلّى الله عليه و سلّم ، حذا المسلمون حذوه ، و فتحو الباب أمام الأطباء من غير المسلمين فظهرت أسماء نصرانية و يهودية مؤثرة في الطبّ ، سنحاول مستقبلاً بحول الله تعالى أن نخصّص لها بحثاً ؛ قد يكون عنوانه (إسهامات أهل الذمّة الطبيّة) ، و نكتفي بذكر عائلة "بختيشوع" (2) النصرانية ، التي ظلّت تحترف الطبّ لثلاثة قرون كاملة ، و نالت مكانةً عظيمةً في البلاط العباسي (3) .

(1) محمد ياسر زكور : " رسالة أبي بكر الرازي في الرّكّام التحسيسية " ، مجلّة : آفاق الثقافة و التراث ، العددان 22 ، 23 ، 1419 / 1998 ، ص. 205 .

(2) بختيشوع : و معنى هذه الكلمة " عبد المسيح " ، و عائلة بختيشوع هي عائلة سريانية ؛ إمتهنت الطبّ ، و خدمت في البلاط العباسي لعشرات السنين ، و لعلّ من أبرز أفرادها " جبرائيل " ، هذا الطبيب الذي خدم الرّشيد و الأمين و المأمون و الواثق ، و طسب بالطبّ ما لم يكسبه مثله ؛ ألف كتاباً عديدةً في الطبّ ، أشهرها كتاب (التذكرة) ، و قد سار على دربه أبناؤه و أحفاده من بعده . ابن التّلم : المصدر السابق ، ص. 354 ؛ 355 ؛ ابن جليل : المصدر السابق ، ص. 63 ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 186 ؛

Rosdi Rashed : op. cit , p. 163 .

(3) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 186 - 194 .

د . مكانة الأطباء في العصر العباسي :

نال الأطباء في العصر العباسي مكانةً هامةً في المجتمع ؛ ميّزها الإحترام و التقدير من الجميع ؛ سواءً تعلّق الأمر بؤلاة الأمور ، أو عامّة الناس ؛ و ذلك بفضل شرف مهنتهم ، و الحاجة إليهم ، و في هذا الشأن ؛ حضّي هؤلاء بمكانة خاصة في البلاط العباسي ؛ إذ عدّ الخلفاء وجودهم إلى جانبيهم من مستلزمات الحكم ؛ للإشراف على صحّتهم ، و صحّة أسرهم و حواشيهم ؛ فتكوّنت بذلك علاقات إجتماعية متينة بينهم ، و تطوّرت تطوّراً تدريجياً نتيجة هذا التفاعل المستمرّ بين الخلفاء و الأطباء ؛ إلى الحدّ الذي أصبح الطبيب أحد المدعّوين على موائد الخلفاء و لا يتناول الخليفة طعامه إلا بحضورهم (1) ، كما وجّه الخلفاء العباسيون عنايتهم إلى الأطباء ؛ من خلال متابعتهم ، و الإهتمام بأمورهم الشخصية ؛ من حيث سكّنتهم و ملبسهم و مشربهم و مأكلهم ، و بالتالي أقامت هذه الحضوة الخاصة للأطباء عند الخلفاء اعتباراً رسمياً كبيراً لهم ، ميّزتهم في التقدير و الإحترام و التفوذ عن كبار رجال الدولة ؛ كالقضاة و القادّة ؛ فكان لهم شرف المشاركة في المراسيم العامة ؛ التي يشترك فيها أعيان الدولة و المجتمع ؛ و بخاصة مراسيم استقبال و توديع الجيوش القادمة من بغداد ؛ و الخارجة منها ، و تهنيتها عند عودتها مُنتصرةً في الحرب (2) .

و مثلما أخذ الأطباء هذه المكانة عند الملوك و أفاضل الناس و خاصّتهم ؛ فإنّ العامة قد عبّروا عمّا يُكنونهُ للأطباء من التقدير و الإحترام ؛ و لعلّ المشاركة الواسعة في الإحتفاء بتعيين بعضهم أو في تشييعهم و دفنهم ؛ دليلٌ على هذه المكانة ؛ إذ أنّ طبيعة مهنة الطبّ ؛ ذات الصلّة المباشرة بالناس ؛ جعلت للطبيب دوراً فاعلاً في

(1) الرهاوي ، إسحاق بن علي (القرن الثالث الهجري / القرن التاسع الميلادي) : أدب الطبيب ، تحقيق : كمال السامرائي و داوود سليمان علي دار

الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1992 ، ص . 141 : 144 .

(2) اللّهيبي ، مؤيد عيدان كاطع : الإتجاهات الفكرية و السياسية في العصر العباسي ، دار محاكاة للدراسات و النشر و التوزيع ، دمشق (سوريا)

2012 ، ص 108 .

المشاركة في الحياة العامة ، و لم تتمثل هذه المشاركة من خلال ممارسة المهنة في المستشفيات فحسب بل تمتل أيضاً في معالجة المرضى في البيوت و السجون و مراقبة الجيوش و قوافل الحجّ ، و المساهمة في مكافحة الأمراض و الأوبئة و التصدّي للمشعوذين ؛ كما كانت معاملةًهم للناس يطغى عليها الجانب الإنساني ؛ إذ كان الطبيب حريصاً على مداواة مرضاه ، دون تفریقٍ على أساس اللّغة أو الدّين أو الجنس أو العمر (1) .

هـ . أجور الأطباء في العصر العباسي :

لقد كان أطباء العصر العباسي على درجة عالية من الثراء ، جعلتهم يُباهون الخلفاء في الزيّ و اللباس و ينافسون أصحاب الجاه و المناصب الكبرى و السّطة و النّفوذ ؛ فكانت الدّولة تعدّهم من الطبقة الغنيّة و تُعامِلهم على هذا الأساس (2) . أمّا عن موارد ثروتهم ؛ فهي عديدة ؛ أهمّها الأجور التي كانوا يتقاضونها نظير عملهم في البلاط العباسي ، أو بيوت الأمراء ، أو ترجمتهم للمؤلّفات الطّبيّة للأقدمين من أطباء اليونان و الهند أو مُقابل تدرّيسهم في المدارس ، أو علاجهم لمختلف الحالات المرضية . و ما يُقال في هذا الشأن ؛ أنّ هذه الأجور لم تكن تخضع لتشريع حكومي ؛ إذ تختلف حسب اختلاف الظروف و العهود و سخاء المرضى ؛ ممّا يجعلها غير ثابتة ، و تبقى سراً بين المريض و الطبيب ، كما أنّ بعض الأطباء كان يُعالج الفقراء بدون أجرٍ ؛ ممّا جعل أغلبهم يحضون بالإحترام و التقدير و الثناء من عامّة النّاس (3) ؛ و هو ما أشرنا إليه سابقاً .

و مثلما كان للأطباء مواردٌ ثابتةٌ كالأجور ؛ كان لهم موارد غير ثابتة ؛ كالهبات و المساعدات التي كانت تأتي في أغلب الأحيان ؛ نتيجةً لإنهاء خدمة الطبيب من العمل ، أو للتبشير بالحمل ، أو لشفاء مريض ، أو للإستشارة الطّبيّة ، أو غير ذلك . و من الموارد الأخرى التي كانوا يحصل عليها الأطباء ؛ تلك التي تأتي عن طريق الضياع التي

(1) السامرائي كامل : مختصر تاريخ الطب العربي ، ج 1 ، دار الحرّية ، بغداد (العراق) 1984 ، ص . 542 .

(2) اللّهيبي : المرجع السابق ، ص 54 .

(3) اللّهيبي : المرجع السابق ، ص 56 .

ملكوها ؛ إمّا عن طريق الهبة أو المنحة من الخلفاء و الأمراء ؛ أو عن طريق شراؤها ، فكانت هذه الضياع غالباً ما تُحقّق لهم أرباحاً كبيرةً ؛ خاصّةً إذا كانت مساحتها واسعة أو غير ذلك (1) .

المستشفيات في العصر العباسي :

عرف المسلمون الأبنية العامة الضخمة ؛ و منها البيمارستانات (2) ، و قد اهتمّ بينائها الحكّام على اختلاف أهميّتهم ؛ من الخلفاء و الوزراء ؛ و حتّى الأغنياء من عليّة القوم ، و عملوا على تجهيزها بالمعدّات و الأدوات (3) و يُعتبر الخليفة الأموي " الوليد بن عبد الملك " (ت . 96 هـ / 714 م) أوّل من أمر ببناء المستسفى في الإسلام ثمّ سار على دربه الخلفاء الأمويون ، ثمّ خلفاء بني العباس ؛ فانتسرت البيمارستانات في أمصار الدولة الإسلامية و عمّت منافعها ، و أصبحت قبلةً للمصابين بمختلف الحالات المرضية ، و أسهمت في شفائهم ، و التخفيف من آلامهم و معاناتهم (4) .

إنّ دور الطبيب في الخدمة العامة في البيمارستانات هو الدّور الأوّل و الأساس ؛ إذ يمتدّ هذا الدّور من بداية فكرة تأسيس البيمارستان ؛ و تقديم المشورة الصحيّة في اختيار الموقع الملائم ؛ من حيث التهوية و النّظافة ، إلى

(1) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 185 .

(2) البيمارستان : لفظ فارسي ، مركب من " بيمار " و معناها مريض ، و " ستان " بمعنى محلّ و قد إتصل هذا المصطلح في العهد الأموي بالأمّاكن المعدّة لمعالجة المرضى ، و أوّل من أقام بيمارستاناً لهذا الغاية من الخلفاء هو الوليد بن عبد الملك (97 - 99 هـ) ، حيث جعله للأبرص و المقعد الأعجمي ، ثمّ توالى الخلفاء من بعده بإنشاء البيمارستانات . مصطفى عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ، ص . 96 ؛ محمد فؤاد الذكري : الصناعة الطّبية في بلاد الشام ، مجلّة : آفاق الثقافة و التراث ، العدد 40 ، سؤال 1423 هـ / يناير 2003 م

ص 169 ؛ H.A.R GIBB : THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM , vol 2 ,forth

Impression , leiden , E J Brill , 1986 , p 1222

(3) زجيريد هونكه : المرجع السابق ، ص . 229 .

(4) حنان فرقوتي : المرجع السابق ، ص . 178 .

الخدمة فيه بالتطبّب و تقدّم العلاج ، و لأجل ذلك ؛ كانوا حريصين على الإكثار من المستشفيات العامّة و المتخصّصة و المتنقّلة ؛ و ذلك من أجل تلبية الحاجة المتزايدة للعلاج ؛ بسبب ما تُخلّفه بعض الأوبئة و الأمراض من آثارٍ سلبيةٍ على الحياة الصحيّة العامة للنّاس ⁽¹⁾ ، و قد أدّى هذا إلى أن يكون ما يزيد عن أربعة عشر مستشفى في بغداد وحدّها ⁽²⁾ ، و العشرات في أقاليم الدولة العباسية ، و من أشهرها : بيمارستان الرّشيد البيمارستان المقتدري البيمارستان العضدي ، و غيرها .

لقد أولى العباسيون بمواقع المستشفيات اهتماماً بالغاً ؛ ذلك أنّ اختيارها يخضع لعدّة معايير ؛ قوامها النظافة و جودة الهواء ، و صلاح الموقع ؛ فكانوا يُعلّقون اللّحوم في مواضع مختلفة من المدينة في وقتٍ واحدٍ ؛ فأيّها أسرع إلى التعفّن اجتنبوا مكانه ، و اختاروا فيه عوارض الفساد ؛ و هي طريقةٌ كانت من إكتشاف الطبيب المشهور " الرّازي " ؛ الذي كلّفه " عضد الدولة البويهى " باختيار موضع بناء البيمارستان ؛ و هو ما سنتطرّق إليه بالتفصيل فيما بعد ⁽³⁾ ، كما أنّ هذه الطريقة تُعني عن الأساليب العلمية المتبعة مؤخّراً ؛ للكشف عن موقع الجراثيم .

إنّ ما ميّز المستشفيات في العصر العباسي هو تنوّع الخدمات الصحيّة ، و كثرة التخصصات ، و تعدّد الأجنحة إذُ خُصّص كلّ جناحٍ لنوعٍ من الأمراض ، كما كان للمستشفى الواحد أجنحةً خاصّة للرجال ، و أخرى للنساء و الأطفال ؛ كلّ على حدّة . و قد بلغ حرص الأطباء برؤاد المستشفيات إلى أن عملوا على تدفّيتها شتاءً و تبريدها صيفاً ، و توفير كلّ ما من شأنه أن يُحقّق الشفاء للمريض ؛ و في هذا الصدد ؛ كان المرضى يوضعون في قاعاتٍ تُعرّف فيها الموسيقى ، و تُعرض فيها التمثيليات الفكاهية ، و تُقرأ لهم بعض القصص المفرحة ، و كان المريض إذا غادر المستشفى ؛ أُعطي له مبلغٌ يكفيه شهرين ؛ كيلا يعمل في هذه الفترة عملاً مُجهداً يُؤثر

(1) Pierre Vallas : : op. cit, p 181 .

(2) اللّهيبي : المرجع السابق ، ص 93 .

(3) مزيد من التفاصيل ؛ أنظر ص. 52 .

على صحّته . إضافةً إلى هذا ؛ فقد أُلحِقَت بالمستشفيات صيدلياتٌ ، و مكتباتٌ ؛ تحوي مختلف المؤلفات الطّبية ؛ كان يرجع إليها الأطباء و الجراحون و الصيادلة لإثراء معارفهم الطّبية (1) .

إنّ الملاحظ من كلّ ما سبق أنّ الطبّ في الإسلام قام على أسسٍ و ضوابطٍ شرعيةٍ ، تستند إلى القرآن الكريم و السنّة النبوية الشريفة ، و تضع حداً للتداوي بكلّ ما من شأنه أن يضرّ بصحة الإنسان ، أو يمسّ عقيدته فكان تحريم التداوي بالخمير و النجاسة و الكيّ و السّحر و الدجل و الشعوذة ، فأبجّه المسلمون نحو الطبّ النبوي الذي أقرّه الرسول صلّى الله عليه و سلّم ، و الذي كان قائماً على التداوي بالرقية الشرعية و الحجامة و الختانة و العسل و التمر و بعض الأعشاب الطبيعية ، و بعد وفاته صلّى الله عليه و سلّم ، توجه المسلمون نحو نقل و ترجمة المؤلفات الطّبية للأمم السابقة ، فلم يقفوا عند النّقل و الترجمة ، و إنّما أخذوا ما نقلوه ، ثمّ وصلوا إلى مرحلة الإبتكار و التّأليف ، و تناولوا ما نقلوه بالنّقد و التحليل ، و لم يكن هناك أدنى تردّد في تناول نظريات مشاهير الأطباء القدماء بالتعليق و الحذف ، و أحياناً بالإعتراض الكامل على الخ توى ، و بالتّالي أسّس المسلمون منهجاً جديداً خاصاً بهم في ميدان الطبّ ؛ قائماً على التجربة و الملاحظة و الأمانة العلمية ، فهذه خصائص عظيمة ساهمت في تطوّر هذا العلم ، و ميّزت المنهج الإسلامي في دراسة الطبّ عن غيره من المناهج ؛ كما أنّ الطبيب حضبي بمكانة هامة عند ولاة الأمور ، و نال احترام و تقدير من حوله من النّاس .

إنّ الطبّ الإسلامي الذي بلغ درجةً كبيرةً من التطوّر في العصر العباسي ؛ فتح المجال للجميع لممارسة مهنة الطبّ ؛ بما فيهم أهل الذمّة و الموالي ؛ إذ كان للأطباء الموالي الأثر البالغ فيما وصل إليه هذا العلم من مكانة ؛ بفضل إسهاماتهم في مختلف التخصصات الطّبية . فمن هم أشهر الأطباء الموالي في العصر العباسي ؟ و ماهي أهمّ إسهاماتهم الطّبية ؟

(1) حنان قرقوتي : المرجع السابق ، ص. 180 .

ب. تراجع أشهر الأطباء الموالى في العصر العباسي :

إنّ إسهامات الموالى في مختلف الاختصاصات الطبيّة ؛ تجلّتْ نقفُ أمام عظمة هؤلاء العباقرة الذين تركوا بصماتهم في علم الطبّ ؛ فأبدعوا فيه ، و أسهموا في تطوّره ، و تركوا معارف طبيّة خالدة ؛ أثرت على غيرهم و مهّدت لهم الطريق للكشف عن حقائق أخرى في هذا المجال . و كما أشرنا إليه في مقدّمة هذا البحث ؛ فإنّ قد حاولتُ البحث عن الأطباء الموالى الذين عاشوا في الفترة العباسية ؛ إلّا أنّي وجدت أنّ أكثرهم عاش في القرنين ؛ الثالث و الرابع الهجريين ؛ أي في العصر العباسي الثاني (232 . 334 هـ / 847 . 945 م) و العصر العباسي الثالث (334 . 447 هـ / 945 . 1055 م) ، و قد اُكتفيتُ بالتطرّق إلى اثني عشر طبيباً من الموالى ؛ من الذين عاشوا في بلاد المشرق الإسلامي ؛ تاركاً المجال لمن أراد أن يتوسّع في هذا الموضوع ، و يتناول شخصيات أخرى من الموالى ؛ لم يرِدْ ذكرها في هذا البحث ؛ و التي عاشت في الأقطار الإسلامية الأخرى ؛ على غرار مصر و بلاد المغرب الإسلامي ، و بلاد الأندلس . و قد حاولتُ خلال هذا العمل ؛ تسليط الضوء على أهمّ جوانب حياتهم ؛ تحيياً على عدّة تساؤلات منها : من هم أشهر الأطباء من الموالى ؟ و ما علاقتهم بغيرهم ؟ و كيف تعاملوا مع مرضاهم ؟ و ماهي أهمّ مؤلّفاتهم ؟

ب. 1. عليّ بن سهل الطبري :

هو عليّ بن سهل بن رين الطبري ؛ المكنّى بأبي الحسن ، وُلد و نشأ في الريّ بطبرستان ⁽¹⁾ ، عاش في القرن الثالث الهجري ، ينتمي إلى أسرة فارسيّة ؛ عُرفت بجاهها و علمها ، إذ كان أبوه " سهل " بارعاً في الحساب

⁽¹⁾ طبرستان : بلاد معروفة في بلاد فارس ، مشهورة بجبالها الكبيرة ، و أشجارها الكثيفة ، و سُميت بذلك لأنّ الشجر كان حولها كثيفاً ، فلم تصل إليها جنود كسرى إلّا بعد قطع تلك الأشجار بالفؤوس ، و الطّبر و التّبر بالفارسية يعني : الفأس ، و لذلك قيل : " طبرزين " . و أستان بمعنى : الشجر . و قد عزّبت العرب أستان ، فقالت لِضربٍ من الشجر : أسْتَن . وقد فتحها المسلمون بقيادة " سعيد بن العاص " سنة 29 هـ ؛ أي في عهد الخليفة " عثمان بن عفّان صلحاً ، ثمّ فتحها " عمرو بن العلاء " سنة 57 هـ . ابن فُتَيْبة : المصدر السابق ، ص . 568 ؛ البكري ، أبو عبيد =

و التنجيم و الطبّ ، فكان له الفضل الكبير فيما وصل إليه الطبري ، إذ تتلمذ على يده ، و اكتسب في صباه ثقافة واسعة في اللّغة ، و الأدب ، و التنجيم ، و الحساب ، و الطبّ . و رغم أنّه نشأ في أسرة نصرانية⁽¹⁾ ؛ فإنّه أسلم على يدّ الخليفة العباسي " المعتصم " ؛ بعد أن دعاه إليه في سامراء⁽²⁾ .

لم يكتفِ ابن ربن الطبري بما تلقاه من تعليم في صباه ، و إنّما رحل إلى بغداد طلباً للعلم ، و رغبة في توسيع ثقافته العلمية ، و الإطلاع على الكتب القيّمة و النّفيصة ؛ التي كانت تعجّ بها دار الحكمة ، و أملاً في الإستفادة من علماء عصره ، فكان له ما أراد ، و مكث فيها مدّة من الزمن ، ثمّ عاد إلى بلاده ؛ ليصبح عالماً مُدرّساً للعلوم الطّبيّة ، و طبيباً حكيماً ؛ يُلجأ إليه لمعالجة مختلف العلل و الأمراض المستعصية ، فزادت شهرته و مكانته ، و علا شأنه ، و نال إحترام و تقدير الجميع ، و كثر طلابه . و ممّا يدلّ على هذه المكانة الرّاقية لهذا الطبيب ؛ هو أنّ أحد أبرز أعلام الطبّ الإسلامي على مدى عُصوره تتلمذ على يده ، و المقصود هنا هو " الرازي "⁽³⁾ ، و كما أشرنا إليه سابقاً ، فإنّ الطبري استدعاه الخليفة " المعتصم " إلى سامراء ؛ بعد أن سمع به ، فكان ذلك الإستدعاء مُعرجاً حاسماً في حياته ، إذ كان سبباً في إعتناقه الإسلام من جهة ، و من جهة أخرى سمح له بالدخول إلى البلاط العباسي ، و كسبه لإحترام و رضا ولاة الأمور .

إنّ عليّ بن سهل بن ربن الطبري ؛ كغيره من علماء زمانه ، إنكبّ على مطالعة و دراسة مؤلّفات علماء الأمم السابقة ؛ لاسيما في ميدان الطبّ ، و ترجمتها ، و إثرائها بالشرح و التحليل و التعليق ، و إبداء رأيه فيها ؛ إمّا بالترجيح أو التّقد ، مُعتمداً في ذلك على ما توصّل إليه من نتائج ؛ بعد الملاحظة و التجربة ، و بد ذلك جلياً في

عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487 هـ) : معجم ما أشتعج من أسماء البلدان و المواضع ، مج. 2 ، تحقيق : جمال طلبة ، دار الكتب

العلمية بيروت ، لبنان ، 1418 / 1998 هـ ، ص. 155 ، 156 ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج. 4 ؛ ص. 13 · 16 .

⁽¹⁾ . Rosdi Rashed : op. cit , p 164 .

⁽²⁾ البيهقي ظهير الدّين : المصدر السابق ، ص 22 ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 414 .

⁽³⁾ ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص 414 ؛ القفطي : المصدر السابق ، ص 231 ؛ الدقّاع : رواد علم الطبّ عند ... ، ص. 176 .

مؤلفاته القيّمة و النّفيسة ، و لعلّ من أهمّ تلك المؤلّفات : كتاب (فردوس الحكمة في الطبّ) ، و يُعتبر هذا الكتاب من المراجع الهامّة للطبّ الإسلامي ؛ إلى جانب كتاب (الحاوي) للرازي ، (كامل الصناعة الطّبيّة) للأهوازي ، و (القانون) لابن سينا ،... إلخ ، فقد جمع في هذا الكتاب بين العلوم الطّبيّة ، و الآراء و الأفكار الفلسفية لكثيرٍ ممّن سبقوه من العلماء كأبقراط ، و جالينوس ، و حنين بن إسحاق ، و غيرهم ⁽¹⁾ ، فكان بحقّ موسوعة في مجال الطبّ ؛ إستفاد منها كثيراً طلاب العلوم الطّبيّة و الصيدلانية في العالم الإسلامي ، و كذا الغرب المسيحي .

إضافةً إلى هذا الكتاب النّفيس ؛ ألّف هذا الطبيب الحكيم كُتباً أخرى لا تقلّ أهميّةً عنه ، منها : كتاب (حفظ الصحة) ، و كتاب (منافع الأغذية و الأطعمة و العقاقير) ، و كتاب في الحجامة ، و آخر في ترتيب الأغذية ، و آخر في الأديان و محاسن الإسلام ، و غيرها من المؤلّفات ، أمّا عن أقواله المأثورة فهي كثيرة ؛ تُبيّن مدى حكمة هذا الطبيب ، نكتفي بذكر بعضها ؛ و منها : " شرّ القول ما نقض بعضه بعضاً " و " الطبيب الجاهل مستحقّ الموت " و " السلامة غاية كلّ سؤال " و " طول التجارب زيادة في العقل " ⁽²⁾ .

ب . 2 . أبو بكر الرازي :

هو محمد بن زكريا الرازي الصيرفي ، و ألحق لقب " صيرفي " ⁽³⁾ باسمه لأنّه كان صيرفياً في بلده " الري " ⁽⁴⁾ يُعرف عند الغرب باسم " رازيس " ، و يُلقب بأبي الطبّ العربي ، ولد في مدينة " الري " ⁽¹⁾ سنة 251 هـ ⁽²⁾

⁽¹⁾ الدّقاع : رّواد علم الطبّ عند العرب و المسلمين ، ص 178 ؛ علي أكبر ولايتي : موسوعة الإسلام و إيران ، دار الهادي ، بيروت 1427 هـ / 2007 ، مج. 1 ، ص. 300 .

⁽²⁾ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 414 ؛ الدّقاع : رّواد علم الطبّ عند العرب و المسلمين ، ص. 177 .

⁽³⁾ صيرفي : الصيرفي هو صرّاف الدراهم ؛ المتصرّف في الأمور ، و المجرّب لها . علي بن هادية و آخرون : القاموس الجديد للطّلاب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1411 هـ / 1991 ، ط. 7 ، ص. 575 .

⁽⁴⁾ البيهقي ظهير الدّين : المصدر السابق ، ص. 21 .

أي عاش في العصر العباسي الثاني ؛ أيام الخليفة المعتضد (279 هـ / 289 هـ) ، الذي عُرف بحبّه و تقديره للعلماء على غرار من سبقه من الخلفاء ، كهارون الرشيد و المأمون و المعتصم ، فكانت بغداد آنذاك قبلةً لِطُلاب العلم من كلّ أرجاء العالم الإسلامي ، نظراً لِكثرة علمائها و مكباتها و معاهدها العلمية المتخصصةّة ، فاحتضن المعتضد الرّازي لمكانته العلمية في مجال الطبّ و الكيمياء ، فعينه رئيساً لِمجمع الأطباء ببغداد ، و من هنا زادت شهرته ، و ذاع صيته بين معاصريه (3) .

(4) كان الرّازي منذ صغره يميل إلى الأدب و الشعر و الموسيقى ، فكان ماهراً في الغناء و ضرب العود و استمرّ في ذلك فترةً من شبابه ؛ أي حتّى وصل الثلاثين من عمره ، و بعدها إنصرف عن ذلك ، و صبّ اهتمامه نحو العلوم العقلية ؛ لاسيما الفلسفة و الكيمياء و الطبّ ، فعكف على دراسة و قراءة كتب حكماء و فلاسفة الأمم الأخرى ، خاصةً " أبقراط " و " جالينوس " ، و على غرار بقية الأطباء المسلمين ، لم يكتب الرّازي بالإطّلاع عليها و قراءتها ، و إنّما حاول تقييمها ؛ إمّا بالترجيح أو التعديل ، أو الرّفص أحياناً ، معتمداً في ذلك على ما وصل إليه من النتائج بعد الملاحظة و التجربة ، و هو ما سبق ذكره ، كما قام بجمع تلك المؤلّفات ، و كان له الفضل الكبير في إنقاذها من الضياع ، و في هذا الشّأن كان يقال : " ... كان الطبّ معدوماً فأوجده أبقراط

(1) الريّ : مدينة مشهورة في بلاد فارس ، و هي قسبة بلاد الجبل ، بينها و بين نيسابور مائة و ستون فرسخ ، فتحها المسلمون بقيادة " أبي موسى

الأشعري " ؛ في خلافة عثمان بن عفّان صلحاً . ابن قُتيبة : المصدر السابق ، ص 568 ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج. 3 ، ص. 246 ؛ 247 ؛

H.A.R GIBB : : **op. cit** , vol 2 , p 634 .

(2) ابن جليل : المصدر السابق ، ص. 77 .

(3) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 415 ؛ الدقّاع : رواد علم الطبّ عند العرب و المسلمين ، ص. 210 .

(4) ابن جليل : المصدر السابق ، ص. 77 ؛ القفطي : المصدر السابق ، ص. 272 ؛ حنان قرقوتي : المرجع السابق ، ص. 159 .

و ميّناً فأحياه جالينوس ، و مشتتاً فجمعه الرازي ... " (1) ، كما تعامل مع تلك الآراء و الأفكار بأمانة علمية عالية ، ذلك أنّه كان ينسبها إلى أصحابها دون تأويل أو تحريف (2) .

إنّ نشأة الرازي و كبر سنّه ، لم يمنعه من الخوض في مجال صعبٍ مقارنةً بالأدب و الشعر و الموسيقى و الغناء فلم يدرس الكيمياء و الفلسفة إلّا بعد أن تجاوز الثلاثين من عمره (3) ، كما لم يبرز في مجال الطبّ إلّا بعد الأربعين من عمره ، و هذا يدلّ على مدى رغبة هذا الطبيب الفيلسوف في طلب العلم ، و إثراء ثقافته العلمية ، و الخوض في العلوم العقلية ؛ التي كانت مستعصيةً على الكثير من صغار السنّ ، فما بالك بالكبار ؟ ، و بالتالي سمح له ذلك من نيل مكانةٍ رفيعةٍ بين معاصريه ، نظراً لعبقريته و سعة إطلاعه ، فجمع الأفكار الطبيّة من المصادر المختلفة في مؤلّفاته المختلفة ، و علّق عليها تعليقات ثمرة و نافعة ، فانفرد بإنجازات عظيمة ؛ كان لها الأثر الكبير فيما وصل إليه الطبّ الحديث ، و أضحت كتبه و مؤلّفاته مرجعاً مهماً لطلّاب العلوم الطبيّة و الصيدلانية في العالم الإسلامي و كذا الغرب المسيحي ؛ بعد أن تُرجمت إلى لغاتٍ عديدةٍ ، و هو ما سنذكره بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا البحث .

إنّ ممّا زاد من حبّ الناس و تقديرهم للرازي ، هو تواضعه الكبير معهم (4) ، و صدقه ، و كرهه للتّفاق و الرياء و الدّجل ، و رفقه بالمرضى ، و رأفته بالفقراء حتّى لُقّب بـ "طبيب الفقراء" ؛ إذ يقول : " ... و ينبغي للطبيب أن يُعالج الفقراء ؛ كما يُعالج الأغنياء .. و هكذا علينا أن نقتفي السنّة التي سنّها الحكيم ... " (5) و يقول ابن أبي أصيبعة في هذا الشّأن : " ... و كان الرازي ذكياً فطناً ، رؤوفاً بالمرضى مُجتهداً في علاجهم ، و في

(1) أحمد شوكت الشطّي : تاريخ الطبّ ، آدابه ... ، ص. 225 .

(2) الدّقاع : رّواد علم الطبّ عند العرب و المسلمين ، ص. 211 .

(3) Rosdi Rashed : **op. cit**, tome 3 , p. 166 .

(4) زجريد هونكه : المرجع السابق ، ص. 246 .

(5) الرازي ، أبو بكر زكريا : أخلاق الطبيب ، ط 2 ، تحقيق : عبد اللّطيف محمد العبد ، المكتبة العصرية ، بيروت 1400 هـ / 1980 ، ص. 33

بُرئهم بكلِّ وجهٍ يقدر عليه ، مُواظباً للنظر في غوامض صناعة الطبّ ، و الكشف عن حقائقها و أسرارها ... و فيما تفرّد به في مداواة المرضى ، و في الإستدلال على أحوالهم ؛ فيما خبّره من الصفات و الأدوية التي لم يصل إلى علمها كثير من الأطباء ... " (1) ، كما عُرف عنه أنّه كان يُوزّع وقته بين طلابه و تجاربه العلمية ، و التصنيف و قراءة المعالجات الطبّية الجديدة ؛ التي وصل إليها زملاؤه و طلابه ، فكان يستفسرهم في بعض الحالات المرضية الخطيرة لإشراكهم في المسؤولية ، أو الحصول على رأيٍ ثانٍ جديدٍ يمكن أن يساعد في شفاء المريض ، و يُروى عنه ؛ أنّه كان يجلس في مجلسه و دونه تلاميذه ، و دوّهم آخرون ، و كان الرجل يصف مرضه و حالته لأوّل من يلقاه منهم ، فإن كان عنده علم به عاجله ، و إلّا تعدّاه إلى غيره ، فإن أصابوا ، و إلّا تكلم الرّازي في ذلك (2) .

لقد شملت إنجازات الرّازي الطبّية اختصاصات متعدّدة ، كالجراحة ، و التشريح ، و الطبّ التّفسي ، و طبّ العيون ، و الأمراض التناسلية ، و علم الأدوية ، و غيرها من الإختصاصات التي ورد ذكرها في هذا البحث ، أبداع فيها في وصف و تشخيص العلل و الأمراض ، و تفنّن في علاجها ، إمّا بالإعتماد على الملاحظة و التجربة بالنسبة للأمراض الجسدية ، أو اللّجوء إلى الحيلة و الذكاء لمعالجة الأمراض التّفسية ؛ على غرار معالجته لإمير بخارى " المنصور " ، و هناك قصصٌ طريفةٌ أخرى تُروى عن الرّازي ، منها التي تخصّ مكان إختيار بناء البيمارستان العضدي ، حين استشاره الخليفة " عضد الدولة " (3) في ذلك ، فأخذ الرّازي قطعاً من اللّحم ، و وضعها في

(1) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 416 .

(2) أحمد شوكت الشطّي : تاريخ الطبّ ، آدابه ... ، ص. 244 .

(3) عضد الدولة البويهّي ؛ فخرنا سرو بن بويه : أحد أشهر ملوك الدولة البويهية ، و قد بلغت الدولة في عهده أوج عظمتها ؛ إذ تمكّن من توحيد فارس و العراق تحت نفوذه ، و استطاع خلال الفترة الطويلة التي حكمها (35 سنة) أن يُحقّق للدولة العباسية إستقراراً ، و ازدهاراً حضارياً كبيراً ؛ من خلال الأعمال العمرانية ، و تشجيع العلم ، و إكرام العلماء ، و الإنعام عليهم ، و صار يُقرّبهم من حضرته . عبد السلام الترماني : المرجع السابق

ج. 2 ، المجلّد 1 ، ص 815 ؛ يوسف علي بديوي : عصر الدويلات الإسلامية في المغرب و المشرق ، دار الأصاله ، الجزائر 1431 هـ /

2010 ، ص. 267-269 ؛ آدم متر : المرجع السابق ، ص. 450 .

أماكن متفرقة من بغداد ، و بعد مدّة قصيرة فحص اللّحم ، فاقترح على الخليفة أن يبني البيمارستان في المكان الذي وُجد فيه اللّحم أقلّ ميلاً إلى التعفن ، ثمّ طلب الخليفة أن يُرشد له من يصلح لإدارة البيمارستان ⁽¹⁾ ، فقدّم له قائمةً طويلةً ، و بقي الخبراء يختصرونها للخليفة حتّى حدّدها بثلاثمائة طبيب ؛ من بينهم الرازي ، فاختار الخليفة " عضد الدولة " الرازي ليكون مديراً للبيمارستان ⁽²⁾ .

إضافةً إلى كلّ ما ذكرناه ، فإنّ للرازي قصصاً أخرى تدلّ على ذكائه في معالجته لبعض الأمراض ، مثال ذلك قصة ذلك الرجل الذي كان ينفث الدّم ، فلمّا جيئ إلى الرازي ، سأله عن المياه التي شربها في طريقه ، فأخبره أنّه قد شرب من المستنقعات ، فأدرك الرازي أن ذلك النّفث للدّم من فعل علقّة ؛ حوصلت في معدّته ، فطلب منه أن يشرب إنائين كبيرين ؛ وضع فيها طحلب أخضر ، و أجبره بالقوّة على إتمامها إلى أن تقيماً المريض ، و خرجت العلقّة ؛ التي التقت بالطحلب ، و نهض الرجل معافى ⁽³⁾ .

ب . 3 . ابن أبي الأشعث :

هو أحمد بن محمد بن أبي الأشعث ، المكنّى بـ " أبي جعفر " ، المتوفى سنة 360 هـ ، طبيب من بلاد فارس و أحد كبار علمائها في زمانه ، قضى حياته متنقلاً بين بلاد فارس و العراق ، و قد جمع هذا الطبيب بين العلوم الطّبيّة و الدّينيّة ، الشّيء الذي انعكس على سلوكه و شخصيته ، إذ عُرف بحسن الخلق و التواضع و الصّلاح و حبّ الخير ، و العطف على الفقراء ، إضافةً إلى كثرة أولاده ، أشهرهم محمّد ، الذي اختار مهنة الطبّ على غرار أبيه ، لكنّه لم يرتق إلى مكانة والده .

⁽¹⁾ Rosdi Rashed : **op. cit** , tome 3 , p 166 .

⁽²⁾ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 415 ؛ الدّفاع : رواد علم الطبّ ، ص 218 ؛ محمد أمين فرشوخ : المرجع السابق ، ص 46 ؛ حربي عبّاس و حستان حلاق : المرجع السابق ، ص 292 .

⁽³⁾ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 417 ؛ الدّفاع : رواد علم الطبّ عند العرب و المسلمين ، ص 217 ؛ زنجريد هونكه : المرجع السابق ص 245 ، 246 .

إنّ ابن أبي الأشعث هو مثال للطبيب المسلم ، الذي إختار الأمانة العلمية منهاجاً له في علمه و مهنته ، فكان

لا يرى حرجاً في نقل و ترجمة مؤلّفات أطباء الأمم الأخرى ، و نسبها إلى أهلها ، و إثرائها إمّا بالشرح و التفصيل و الملاحظات ، و إمّا بالتقدّح أحياناً ، و هو ما تجلّى في شرحه لكتب جالينوس ⁽¹⁾ الستّة عشر ، إذ يقول ابن أبي

أصيعة في هذا الشأن : " ... و كان عالماً بكتب جالينوس ، خبيراً بها ، مطّلعاً على أسرارها ، و قد شرح كثيراً منها ، و هو الذي فصلّها إلى جملي و أبواب و فصول ، و قسمها تقسيماً لم يسبقه إلى ذلك أحد غيره ... " ⁽²⁾ .

أقام أبو جعفرٍ بالموصل ، بعد أن لجأ إليها هارباً من بلاد فارس ، إثر مصادرة أملاكه ، فدخلها بحالة سيئة من

العري و الجوع ، و من حسن حظّه أنّ إتّصل بالأسرة الحمدانية ⁽³⁾ الحاكمة ، و إستطاع بواسطة علاجه لوليد

عليّ لناصر الدولة " أبي محمد الحسن (317 . 356 هـ) أن ينال رضا هذا الأمير ، فقد تمكّن بفضل دهائه

و فطنته ، و غزارة علمه من علاج هذه الحالة المستعصية ، التي عجز أطباء الموصل عن شفائها ، و أبحر الجميع

فكان جزاؤه أن قرّبه الأمير منه ، و خصّه بالعتاء و الإحترام ، و أصبح من كبار علماء الموصل و العراق في زمانه

كما أنشأ مدرسة متخصصة في العلوم الطّبية ؛ و التي أصبحت قبلةً لطلّابها من أمصار العالم الإسلامي . و بعد

وفاة ناصر الدولة ، بقي ابن أبي الأشعث مقرّباً من الأسرة الحمدانية الحاكمة ، خاصةً مع الأمير عضد الدولة

⁽¹⁾ جالينوس : (129 . 199 هـ) طبيب يوناني ، يُعتبر أحد أعظم الأطباء في العصور القديمة ، أسّس الفيسيولوجيا التجريبية ، وضع عشرات من

المؤلّفات في علمي التشريح و الفيسيولوجيا ؛ سيطرت على الفكر الطّبي في أوروبا طوال القرون الوسطى ، و خلال عصر النهضة . القفطي : المصدر

السابق ، ص 122 ؛ منير البعلبكي : المرجع السابق ، ص. 156 .

⁽²⁾ عيون الأنباء في طبقات ، ص. 331 .

⁽³⁾ الأسرة الحمدانية : ينتسب الحمدانيون إلى حمدان بن حمدون ؛ من قبيلة تغلب العربية الأصل ، أسّسوا دولتهم في مناطق واسعة من العراق و الشام

خاصةً في الموصل و حلب ، أشتهروا بمولّاتهم للخلافة العباسية ، و بقنّاتهم للقرامطة . و قد دام وجود هذه الدولة قرابة واحدٍ و تسعين سنةً ، أي في

الفترة الممتدّة بين (448 · 441 هـ / 1056 · 1147 هـ) . القرمانى : المصدر السابق ، مج. 2 ، ص. 435 ؛ يوسف علي بديوي : المرجع

السابق ص. 275 ؛ آدم متر : المرجع السابق ، ص. 136 .

" أبي تغلب الغضنفر " (356 . 369 هـ) ، و بالتالي قضى آخر أيام حياته مقرّياً من الأمراء ، بعد أن كان طريداً لاجئاً في أرض العراق⁽¹⁾ .

لقد جمع ابن أبي الأشعث بين علمي الطبّ و الصيدلة ، إذ يرى أنّ الطبيب النّاجح ينبغي له أن يكون ملماً بكلّ أصناف الأدوية ، من أعشابٍ طبيعيّةٍ و عقاقيرٍ ، و مدركاً لمدى تأثيرها على البدن ، و علاجها لمختلف العلل و هذا ما أشرنا إليه سابقاً ؛ حين طلب منه تلاميذه أن يؤلّف كتاباً حول الأدوية المفردة ، فاستجاب لهم ، و ألّف كتابه المشهور (الأدوية المفردة)⁽²⁾ ، هذا الكتاب الذي نجد في مقدّمته كلاماً يدلّ على مدى فصاحته و براعته في التّأليف ، فعندما قرّر تنفيذ رغبة طلابه ، خطر على باله أن يجعل هذا الكتاب الجديد مرجعاً للمتخصّصين في العلوم الطبيّة و الصيدلانيّة ، القادرين على الشّرح و القياس و الإستخلاص و النّقد ، و ليس في تناول عمّامة النّاس و هنا تكمن عبقريته⁽³⁾ .

إنّ الملاحظ في مؤلّفات أبي جعفر الكثيرة ، هو أنّه تميّز عن غيره من الأطبّاء في الكتابة و التّأليف ، ذلك أنّه جعلها لدوي المستويات المختلفة ، إذ نجده يُخصّص كتباً لِدِراسي الطبّ المبتدئين ، و أخرى لمن تجاوز حدّ تعلّم الطبّ ، و تحمياً للدراسات العليا ، كما أنّ مؤلّفاتهِ لم تقتصر على الطبّ فحسب ، و إنّما كتب في علومٍ أخرى شأنه شأن الكثير من علماء زمانه ؛ الذين كانوا يكتبون كلّ ما تيسّر لهم من العلوم⁽⁴⁾ ، و على العموم يمكن تقسيم مؤلّفاتهِ إلى طبّيّة و غير طبّيّة ، أمّا بالنّسبة إلى الكتب الطّبّيّة ، نجد هذا الطبيب في بعضها يشرح و يُصنّف كتب الأقدمين ، لاسيما كتب " جالينوس " ، التي فضّلها إلى جملٍ و أبوابٍ و فصولٍ ، و قسّمها تقسيماً لم

(1) هشام نشابة و آخرون : موسوعة أعلام العلماء و الأدباء العرب و المسلمين ، دار الجيل - بيروت ، 1425 هـ / 2004 ، مج. 2 ، ص. 37 .

(2) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 332 .

(3) الدقّاع : رُواد علم الطبّ عند العرب و المسلمين ، ص. 232 .

(4) هشام نشابة و آخرون : المرجع نفسه ، ص. 37 .

يسبقه إليه أحد ، لئسهل على الدّارس فهمها و إستيعابها ، كما أُلّف بعض الكتب الطّبيّة العامة ، و تشمل نحو عشرة كتب أشار إليها ابن أبي أصيبعة ، و منها : كتب (السرسام و البرسام و مداواتهما) ، (أمراض المعدّة) (الجدري و الحصبة و الحميقاء) ، (البرص و البهق و مداواتهما) ... إلخ⁽¹⁾ ، إضافةً إلى المؤلّفات التخصصية التي أُلّفها للطلبة ذوي المستوى العالي في الطبّ ؛ أي صنّفها للنّخبة من تلاميذه ، الذين وصلوا إلى مرحلة متقدّمة جداً في العلوم الطّبيّة ، و لعلّ أهمّ تلك الكتب : كتاب (الأدوية المفردة) الذي أشرنا إليه سابقاً ، و الذي كتبه إستجابةً لطلب تلاميذه ، فجعله خاصاً لمن يستطيع الإنتفاع به ، و إستنباط ما فيه من أحكام لم يذكرها ، أو إضافةً أخرى ، فاشتمل هذا الكتاب على القوانين و الشرائع التي تُنظّم علم الأدوية و الغذاء ، و الكلّيات و الخواص ، و مقادير الأدوية ، و هناك كتاب آخر يشرح فيه أعضاء الجسم من الناحية التشريحية ، و المنافع الطّبيّة لكلّ منها سمّاه (الغازي و المغتذي) ، ، و توجد من هذا الكتاب نسخة خطّية في المكتبة البريطانية ، و هو أقدم كتاب عربي مخطوط في العلوم الطّبيّة في هذه المكتبة⁽²⁾ ، أمّا مؤلّفاته غير الطّبيّة فهي كثيرة ، منها : كتب (الحيوان) ، (العلم الإلهي) ، مقال في التّوم و اليقظة ... إلخ⁽³⁾ .

إنّ ما ينبغي التذكير به ، هو أنّ ابن أبي الأشعث كتب معظم مؤلّفاته في قلعة " برقى " في أرمينية⁽⁴⁾ ، التي لجأ إليها مُكرهاً ، إذ غادرها إثر الزحف المغولي على بلاد فارس ، فظلّ فيها مدّة من الزمن ، و لكنّ إستقرّ به المقام

(1) عيون الأنباء في طبقات ... ، ص. 332 .

(2) هشام نشابة و آخرون : المرجع السابق ، ص 38 ؛ عبد السلام الترماني : المرجع السابق ، مج. 1 ، ص. 765 .

(3) ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص. 332 .

(4) أرمينية : إسمٌ لصقّ عظيمٍ من جهة الشمال ؛ و قد سُمّيت بهذا الإسم نسبةً لـ " أرمينيا بن كِنطا بن أومر بن يافث ابن نوح عليه السلام ؛ و كان أوّل من سكّنها . و كانت أرضاً تابعةً للروم حتّى فتحها المسلمون ، و قد ذُكر أنّ هذه الأرض الواسعة كان بها مائة و ثماني عشر مملكة . ياقوت الحموي :

معجم البلدان ، مج. 1 ، ص. 160 ، 161 ؛

في مدينة الموصل ، و عمل هناك إلى غاية وفاته ، و يقول ابن أبي أصيبعة في هذا الصدد : " ... و كانت وفاة أحمد بن أبي الأشعث ؛ رحمه الله في سنة ثلاثمائة و نيف و ستين للهجرة ، و كان له عدّة أولاد ، و الذي و جدّته مشهوراً منهم في صناعة الطبّ محمّد ... " (1) .

و في الأخير ، أحتّم كلامي عن هذ الطبيب الكبير بنصيحته للأطباء ، و دعوته إيتاهم للإرتقاء بمهنة الطبّ و حسن معاملتهم للمرضى ، و خشية الله في عملهم ، إذ يقول : " ... إنّ الله فرض البلاغ أيّها الأطباء ... إنّ الله يسألكم عمّا فعلتم في أبدان النّاس ، فهذا ما أعظ به الطبيب ... " (2) .

ب . 4 . أحمد بن عليّ مسكويه :

هو أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ؛ المكنّى بأبي عليّ ، سُمي كذلك نسبةً إلى المسك ؛ لخصاله الحسنة كما يُقال ، أو لإتّاه كان يُحبّ التطيّب بالمسك أو " المشك " بالفارسية ، و لذلك أطلق عليه بعضهم لقب : " مشكويه " (3) . هو طبيب ، و مؤرّخ ، و فيلسوف فارسي (4) ، ينحدر من أصلٍ مجوسيّ ، و ينتمي إلى أسرة كبيرة ذات ثروة و جاه و تاريخ عريق ، يعتبره بعض المؤرّخين مجوسياً ثمّ أسلم ؛ على غرار ما ذكره ياقوت الحموي (5) و لكن هناك من ردّ عليه ، و أثبت أنّه كان مسلماً ، و أنّ جدّه هو الذي كان مجوسياً ؛ باعتبار أنّ اسمه " أحمد " ، و اسم والده " محمد " ، و كان يُكنّى " أبو عليّ " (6) .

(1) عيون الأنباء في طبقات ... ، ص. 332 .

(2) ابن أبي الأشعث ، نقلاً عن هشام نشابة و آخرون : المرجع السابق ، ص. 38 .

(3) زهير حميدان : أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية و التطبيقية ، المجلّد 1 ، مكتبة الأسد ، دمشق ، سوريا 1995 ص. 97 .

(4) Dominique Sourdel : : op. cit , p 68 .

(5) ياقوت الحموي الرّومي : معجم الأدباء . إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ج. 2 ، ص. 495 .

(6) الدقّاع : إسهامات علماء العرب و المسلمين في علم الحيوان ، ص. 127 ، 128 .

وُلد هذا الطبيب في أصفهان ⁽¹⁾ سنة 330 هـ ، و ترعرع فيها ، و عاش مُتَنَقِّلاً بين مناطق مختلفة في بلاد فارس ، مرّ بأوقاتٍ صعبةٍ في صباه ؛ إثر وفاة والده ، و تزوّج والدته بشابٍ أصغر منها سنّاً ، و ما إنْجَرَ عن هذا الزواج من مشاكلٍ ؛ أثّرت على حياته ، فأهملته والدته ، حتّى صار طعماً لرفقاء السوء ، فانحرف ، و انصرف إلى اللّهُو و المتعة ، و التفاخر بالمال و الجاه ، ولكن سرعان ما استيقظ ، و عاد إلى جادة الصواب ، و تدارك الأمر و انصرف لطلب العلم ⁽²⁾ . ويُعتبر " ابن مسكويه " من العلماء العِصاميّين القلائل ؛ الذين عرفتهم الحضارة الإسلامية ، إذ لم يتلمذ على أستاذٍ مُعيّنٍ ، و إنّما اعتمد على نفسه في توسيع ثقافته العلمية ؛ مُستفيداً من عمله كخازنٍ ⁽³⁾ عند " عضد الدولة البويهّي " ، ممّا سمح له المجال بالإطّلاع على مختلف الكتب التي كانت تعجّ بها المكتبات ، فأضحى عالماً فاضلاً ، متمكناً و مُبدعاً في مختلف العلوم النّقلية و العقلية ؛ كالأدب ، العلوم الشرعية الفلسفة ، الكيمياء ، و الطبّ... إلخ ، و كسب احترام الجميع ؛ بما في ذلك وُلاة الأمور ، و احتلّ المكان اللائق في البلاط العباسي ، ويقول القفطي في هذا الشّأن : " ... إنّ أبا عليّ بن مسكويه هو من كبار فضلاء العجم و أجلاء فارس ، له مشاركة حسنة في العلوم الأدبية ، و العلوم القديمة ، منها : علم الحيوان ، كان خازناً للملك عضد الدولة البويهّي ، مأموناً لديه ، أثيراً عنده ، وله مناظرات و محاضرات ، و صولة و جولة ... " ⁽⁴⁾ .

و بالتّالي تمكّن " ابن مسكويه " من فرض وجوده بين علماء زمانه ؛ بالرّغم من كونه عِصامياً ، خاصةً و أنّ العصر الذي عاش فيه شهد حركة علمية واسعةً ، ميّزها إنتشار حركة الترجمة ، و تطوّر العلوم ، و تنوّعها ، و بروز

⁽¹⁾ أصفهان : و تُعرّف أيضاً باسم " أصبهان " ، من أكبر مدن بلاد فارس ، يرجع تاريخها إلى العصور القديمة ، و لا يُعرّف الشّيء الكثير عن تاريخها قبل الفتح الإسلامي . تُشتهر بكثافة سكّانها ، و كثرة مساجدها . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلّد 1 ، ص. 206 - 210 ؛ إبراهيم القرشي عثمان و آخرون : الموسوعة العربية العالمية ، ج. 2 ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع ، الرياض 1416 هـ / 1996 م ، ص. 244 .

⁽²⁾ الدقّاع : إسهامات علماء العرب و المسلمين في علم الحيوان ، ص. 126 .

⁽³⁾ الخازن : الخازن هو اللّسان ، و خازن الأمير هو الذي يتولّى حفظ ماله و إنفاقه . علي بن هادية و آخرون : المرجع السابق ، ص. 298 .

⁽⁴⁾ تاريخ الحكماء ، ص. 331 .

علماء ؛ أبدعوا فيها ، و أسهموا في الإزدهار الحضاري الذي عرفته الدولة العباسية ، ممّا جعل المنافسة بينهم على أشدها ، فنال تقديرهم و إعجابهم ، بل إنّه واجه غيرة بعضهم ، على غرار ما حدث له مع الشيخ الرئيس " ابن سينا " . و في هذا الصدد ، يروي لنا القفطي أنّ " ابن سينا " قال في بعض كتبه ؛ و قد ذكر مسألة : " ... فهذه المسألة حاضرتُ بها أبا علي مسكويه ، فاستعادها كراتٍ ، و كان عسير الفهم ، فتركته و لم يفهمها على الوجه المطلوب ... " (1) ، بل إنّ التنافس بين الرّجلين وصل إلى أبعد من هذا ؛ و في هذا الشّأن ، يُروى أنّ " ابن سينا " دخل على مجلسٍ فيه " ابن مسكويه " و تلاميذه ، فرماه بجوزةٍ و قال : بيّن مساحة هذه الجوزة بالشّعيرات ، فرجع " ابن مسكويه " أوراقاً في الأخلاق ، و رماها إلى " ابن سينا " و قال له : أمّا أنت فأصلح أخلاقك أولاً حتّى إستخراج المساحة ، و أنت أحوج إلى إصلاح أخلاقك ممّي إلى مساحة الجوزة (2) . و إنّ صحّت هذه الروايات ؛ فإنّ سلوك " ابن سينا " مع " ابن مسكويه " لا يليق بعالمٍ جليلٍ ، و طبيبٍ حكيمٍ مثل ابن سينا .

أمّا فيما يتعلّق بآثاره العلمية ؛ فقد ترك لنا هذا الطبيب الفيلسوف العديد من المؤلّفات و الكتب ، منها : كتاب في تاريخ الدولة العباسية حتّى عام 382 هـ / 982 م ؛ سمّاه : (تجارب الأمم و تعاقب المهمم) (3) و كتّب : (الأنس الفريد) ، (ترتيب السعادات) ، (جاويدان خرد) ، (تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق) (المستوفي) (الأدوية المفردة)... إلخ ، كما كتب العديد من الرّسائل منها : رسالة في الطبيعة ، رسالة في جوهر النفس ، رسالة في اللذات و الآلام ، رسالة للردّ على بديع الزمان الهمذاني... إلخ (4) .

(1) القفطي : المصدر السابق ، ص. 332 .

(2) جميل صليبا : تاريخ الفلسفة العربية ، الشركة العالمية للكتاب ، ط. 3 ، بيروت 1415 هـ / 1995 م ، ص. 209 .

(3) يسرى عبد الغني عبد الله : المرجع السابق ، ص. 166 .

(4) زهير حميدان : المرجع السابق ، ص. 98 ، 99 .

ب. 5. علي بن عباس الأهوازي :

هو أبو الحسن ، علي بن عباس الأهوازي ، المعروف باسم " الجوسي " ، المتوفى سنة 384 هـ ، يُنسب إلى مدينة الأهواز ؛ بالقرب من جنديسابور ، التي وُلد فيها ، هو طبيب فارسي ، ترك بصماته في الطبّ الإسلامي و نال إعجاب من حوله من النَّاس ، و الطلبة ، و كذا الأمراء البويهيين ، نظراً لغزارة علمه ، و سعة إطلاعه و حكمته ، و وقوفه عند تصانيف من سبقوه من الأطباء المسلمين و حكماء الأمم الأخرى ، لاسيما " أبقراط " و " جالينوس " و غيرهم (1) .

إنّ كثرة إطلاع الأهوازي على مؤلّفات سابقيه ، جعله يقرّر تصنيف كتابٍ شاملٍ في ميدان الطبّ ، يحاول من خلاله شرح و تحليل و نقد أفكارهم و نظرياتهم ، و إنتقاء ما ينفع منها ، بالإعتماد على أسلوبٍ بسيطٍ ، ليكون هذا الكتاب الجديد مرجعاً لطلّاب العلوم الطّبيّة ، و قد سمّاه : (كامل الصناعة الطّبيّة) ، و لما إنتهى من تأليفه أهداه لصديقه عضد الدولة " فناخسرو البويهي " ، الذي سمّاه : (الملكي) ، كما سُمّي أيضاً : (القانون العضدي في الطبّ) (2) ، و يقول في مقدّمة كتابه : " ... أحببت أن أُصنّف كتاباً كاملاً في صناعة الطبّ ، جامعاً لما يحتاج إليه المتطبّبون و غيرهم ؛ من حفظ الصّحّة على الأصحّاء ، و ردّها على المرضى ، إذ كنت لم أجد لأحدٍ من القدماء و الحديثين من الأطباء ، كتاباً يحوي جميع ما يُحتاج إليه من بلوغ غاية هذه الصناعة ... " (3) ، و بالتّالي تمكّن الأهوازي من تأليف هذا الكتاب ، الذي كان بالفعل موسوعاً طّبيّةً شاملةً آنذاك ، و واحد أ من المؤلّفات الشهيرة و المهمّة في الطبّ الإسلامي في القرن الرابع الهجري (4) ، و تفوّق على جميع الكتب المعروفة يومذاك ، إذ

(1) الدقّاع : رَوّاد علم الطب... ، ص. 247 .

(2) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 320 ؛ الدقّاع : رَوّاد علم الطبّ ... ، ص. 277 .

(3) الأهوازي : المصدر السابق ، ص. 4 .

(4) الدقّاع : رَوّاد علم الطبّ ... ، ص. 247 .

فضّله طلاب العلوم الطّبية على كتاب (المنصوري) للرازي ، و (فردوس الحكمة) لابن ربن الطبري ، و بقي

كذلك حتّى ظهور كتاب (القانون في الطبّ) لابن سينا ، فتحوّلوا إليه ، و يقول القفطي في هذا الصدد :

" ... و صنّف للملك عضد الدولة " فحناسرو بن بويه " كَنَاشَه المسمّى بالملكي ، و هو كتاب جليل في كَنَاشِ

نبيلٍ إشتمل على علم الطبّ و عمله ، حسن الترتيب ، مال النَّاس إليه في وقته ، و لزموا دراسته إلى أن ظهر

كتاب القانون في الطبّ لابن سينا ، فمالوا إليه ، و تركوا المللكي بعض التّرك ... " (1) .

و بالتّالي ، ظلّ هذا الكتاب مرجعاً مهمّاً ، لما يحتويه من شرحٍ مُفصّلٍ لمختلف الأمراض و العلل ، و طرق

علاجها ، و نزعات علمية و أخلاقية راقية ، نالت إعجاب المؤرّخين ، الذين تناقلوها من بعده ، خاصةً إلحاحه

على الوقاية قدر المستطاع ، و الإعتناء بصحّة الجسم ، و تجنّب كلّ ما من شأنه أن يتسبّب في المرض ، كما نجده

على غرار " الرازي " و " ابن سينا " ، ينصح بعدم اللّجوء إلى الأدوية المركّبة إلّا في الحالات الضرورية ، و تجنّب

تناول الأدوية المجهولة ، كما أكّد على ضرورة معالجة المريض قبل اللّجوء إلى الأدوية (2) .

أمّا من الناحية الأخلاقية ، ينصح الأهوازي الأطباء بالتواضع ، و رقّة الكلام مع المرضى ، و الرّحمة و العطف

على الفقراء ، و الإبتعاد عن اللّهو و شرب الخمر و الفجور ، و صفاء النّيّة في التّظر إلى النّساء ، و عدم وصف

الأدوية القاتلة ، أو المساعدة على إسقاط الأجنّة ، و كثرة المداولة لأموال المرضى ، و ملازمة البيمارستانات ، كي

يسهّل الإتّصال به في حالة الضرورة (3) . إنّ أهمية هذا الكتاب أدّت إلى ترجمته من طرف أطباء الغرب المسيحي

و يُعتبر " قسطنطين الإفريقي " (4) أوّل من ترجمه إلى اللّغة اللّاتينية ، لكنّه نسبه إليه ، و انتشر الكتاب إنتشاراً

(1) تاريخ الحكماء ، ص. 332 .

(2) الدّقاع : رّواد علم الطبّ ... ، ص 248 .

(3) الدّقاع : رّواد علم الطبّ ... ، ص 249 ؛ حربي عبّاس و حستان حلاق : المرجع السابق ، ص. 291 .

(4) هو قسطنطين الإفريقي ، المتوفى سنة 1087 م ، وُلد في قرطاجنة ، و رحل إلى خراسان و بغداد و الشام و مصر و القيروان و الهند ، و لما رجع إلى

تونس وقع أسيراً ، ثمّ اعتنق النصرانية ، و التحق بمدرسة " سالرنه " ، ثمّ ترهّب في دير " مونتي كاسينو " . عُرف بترجمته العديد من المؤلّفات من العربية =

مُذهلاً في بلاد الغرب ، و صار كتاباً منهجياً في جميع المدارس الطبيّة ، و هذا منافٍ للأمانة العلمية ؛ التي كثيراً ما كان علماء الغرب المسيحي يفتخرون بها ، و ينسبونها إلى أعمالهم و مؤلّفاتهم ، لكنّ هذه السرقة العلمية سرعان ما كشفها " إتيان الأنطاكي " ⁽¹⁾ حيث ترجم الكتاب مرّة ثانية سنة 521 هـ ، بعد حصوله على المخطوط الأصلي ، و نسبه إلى صاحبه " علي بن عباس الأهوازي " ، و منذ ذلك الحين عُرف كتاب (كامل الصناعة الطبيّة) باسم مؤلّفه الحقيقي .

ب . 6 . الحسن بن سوار :

هو الحسن بن سوار بن بابا البغدادي ، طبيب ينتمي إلى أسرة نصرانيةٍ من بغداد ، من أصلٍ فارسي ، و يُعرف بـ " ابن بھنام بن الخمّار " ، و بھنام باللّغة الفارسية تعني الخير ⁽²⁾ ، و لِذا كُنّي بابن الخير ، أمّا تسميته بابن الخمّار ، فلأنّ والده كان نصرانياً يصنع و يبيع الخمر . وُلد في بغداد سنة 331 هـ ، و يُجهل تاريخ وفاته ، لكنّ الثابت أنّه اعتنق الإسلام في آخر أيّامه ، و قد عُرف بذكائه ، و فطنته ، و سعة إطلاعه ، و غزارة علمه ، و كثرة مصنّفاته و يقول ابن القفطي في هذا الشأن : " ... الحسن بن سوار بن بابا أبو الخير ، المعروف بابن الخمّار ، بغدادي فاضل ، منطقي ... و هو في نهاية الذكاء و الفطنة و الإطلاع على علوم أصحابه ، و مولده في شهر ربيع الأوّل سنة إحدى و ثلاثين و ثلاثمائة ، و له تصانيف مذكورة ، و نقل من السريانية إلى اللغة العربية العديد من الكتب ... " ⁽³⁾ .

إلى اللاتينية ، و لكن يُعاب عليه أنّه كان ينسبها إلى أعماله ؛ و هو ما يتعارض مع الأمانة العلمية . نجيب العقيقي : المستشرقون ، ط . 4 ، ج . 1

دار المعارف القاهرة ص 110 ؛ سلمان قطاية : " قسطنطين الإفريقي مرّة أخرى " ، مجلّة العربي ، العدد 333 ، أوت 1986 ، ص 64 .

⁽¹⁾ إتيان الأنطاكي : و يُسمى أيضاً " إسطفان البيزاري " ، نَقَل كتاب (الملكي) سنة 1127 م ، و كان من بين الأطباء الذين ظهروا خلال

الحملات الصليبية ، حيث عمَدَ على نقل بعض كنوز المسلمين في علم الطبّ ، و حفظها للمسيحية . زنجريد هونكه : المرجع السابق ، ص . 297 .

⁽²⁾ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 428 .

⁽³⁾ القفطي : المصدر السابق ، ص . 194 .

سار هذا الطبيب على درب من سبقه من أطباء العرب و المسلمين ، حين جمع بين الطبّ و علومٍ أُخرى كاللغة و الفلسفة و الأدب و الشعر ، فكان بحقّ موسوعةً علميةً نادرةً في زمانه ؛ نظراً لغزارة علمه ، و كثرة تصانيفه و مؤلفاته ، الشيء الذي جعله ينال إعجاب و احترام النَّاس ، و يحظى بمكانة مرموقة عند ولاة الأمر و معاصريه من الأطباء ، كما كان مطلعاً على مؤلفات من سبقوه من أطباء الأمم الأخرى ، و كذا أطباء العرب و المسلمين ، إذ لم يكتفِ بالمطالعة و الترجمة ، و إنّما حاول الاستفادة من تلك الكتب و المؤلفات ، و التعليق عليها ؛ بالترجيح أو النقد ، معتمداً في ذلك على ما توصل إليه من نتائج ؛ بعد المشاهدة و التجربة ، ممّا سمح له بتشخيص أسباب الأمراض و العلل ، و وصف العلاج المناسب لها ؛ و هذا ما يميّز المنهج العلمي عند الأطباء العرب و المسلمين عن غيرهم من أطباء الأمم السابقة ، الذين يعتمدون على نظرياتٍ فلسفيةٍ بعيدةٍ كلّ البعد عن الواقع ، و هذا ما أدركه العرب و المسلمون ، فراحوا يخضعون تلك النظريات إلى المشاهدة و الملاحظة و التجربة و يثرونها بالإضافات و التعليقات (1) .

إنّ هذا الطبيب الفيلسوف عُرف بتواضعه ، و رأفته بالمرضى ، و عطفه على الفقراء ، و تعاظمه على العظماء و يقول ابن أبي أصيبعة في هذا الشأن : " ... و ذلك إذا دعاه من أظهر العبادة و الزهد مشى إليه راجلاً و قال : جعلت هذا المشي كقارة لمروري إلى أهل الفسق و الجبارة ، و إذا دعاه السلطان ركب إليه في زيّ الملوك و العظماء ... " (2) ، كما عُرف عنه ؛ معارضته الشديدة لكلّ أشكال السحر و الشعوذة و الدجل في علاج المرضى ؛ بالرغم من كونه قضى معظم حياته نصرانياً ، و في هذا الشأن ؛ يُروى عنه أنّه اقترح كثيراً من الحلول للقضاء على هذه الظاهرة السيئة ، و لعلّ من أهمّها تلك المقالة التي ألفها للأمير " خوارزم شاه " ؛ و هي عبارة عن مقالة خاصة في إمتحان الطبّ ، تضع شروطاً على الأطباء لممارسة هذه المهنة ، من بينها الإلتزام بعدم اللجوء إلى

(1) الدقاع : رواد علم الطبّ عند العرب و المسلمين ، ص. 258 .

(2) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 429 .

أيّ شكلٍ من أشكال الدّجل و الشعوذة ، فكان من الأمير خوارزم شاه أن عمّمها بدوره على جميع الأطباء ، كما أنّ الحسن بن سوار يتميز عن غيره من الأطباء المسلمين في كونه أبدى اهتماماً بالغاً بصحّة المسنّين ، بل إنّه شرح ما توصل إليه من أبحاثٍ حول الحالات المرضية التي تصيب كبار السنّ ، و طرق علاجها في كتابه :

(تدبير المشايخ) ؛ على طريقة المسألة و الجواب ، و الذي أصبح مرجعاً مهمّاً لدى الباحثين و طلاب العلوم الطّبيّة ، و ظلّ كذلك لفترةٍ طويلةٍ من الزمن (1) .

إنّ الحسن بن سوار كما أشرنا سابقاً ، قضى معظم حياته في دين النصرانية ، لكنّه اقتنع في آخر حياته بالإسلام ، فاعتنقه بعد تردّد طويلٍ ؛ و لأنّه كان عالماً ذكياً فطناً ؛ و بحُكم نشأته في مجتمعٍ مسلمٍ ، اطّلع على القرآن الكريم ، و لاحظ ما يحتويه من قيمٍ إنسانيةٍ راقيةٍ ، و من إعجازٍ علميٍّ خارقٍ ، فاعتنق به ، و أدرك أنّه الدّين الحقّ . أمّا عن قصة إسلامه ؛ فيُروى أنّه أسلم على يدّ الأمير " سبكتكين " (2) سنة 408 هـ ؛ بعد أن دعاه إلى قصره في غزنة (3) .

أمّا فيما يخصّ مؤلّفات هذا الطّبيب فهي كثيرة ، منها : كتاب (تدبير المشايخ) السابق ذكره ، و كتاب (الوفاق بين رأي الفلاسفة و النصارى) ، و مقالة في الهيلولي ، و مقالة في الصديق و الصداقة ، و مقالة في سيرة الفيلسوف ، و مقالة في الجوّ ، و مقالة في السعادة ، و مقالة في الإفصاح على رأي القدماء في الباري تعالى و في الشرائع و مورديها ، و مقالة في المرض المعروف بالكاهني (4) .

(1) الدّقاع : رّواد علم الطبّ عند العرب و المسلميني ، ص. 260 .

(2) سبكتكين (ت. 351 هـ / 962 م) : أحد أعظم ملوك الدولة الغزنوية ، و المؤسس الحقيقي لها ، وصل إلى الحكم سنة 366 هـ ، و تمكّن من توسيع نفوذ دولته في خراسان ، و أجزاء هاميةٍ في الهند و البنجاب ، و أقام علاقات وديةٍ مع السامانيين . عبد السلام الترماني : المرجع السابق مج. 2 ، ص 901 ؛ يوسف علي بديوي : المرجع السابق ، ص. 271 ، 272 .

(3) غزنه : مدينة عظيمة ، و ولاية واسعة في طرف خراسان ، و هي الحدّ بينها و بين الهند . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج. 4 ، ص. 201 .

(4) الففطي : المصدر السابق ، ص 194 ؛ الدّقاع : رّواد علم الطبّ عند العرب و المسلمسن ، ص. 260 .

. ب . 7 . أحمد بن محمد الطبري :

هو أحمد بن محمد الطبري ، يُكنّى بأبي الحسن ، لا يُعرف سنة ميلاده و لا وفاته ، و لكنّ الأرجح أنّه كان حيّاً قبل عام 366 هـ ، طبيب من طبرستان ، عاش مُتتفلاً بين أقاليم بلاد فارس ؛ كالري ، و الأهواز ، و همدان و أصفهان . ذاع صيته ، و نال شهرةً عظيمةً بين مُعاصريه ، و كان محلّ إعجابٍ و إحترامٍ من حوله من النَّاس في كلّ المناطق التي حلّ بها ؛ نظراً لذكائه ، و سعة إطلاعه ، و ثقافته الواسعة ، و تفوّقه على أطباء زمانه ، الشيء الذي جعل الأمراء يُقرّبونه إليهم ؛ لاسيما والي الأهواز ، ثمّ علا به المقام ؛ إلى أن أصبح الطبيب الخاص للخليفة " ركن الدّين البويهبي " (1) .

إنّ وصول الطبري إلى هذه المكانة العلمية الراقية ؛ يعود لإحتكاكه و إستفادته ممّن عاصره من الأطباء المسلمين على غرار " الأهوازي " ، و كذا لكثرة إطلاعه على مؤلّفات أطباء الأمم الأخرى ؛ خاصةً " أبقراط " ، إذ عكف على قراءتها ، و بذل جهداً كبيراً في تحقيقها و شرحها ، بل إنّه ألف كتاباً خاصاً سمّاه : (المعالجات البقراطية) يعرض فيه آراء و أفكار " أبقراط " الطبيّة ؛ ليثبت مدى تحلّي الطبيب المسلم بالأمانة العلمية ، من خلال نسبة الأعمال إلى أصحابها ، و بالتالي تمكّن هذا الطبيب من تقديم و توضيح معلومات ضرورية لعلاج الإنسان من رأسه إلى قدمه ، و قد سُمي هذا الكتاب : (الكنّاش) . و يقول ابن أبي أصيبعة في هذا الشّأن : " ... و لإحمد بن محمد الطبري من الكتب (الكنّاش) المعروف بالمعالجات البقراطية ، و هو من أجلّ الكتب و أنفعها ، و قد إستقصى فيه ذكر الأمراض و مداواتها على أتمّ ما يكون ، و هو يحتوي على مقالاتٍ كثيرةٍ ... " (2)

(1) الدّقاع : رواد علم الطبّ ... ، ص. 240 .

(2) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 427 .

إنّ ما يميّز هذا الطبيب عن غيره من أطباء العرب و المسلمين ؛ هو تخصصه في طبّ الأطفال ، بل إنّهُ يُعتبر من الأوائل الذين أسّسوا هذا العلم ؛ إلى جانب الرّازي ، و لعلّ ما جاء في كتابه (الكُنّاش) خير دليلٍ على تفوّقه في هذا الإختصاص ، إذ يعرض شرحاً مفصّلاً للأمراض المختلفة ؛ التي يتعرّض لها الطفل منذ ولادته إلى غاية بلوغه سنّ الرّشد ، و طرق علاجها ؛ فنجدهُ يُلحّ على ضرورة العناية بالطفل ، و تغديته إلى غاية نموّ أسنانه . أمّا فيما يخصّ تلك الأمراض ؛ فهي كثيرةٌ ؛ منها : الجرب ، الصرع ، الكزاز ، الإسهال ، أمراض الأنف ، أمراض العين الزوائد اللّحمية ، أمراض الفمّ و اللسان ، أمراض الجهاز البولي... إلخ . و بالتالي أولى الطبري عنايةً خاصةً للأمراض التي تُصيب الطفل ، و طرق علاجها ، فتفوّق على كثيرٍ من أطباء زمانه في هذا الإختصاص ، و يرجع له الفضل في فصله عن طبّ البالغين ، لأنّه كان مُقتنعاً بأنّ هناك بعض الأمراض التي تُصيب الطفل ؛ لا يتعرّض لها البالغ و العكس صحيح ، كما أنّه عارض سابقه من الأطباء ؛ عندما ألحّ على ضرورة علاج الطفل نفسه ، و عدم الإكتفاء بعلاج المرضعة ، ممّا يدلّ على أنّه السّباق إلى هذا العلم . و قد روي عنه أنّه قال : " ... وهذا أمرٌ لم يتكلّم فيه واحدٌ من الأوائل كلاماً شافياً ، و اعتمدوا في ذلك على أنّ الطبّ عام ، و علمُهُ يشتمل على الأطفال و غيرهم ... و ذكر بعض الفلاسفة أنّ معالجة الأطفال هو من مقام جزئيات من الأمراض ، و أنّ استخراج معالجتهم على الطبيب ؛ ... فلا بدّ من مداواة الطبيب ... " (1) .

و من النّصائح التي يُقدّمها هذا الطبيب لحفظ صحّة المولود أو الرضيع ؛ هو ضرورة تنظيف الحبل السري لأنّ تلوّثه يُسبّب الكزاز ، إضافةً إلى استعمال لبن الأمّ للمولود ، و تفادي استخدام أدوية البالغين للأطفال ؛ لأنّ معدّتهم و مزاجهم لا يحتمل ذلك (2) .

(1) الطبري ، نقلاً عن : الدقاع : رواد علم الطبّ ... ص 261 .

(2) الدقاع : رواد علم الطبّ ... ، ص 241 .

. ب . 8 . ابن مندويه الأصفهاني :

هو أحمد بن عبد الله بن مندويه ، يُكْتَبُ بـ " أبي علي " ، و يُلقب بـ " الأصفهاني " ، المتوفى سنة 410 هـ ، أحد عباقرة الطبّ الإسلامي ، ولد في " أصفهان " ، و نشأ في بيئة علمٍ و أدبٍ ، إذ تتلمذ على يد والده ؛ الذي كان أديباً و شاعراً معروفاً في بلاد فارس ، و لكنّه سلك طريقاً آخرًا ، يختلف عن طريق والده الأديب ، فاختار الطبّ و في هذا الشأن ، يقول ابن أبي أصيبعة " ... هو أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه ، من الأطباء المذكورين في بلا العجم وخدم هناك جماعة من ملوكها و رؤسائها ، و كانت له أعمال مشهورة في صناعة الطبّ . و كان من البيوت الأجلّاء بأصفهان ، فكان أبوه عبد الرحمن بن مندويه فاضلاً في علم الأدب ، وافر الدّين ، له أشعار حسنة... " (1) .

درس ابن مندويه العلوم الطّبيّة و الصيدلانية ، و تفتّن فيها حتّى ذاع صيته بين زملائه بأعمالها الرائعة في هذا المجال و على غرار من سبقه من الأطباء المسلمين ، جمع ابن مندويه بين علومٍ عديدةٍ ، فإلى جانب الطبّ ؛ كان مفكراً حكيماً و فيلسوفاً ، و مطلعاً على العلوم الدّينية و الطّبيعية ، فنال شهرةً عظيمةً في بغداد ، الشّيء الذي جعله يُختار ضمن أربعة و عشرين طبيباً ؛ عيّنهم " عضد الدولة " البويهّي ، ليعملوا كأطباء في البيمارستان العضدي الذي أنشأه في بغداد سنة 370 هـ (2) فكان هذا الإختيار نقطة تحوّل حاسمة في حياته العلمية ، إذ سمح له بتطوير معارفه و بحوثه الطّبيّة ، و بلور بوضوح أساليب المعالجات ؛ المبنية على التجربة العلمية ، و مكّنه من الإطلاع على مؤلّفات من سبقوه من الأطباء ، و إثرائها بالشرح و التفصيل ، و أحياناً بالتّقد و الإعتراض عليها ، فكان ذلك

(1) عيون الأنباء في طبقات ... ص. 459 .

(2) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص 338 ؛ الدقّاع : رواد علم الطبّ ... ، ص. 270 .

منطلقاً لتأليف كتابه المشهور (نهاية الإختصار في الطبّ) ؛ الذي كتبه بأسلوبٍ سهلٍ واضحٍ ، فكان شاملاً كاملاً و متداولاً بين طلاب العلوم الطّبيّة و الصيدلانية (1) .

إضافةً إلى هذا الكتاب ، كان للأصفهاني أكثر من أربعين رسالة ؛ وجهها لأصحابه كنصائح ، تحتوي في مجملها معارف و إرشادات طّبيّة قيّمة ، شملت إختصاصات متعدّدة منها : رسالة في علاج العين ، و أخرى في تدبير الجسد ، و رسالة في القولنج (2) ، و رسالة في علاج الحكّة ، و أخرى في النّفس و الروح عند اليونانيين (3) ، أمّا فيما يخص الكتب التي ألفها فهي كثيرة ، و من أشهرها : كتب (المدخل إلى الطبّ) ، (كُنّاش الطبّ) (الجامع المختصر في الطبّ) ، (الأطلعة و الأشربة) ، (المغيث في الطبّ) ، (الكافي في الطبّ) ، الذي يُعرف بكتاب القانون الصغير (4) .

ب . 9 . علي بن هندو :

هو علي بن الحسين بن هندو ، المكنّى بـ " أبي الفرج " ، و يُلقب بالبغدادي ، المتوفّي سنة 420 هـ ، طبيب فارسي ، نشأ و ترعرع في نياسابور ، و على غرار الأطباء الموالى الذين سبق ذكرهم ، جمع ابن هندو بين الحكمة و الطبّ و الأدب و الفلسفة ، فلم تمنعه نشأته في بلاد فارس من تعلّم العربية ، و إجادتها إجادةً رائعةً ، تفوق حتى بعض العرب أنفسهم ، و يقول ابن أبي أصيبعة في هذا الشأن : " ... هو الأستاذ الفاضل ، أبو الفرج بن الحسين بن هندو ، من الأكابر المتميّزين في العلوم الحكّمية و الأمور الطّبيّة و الفنون الأدبية ، له الألفاظ الرّائعة و الأشعار الفائقة ، و التصانيف المشهورة ، و الفضائل المذكورة ، و كان أيضاً كاتباً مجيداً ، و خدم بالكتابة

(1) الدقّاع : رّواد علم الطبّ ... ، ص . 271 .

(2) القولنج : هو انسداد المعى ، و إمتناع خروج الريح منه ، و هو مُشْتَقٌّ من القولون ؛ الذي فوق المستقيم . زهير حمدان : المرجع السابق ص . 137 .

(3) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 460 .

(4) المصدر نفسه ، ص 461 ؛ القفطي : المصدر السابق ، ص . 438 .

و تصرّف ... " (1) ، كما عُرف عنه أنّه كان عصامياً في ثقافته ، حيث أكبّ على الدّراسة حتّى نال إحترام الجميع ؛ بما فيهم أمراء بني بويه ، الذين قرّبوه إليهم ، ففضى بذلك بقية حياته خادماً في ديوان عضد الدولة البويهبي ، فتولّى بنجاح المراسلات الخاصة التي من المكتب الخاص (2) .

أبدع ابن هندو في العلوم الطّبية ، و أسهم في تعليمها لطلّابه ، و تجلّى ذلك من خلال معالجاته لمختلف العلل و الأمراض ، و كذا لكثرة مؤلّفاته في هذا المجال ، و إطلّاعه على كتب من سبقوه من أطباء المسلمين و الأمم الأخرى ، و إراثها بالدّراسة و الملاحظة و التّقذ ، فاشتملت مؤلّفاته على قدرٍ كبيرٍ من الإضافات العلمية في علمي الطّبّ و الصيدلة ، فنراه يُلحّ دائماً على أهميّة الملاحظة و التجربة في الطّبّ ، عكس النظريات المبنية على الأفكار الفلسفية ، و هذا من سمات المنهج العلمي عند الأطباء المسلمين بصفةٍ عامّةٍ ، ويقول في هذا الصدد : " ... أرى أنّ الأسكندرانيين ، إنّما إقتصروا على الكتب الستّة عشر ، لا من حيث هي كافية في الطّبّ ، و حاوية للغرض بل من حيث إفتقرت إلى المعلّم ، و إحتاجت إلى المفسّر ، و لا يمكن أن يقف المتعلّم على أسرارها و المعاني الغامضة فيها من غير مذاكرة ، و مطارحة ، و من دون مراجعة و مفاوضة ... " (3) .

يعتبر كتاب (مفتاح الطّبّ) من أشهر المؤلّفات الطّبية لابن هندو ، إذ يحتوي على معلومات مهمّة حول طريقة علاج الأمراض و الوقاية منها (4) ، و يحتوي هذا الكتاب على عشرة أبواب ، حاول من خلالها إبراز آراء من سبقوه ، ثمّ عرض مختلف الأمراض و العلل ، و أسبابها ، و أمزجة الأعضاء ، و أساليب معالجتها باستخدام

(1) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 429 ، 430 .

(2) الدّقاع : رواد علم الطّبّ ... ، ص. 277 .

(3) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 430 .

(4) الدّقاع : المرجع نفسه ، ص. 277 .

الأدوية المفردة و المركّبة ، و في هذا الشّان ؛ و على غرار من سبقه من الأطباء المسلمين ، نجده يوصي بغدم اللّجوء إلى الأدوية المركّبة إلّا اضطراراً ، و تفادي الأدوية المجهولة (1) .

إضافةً إلى هذا الكتاب ، ألف ابن هندو كتباً أخرى ، اتّسمت في مجملها بسهولة اللّغة ، و خلّوها من التعقيد و الإطناب ، من أهمّها : كتب (في حدود الأشياء الطّبيّة) ، (الكلم الروحانية من الحكم اليونانية) ، (النّفس) (الرسالة المشرقية) ... إلخ (2) ، أمّ في مجال الحكمة ، فقد عُرف هذا الطبيب بحكمه المشهورة مثل : " عظمّ العلم في ذاتك ، و صغرّ الدنيا في عينيك ، و أخرج من سلطان شهوتك " و " كُن ضعيفاً عن الهزل ، و قويّاً عند الجدّ " و " العاقل لا يُكلّف نفسه ما لا تُطيق ، و لا يسعى فيما لا يُدرك ، و لا ينظر فيما لا يعنيه ، و لا يُنفق إلّا بقدر ما عنده من الإستطاعة " و " إنّما المرء حيث جعل نفسه " (3) .

لم يكتفِ ابن هندو بالطبّ و الحكمة و الأدب فحسب ، و إنّما كان شاعراً كبيراً ، و له ديوان في الشعر ، أبدع فيه ، من خلال قصائده الخالدة ؛ التي استعمل فيها مختلف بحور الشعر المعروفة كالطويل و القصير و الكامل ، ذكر بعضها ابن أبي أصيبعة ، مثال ما قاله في الصّبر :

تصبر إذا همّ أسرى إليك فلا همّ يبقى و لا صاحبه (4)

و قال في مراجعة الشعر بعد تركه إيّاه :

و كنت تركت الشعر بعد تركه إيّاه و أكبر عن مدح و أزهّد عن غزل

فما زال بي حبيك حتى تطلّعت خواطر شعريّ كان طالعه أفل

(1) الدّقاع : المرجع نفسه ، ص 279 .

(2) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 435 .

(3) البيهقي : تاريخ الحكماء ، ص 95 .

(4) ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص 431 .

تزلّ القوافي عن لسانها كأنها يفاع يزلّ السيل منه على عجل (1)

و ما يمكن قوله في الأخير حول ابن هندو ، هو أنّ إبداعه في الحكمة و الطبّ و الأدب و الشعر ، جعله ينال شهرةً عظيمةً في زمانه ، و يحظى باحترام من حوله من الناس ، و كذا المؤرّخين ؛ الذين وصفوه بالأديب البارع .

. ب . 10 . ابن سينا :

هو الشيخ الرئيس ، أبو عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا ، أحد أشهر حكماء المسلمين ، و واحد من أبرز أعلام الطبّ الإسلامي عبر عصوره المختلفة ، و رائد من زوّاد الفكر الإنساني ، و المعلّم الثالث للإنسانية بعد أرسطو و الفارابي (2) ، وُلد في منطقة " أفشنة " ؛ إحدى قرى بُخارى ، عاش بين (371 هـ . 428 هـ) ، نشأ في أسرةٍ ؛ عُرفت بِحُبّها و تشجيعها للعلم ، إذ كان والده حريصاً على تعليمه مُختلف العلوم العقلية و النّقلية المعروفة آنذاك . و رغم صغر سنّه ، فإنّه كان قويّ الإرادة و العزيمة ، جيّد الحِفظ ، كثير التأمّل ، واسع النظر ، مُتواضعاً في سلوكه ، حكيماً في أقواله ، فنبغ في العلوم الدّينية ، و اللّغة ، و الشعر ، و الفلسفة ، و الكيمياء ، و الطبّ و نال إحترام من حوله (3) ، و حظي بتقدير علماء زمانه ، و وُلاة الأمور فيما بعد .

إنّ الفترة التي عاش فيها " ابن سينا " من أزهى عصور الحضارة الإسلامية ؛ شهدت إنتشاراً واسعاً لحركة الترجمة و تنوّع العلوم النّقلية و العقلية ، و غزارة المؤلّفات ، و كثرة العلماء ، و تنافسهم في إثراء المكتبات بالمؤلّفات و الكتب ، إضافةً إلى تشجيع وُلاة الأمور للعلم و المعرفة ؛ على غرار حُكّام الدولة السّامانية ، التي عاش في كنفه هذا الطبيب الحكيم . فكلّ هذه الظروف جعلته ينكبّ على مطالعة كتب سابقيه من علماء المسلمين ، و كذا

(1) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 434 .

(2) عبد الخليم منتصر : المرجع السابق ، ص. 127 .

(3) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 437 ، 438 ؛ القفطي : المصدر السابق ، ص. 413 .

الأهم السابقة ، فقرأ كتب المنطق و الفلسفة لأرسطو ⁽¹⁾ ، و أفلاطون ⁽²⁾ ، و إطلع على كتب الرياضيات و الهندسة لإقليدس ⁽³⁾ ، و درس كتب الطبّ لأبقراط و جالينوس ، و بالتالي تمكّن من إكتساب ثقافة واسعة ؛ ساعدته فيما وصل إليه من مكانة . و كغيره من علماء العرب و المسلمين ؛ لم يكتب " ابن سينا " بمطالعة هذه المؤلفات ، و إنّما أثرها بالشرح و الملاحظة و التعليق و النقد و الإضافات ، و كان من الذين أرسوا دعائم المنهج العلمي الإسلامي الجديد ، و يتجلّى ذلك من خلال قوله : " ... حسبنا ما كتّيب من شروح لمذاهب القدماء ... لقد آن لنا أن نضع فلسفة خاصة بنا ... " ⁽⁴⁾ .

إنّ التكوين الدّيني لابن سينا في صباه ؛ كان له الأثر البالغ فيما وصل إليه من مكانة بين الناس و علماء زمانه إذ أنّه حفظ القرآن و هو دون العاشرة من عمره ، و إطلع على أصول الفقه و العقيدة و الحديث ، ممّا أكسبه ثقافةً لغويةً كبيرةً ، و فصاحةً و بلاغةً ؛ نafs بما علماء اللّغة في زمانه .

⁽¹⁾ أرسطو (460 . 370 ق م) : فيلسوف يوناني ، تتلمذ على يدّ " أفلاطون " ، و علّم " الإسكندر المقدوني " ، عُرف عنه أنّه كان يُحاضر ماشياً فشمي هو و أتباعه : " المشائين " . ألف العديد من الكتب في الفلسفة و المنطق منها : (السماع الطبيعي) ، (الكون و الفساد) ، (السماء) (الأورغانون) ... إلخ . القفطي : المصدر السابق ، ص . 27 ؛ كمال محمد الدسوقي و آخرون : الموسوعة العربية الميسرة ، ط . 2 ، مج . 1 دار الجليل ، بيروت 2001 ، ص . 10 .

⁽²⁾ أفلاطون (427 . 347 ق م) : فيلسوف و معلّم يوناني قديم ، يُعدّ واحداً من أهمّ المفكرين في تاريخ الثقافة الغربية ، تتلمذ على يدّ " سقراط " معظم مؤلفاته مُحاورات ؛ عالج فيها موضوعات مختلفة كالرياضيات ، و الفلسفة ، و المنطق ، و التربية ، و الحبّ و الصداقة ، و الفضيلة . أشهر محاورات أفلاطون : كتاب (الجمهورية) ، و قد رسم فيه صورةً للمدينة الفاضلة ؛ كما تخيلها ، مُعلناً أن لا صلاح للجنس البشري إلّا إذا أصبح الفلاسفة حُكّاماً أو أصبح الحُكّام فلاسفة . ابن جليل : المصدر السابق ، ص . 23 ؛ القفطي : المصدر السابق ، ص 17 ؛ كمال محمد الدسوقي و آخرون : المرجع نفسه ، المجلّد 1 ، ص . 247 ؛ منير البعلبكي : المرجع السابق ، ص . 60 .

⁽³⁾ أقليدس (365 . 300 ق م) : عالم رياضيات يوناني ، نشأ في مدينة الإسكندرية ؛ في عهد " بطلميوس الثاني " ، و درس الرياضيات فيها و وضع فيها مبادئ الهندسة المستوية ، أشهر آثاره كتاب (الأصول في الهندسة) ؛ و هو يتكوّن من ثلاثة عشر جزءاً ، حشد فيها عدداً من النظريات الهندسية ، و نسّقها تنسيقاً منطقياً ، كما أنّه درس الموسيقى و علم البصريات . منير البعلبكي : المرجع السابق ، ص . 60 .

⁽⁴⁾ الدقاع : روائع الحضارة العربية الإسلامية ، ص . 47 .

و يُروى في صدد إتقانه اللّغة العربية ؛ أنّه كما جالساً في مجلسِ حضره الأمير " علاء الدّين " (1) ، و " أبو منصور الجبائي " (2) ، فتناقش القوم في مسألة لغوية ؛ تكلم فيها الشيخ الرئيس دون أن يُقنع الحضور ، فقال له أبو منصور : إنّك فيلسوفٌ و حكيمٌ ، و لكنّك لم تقرأ في اللّغة ما يُرضي كلامك ، ممّا سبّب إخراجاً شديداً له ، فعزم على توسيع ثقافته اللّغوية ، و إنكبّ على مطالعة كتب اللّغة و قصائد الشعر ثلاث سنوات ، فكان له ما أراد ؛ إذ بلغ من الفصاحة و البلاغة ما لم يبلغه الكثير من علماء زمانه ، فأنشأ ثلاث قصائد ، و ألف ثلاثة كتب ؛ ضمّنها ألفاظاً غريبةً في اللّغة ، ثمّ أمر بتجليدها ، ثمّ سأل الأمير عرضها على " أبي منصور الجبائي " لينتقدها ، و قيل له أنّها كتبتْ عُثر عليها في الصحراء ، فنظر " أبو منصور " ، و ا أشكلَ عليه كثيرٌ ممّا فيها ، فقال له الحكيم " ابن سينا " : إنّ ما تجهله مذکورٌ في موضع كذا و كذا ، و ذكر له كتباً معروفةً في اللّغة ؛ كان الشيخ حفظ تلك الألفاظ منها ، ففطن أبو منصور أنّ هذه القصائد ، و تلك الكتب من إنشاء الشيخ ، فاعتذر له (3) .

و إلى جانب اللّغة ؛ أبدع الشيخ " ابن سينا " في الشعر ، و نafs بقصائده حتّى فطاحلة الشعر في زمانه و ممّا قاله فيمن آذاه و حسده بين معاصريه :

عجباً لِقومٍ يحسدون فضائلي ما بين غيايبي إلى عذابي
عتبوا على فضلي و ذمّوا حكمتي و استوحشوا ما نقصهم بكماي

(1) الأمير علاء الدّين : هو محمد بن دشمتر بن كاكوية ، حكم بلاد الريّ ، و كان أميراً على أصفهان بعد وفاة محمود بن سبكتكين سنة 420 هـ / 1030 م ، استوزر ابن سينا و قرّبه إليه ، ولكنه توفّي بعد سنه من حكمه ؛ أي سنة 421 هـ . ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 441 .

(2) أبو منصور الجبائي : من علماء اللّغة في زمانه . ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 442 .

(3) ظهر الدين البيهقي : المصدر السابق ، ص 65 ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 442 ، 443 ؛ أحمد شوكت الشطّي : المرجع السابق ، ص 240 ؛ محمد حسن عرقسوسي : ابن سينا و النفس البشرية ، ط . 2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1986 ، ص 63 ؛ جميل صليبا : المرجع السابق ، ص 209 .

إنّي وكيدهم و ما عتَبوا به كالطّود يحقر نطحة الأوعال
و إذا الفتى عرف الرّشاد لِنفسه هانت عليه ملامة الجُهّال (1)

كما ألّف قصيدةً رائعةً حول النَّفس ، و ممّا قاله الشيخ الحكيم فيها :

هبطت إليك من المحلّ الأرفع و رقاء ذات تعزّز و تمنّع
محبوبة عن كلّ مقلة عارف و هي التي سفرت و لم تتبرقع
وصلت على كرهٍ إليك و زُيما كرهت فراقك و هي ذات تفجع
أنفّت و ما أنست فلما واصلت ألقت مجاورة الخراب البلقع (2)

أمّا فيما يخصّ علم الطبّ ؛ الذي أبدع فيه " ابن سينا " ، فإنّه كان يعتبره كفرعٍ من فروع الفلسفة ، لذلك دأب على التوسّع في الآراء و النظريات الفلسفية القديمة ، فلم تكن دراسته للطبّ تهدف في الأصل إلى اتّخاذ مهنةٍ للكسب ، إذ كان يُعالج المرضى دون أجرٍ ، و بالتّالي ذاع صيته ، و زادت شهرته ؛ فأخذ النَّاس يتهافتون عليه و يتحدّثون عن أعاجيبه ، و أسلوبه في العلاج ، و ما ليث أن صار من كبار معلّمي الطبّ ، فنال بذلك احترام و تقدير الجميع ؛ بما في ذلك الملوك و الأمراء ، منهم سلطان بُخارى " نوح بن منصور " ، الذي دعاه ليُدأويه (3) .

بدأ " ابن سينا " التّأليف و التصنيف و هو في الحادي و العشرين من عمره ؛ بعد أن فرغ من دراسة مختلف العلوم ، و تمكّن بعبقريته النادرة من تأليف كتبٍ كثيرةٍ ؛ وصل عددها مائتين و ستّ و سبعين كتاباً ، لم يكتبها في

(1) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 453 .

(2) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 446 .

(3) أحمد شوكت الشطّي : المرجع السابق ، ص 245 .

بلدٍ واحدٍ ، و لا في فترةٍ مُتصلةٍ ، إذ كان يُحرّر رسائله الصغيرة في أثناء رحلاته و أسفاره ، بل حتّى أثناء سجنه فكان إذا عزم السفر حمل أوراقه قبل زاده ، و إذا دخل السجن طلب المداد و الأوراق قبل الأكل و الشرب (1) .

أمّا فيما يخصّ مؤلّفاته ؛ فقد أعتبرت بحقّ كنزاً علمياً ثميناً ، استفادت منه الحضارة الإسلامية بشكلٍ خاصٍ و الحضارة الإنسانية بشكلٍ عامٍ ، إذ كانت تُمثّل مراجع هامةً لطلاب العلم في الكثير من الاختصاصات ؛ لاسيما الطبّ . و في هذا الصدد ؛ ألف أهمّ و أجلّ كتبه و مؤلّفاته ، و هو كتاب (القانون في الطبّ) ، الذي كان يُمثّل موسوعةً طبّيةً نادرةً في زمانه ، و حتّى بعد وفاته ؛ لما يحتويه هذا الكتاب من السلامة في العرض ، و السلاسة في الأسلوب ، و الوضوح في البيان ، مع الدقّة ، و الأمانة العلمية ؛ التي تنتزع التقدير و الإعجاب . فقد تناول هذا الكتاب شرحاً مفصّلاً لوظائف الأعضاء ، و الأمراض و العلل التي تُصيب الجسم ، و طرق علاجها و كذا علم الأدوية ؛ المفردة منها و المركّبة ، فأضحى كتاب (القانون في الطبّ) مرجعاً مهمّاً لطلبة العلوم الطّبية و الصيدلانية في العالم الإسلامي ، و كذا الغرب المسيحي ، و ظلّ كذلك لمدّة طويلةٍ من الزمن ، فترجم إلى اللّغات الأوربية المختلفة ، و طُبع خمسة عشر مرّةً ، و كان العمدة في دراسة الطبّ في الجامعات الأوربية حتّى مُنتصف القرن السابع عشر ميلادي (2) .

إضافةً إلى هذا الكتاب التّفيس ، ألف " ابن سينا " كتباً أُخرى ؛ لا تقلّ أهميّةً عنه ، و أهمّها : كتب : (الشفاء) (الأرصاد الكلّية) ، (الإنصاف) ، (النّجاة) ، (الهداية) ، (الأدوية القلبية) (الإرشادات) (الموجز) (المختصر الأوسط) ، ، (بعض الحكمة المشرقية) ، (بيان ذوات الجهة) ، (الإشارة في المنطق) (المبدأ و المعاد) ، (حيّ بن يقظان) ، (أقسام من الحكمة) ، (عيون الحكمة) ، (القولنج) ... إلخ . أمّا عن رسائله ، فهي أيضاً كثيرةٌ ؛ منها : رسالة في القضاء و القدر ، رسالة المنطق بالشعر ، رسالة في الآلة الرّصدية

(1) الدقّاع : روائع الحضارة العربية الإسلامية ، ص 46 .

(2) عبد الحليم منتصر : المرجع السابق ، ص 128 .

رسالة في مختصر النبض ؛ بالفارسية ، رسالة في الحدود ، رسالة في الأجرام السماوية ، رسالة في إختصار إقليدس رسالة في نعوت المواضيع الجدلية ... (1) .

إنّ المكانة التي وصل إليها هذا الفيلسوف الحكيم ، و هذا الإبداع النادر الذي ميّز أعمال الشيخ الرئيس جعله عرضةً للحسدِ و الم وامة ؛ خاصةً من المرتزقة ؛ المحيطين بولاية الأمور آنذاك ، فسُرقت بعض كُتبه الثمينة و أدخل السّجن مرّتين ، مرّةً في عهد الأمير " شمس الدّين البويهى " ؛ حاكم همدان ، و مرّةً في عهد الأمير " علاء الدّين (2) .

و يُروى أن " ابن سينا " أصيب في آخر أيامه بمرض القولنج ؛ عجز عن علاجه ، فكان سبباً في وفاته في سنة ثمانٍ و عشرين و أربعمئة ، و كان عمره آنذاك ثلاثاً و خمسين سنةً . وكان من الوصايا التي تركها ؛ تلك التي أوصى بها أحد أصدقائه يُسمى : " أبوسعيد ابن أبي الخير الصوفي " قائلاً : " ... ليكن الله تعالى أول فكرٍ له و آخره ، و باطن كلِّ اعتبارٍ و ظاهره ، و لتكن عين نفسه مكحولَةً بالنظر إليه ، و قدّمها موقوفة على المثل بين يديه ، مُسافراً بعقله في الملكوت الأعلى ؛ و ما فيه من آيات ربّه الأعلى ، و إذا انحطّ إلى قراره ، فليُنزّه الله تعالى في آثاره ، فإنّه باطنٌ ظاهرٌ ؛ تجلّى لكلِّ شيءٍ بكلِّ شيء ... " (3) .

ب . 11 . الحسن القمري :

هو الحسن بن نوح القمري ، يُكنّى بأبي منصور ، لا يُعرف تاريخ ميلاده و لا وفاته ، و لكنّ المتواتر أنّه كان حيّاً سنة 428 هـ ، هو طبيب فارسي ، وُلد في بخارى ، ثمّ إنتقل إلى بغداد ، و عاش فيها بقية حياته ، يُعتبر من

(1) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 457 ، 458 ؛ القفطي : المصدر السابق ، ص 418 ؛ ياقوت الحموي : معجم الأديباء ، ج . 3 ص 1077 .

(2) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 441 ؛ الدقاع : روائع الحضارة العربية الإسلامية ، ص 47 .

(3) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص . 445 .

أشهر الأطباء الذين عرفهم العالم الإسلامي في زمانه ؛ نظراً لمنهجه العلمي الرّاقى في التدريس ، و طريقتة العلمية الرائعة التي إنتهجها في تأليف الكتب الطّبية ، و هو ما زاد من علوّ شأنه ، و كثرة تلاميذه ؛ إذ كان من بينهم أحد كبار أطباء الإسلام عبر عصوره المختلفة ، و هو الشيخ الرئيس " ابن سينا " ؛ الذي كان يُلازمه ، و يدرس عليه حتى تفنّن في الطبّ (1) .

لقد عُرف هذا الطبيب بسعة إطلاعه ، و غزارة علمه ، و كثرة مؤلفاته ، و شهرته الكبيرة في ميدان الطبّ و مكانته المرموقة بين النّاس و أطباء زمانه ، و كذا قربه الكبير من الأمراء و ولاة الأمر ، و يقول ابن أبي أصيبعة في هذا الصدد : " ... كان أبو منصور الحسن بن نوح القمري سيّد قومه ، و أوحد زمانه ، مشهوراً في الجودّة في صناعة الطبّ ، محمود الطريقة في أعمالها ، فاضلاً في أصولها و فروعها ، و كان رحمه الله ؛ جيّد المعالجة و المداواة متميّزاً عند الملوك في زمانه ، كثيري الإحترام له ... " (2) .

إنّ كثرة إطلاع الحسن القمري على مؤلفات من سبقه من أطباء الأمم الأخرى ، و أطباء العرب و المسلمين زادت من توسيع ثقافته العلمية ، و إثراء معرفته الطّبية ، و فتحت له المجال للملاحظة و الشرح و التفصيل و التّقّد أحياناً ، و شجّعته على التّأليف ؛ و كما أشرنا إليه سابقاً ، فإنّ لهذا الطبيب أسلوباً متميّزاً في التّأليف نال به إعجاب أطباء زمانه ، و وجد فيه تلاميذه سهولةً بالغةً في إستيعاب ما تحويه مؤلفاته من وصفٍ للحالات المرضية ، و طرق علاجها ، و يُعتبر كتابه : (التنوير في الإصطلاحات الطّبية) من أهمّ و أشهر تلك المؤلّفات و هو كتاب من عشرة أبوابٍ ؛ يحتوي على شرحٍ للمصطلحات العلمية التي كانت مُتداولةً بين الأطباء ، و كذا المعارف الضرورية التي يحتاجها الطبيب الممارس ، و كذا طلبة العلوم الطّبية و الصيدلانية ؛ في تخصّصات مختلفة

(1) الدّقاع : رّواد علم الطبّ ... ، ص. 315 .

(2) عيون الأنباء في ... ، ص. 435 .

كعلم الأمراض ، و الصيدلة ، و الأوزان ، و المكييل ... (1) ، و ما يُلاحظ في هذا الكتاب ، أنّ الحسن القمري قد جمع آراء من سبقه من القدماء ، و كذا المعاصرين له ، و قدّمه بأسلوبٍ لغويٍّ سهلٍ و بسيطٍ ، بعيدٍ كلِّ البعد عن التعقيد ؛ إذ أنّ التعريفات الخاصة بالمصطلحات كانت لاتزيد عن جملةٍ أو جملتين (2) .

إضافةً إلى هذا الكتاب الثمين ، ألف ابن منصور القمري كتاباً أخرى ، لا تقلُّ أهميةً عنه ؛ ظلّت مراجع هامة لطلاب العلوم الطبيّة من بعده ، و من تلك المؤلفات (مقالات في الطبّ) ، (أسامي العلل) ، (الغنيّ و المنّي) (الشمسية المنصورية في الطبّ) ... إلخ (3) .

ب . 12 . النجيب السمرقندي :

هو محمد بن علي بن عمر السمرقندي ، المكنّى بـ " أبي حامد " ، و يُلقب بنجيب الدّين ، وُلد في هراة (4) عاش في أواخر العصر العباسي ؛ أي في مرحلةٍ صعبةٍ شهدتها الأمة الإسلامية ، طغت عليها الفوضى و اللإستقرار و تمزّق الوحدة السياسية للدولة ، و تنامي الحركات الانفصالية في الأقاليم ، و كذا التكالب الأجنبي على الدولة إثر تواصل الخطر البيزنطي في الغرب ، و ظهور الخطر المغولي في الشرق . تُعتبر المنطقة التي عاش فيها النجيب السمرقندي من المناطق الأولى التي إستهدفها الزحف المغولي ، هؤلاء البرابرة ؛ أي المغول ، قاموا في عهد قائدهم

(1) الدقّاع : رواد علم الطبّ ... ، ص. 315 .

(2) الدقّاع : رواد علم الطبّ ... ، ص. 313 ، 314 .

(3) المرجع نفسه ، ص. 315 .

(4) هراة : من أكبر ، و أجلّ ، و ، أحسن مدن خراسان ، كانت تُعرف بكثافة سُكّانها ، و شساعة بساينتها ، و وفرة مياهها ، و خيراتها ، و كثرة

غلمائها ، الشبيء الذي جعلها غرضةً للغزاة المغول ؛ الذين دخلوها سنة 618 هـ ، فقتلوا أهلها ، و نهبوا أرضها ، و قضوا على علمائها . ياقوت

الحموي : معجم البلدان ، المجلّد 5 ، ص. 396 ، 397 .

" جنكيزخان " (1) باجتياح الدولة الخوارزمية (2) في تركسمان ، و بخارى ، و أجزاء هامّة من بلاد فارس ، و خربوا المراكز الإسلامية ، و أحرقوا الكتب و المخطوطات ، و إستهدفوا علماء الأئمة الإسلامية ؛ و النجيب السمرقندي واحد من هؤلاء ، فكان من بين الآلاف من الشهداء الذين قتلهم المغول في هراة سنة 619 هـ .

السمرقندي هو من أشهر الأطباء الذين عرفتهم بلاد فارس ، عُرف بثقافته الواسعة ، و خبرته الكبيرة في ميدان العلوم الطبيّة و الصيدلانية ، و أسلوبه الفريد في التأليف ، و دقّته ، و أمانيته العلمية ، ممّا جعله يحظى بمكانة مرموقة بين علماء زمانه ، و يكسب إحترام و تقدير من حوله (3) ، و في هذا الشأن ؛ يقول ابن أبي أصيبعة في كتابه :

" ... نجيب الدين أبو حامد بن علي بن عمر السمرقندي طبيب فاضل بارع ، و له كتب جليلة ، و تصانيف

(1) جنكيزخان (1167 - 1227) : قائد مغولي ؛ اسمه الأصلي " تيموجين " ، و يُقال أنّ تسميته بهذا الاسم ؛ أنّ أباه " يكوساي " كان غائباً قبل ولادته ؛ إذ كان يُحارب التتار ؛ و قد قضى على زعيم لهم يُسمى " تيموجين " ، و لما عاد إلى دياره ؛ وجد زوجته قد أنجبت له ابناً ، و حينما فَحَصَ الطفل ؛ لاحظ أنّ بداخل قبضة يديه قطعة من الدّم المتجمّد ؛ فتراءى للزعيم المغولي أنّ هذا الحدث يُشير إلى ما أحرزّه من نصرٍ على زعيم التتار = و لذا أطلق على ابنه اسم هذا الزعيم ؛ تخليداً لانتصاره . لقد كان لجنكيزخان الفضل في توحيد القبائل المغولية ، و توسيع نفوذ دولتهم ؛ ليشمل أجزاء هامّة من الصين و توسّع نحو الحدود الشرقية للدولة الإسلامية ؛ فتمكّن هذا القائد في الفترة الممتدة بين (1218 - 1224) من السيطرة على تركستان و بلاد ما وراء النهر ، و الإغارة على بلاد فارس ، توفي في أثناء حربه ضدّ " الشان " ، و قُسمت مملكته بين أبنائه الثلاث . عُرفت حروب جنكيزخان بالمذابح الزهيبية و لكنّه كان حاكماً بارعاً ، و بقيت إمبراطوريته قائمةً حتّى 1368 . الباز العربي : المغول ، دار النّهضة العربية ، بيروت 1406 هـ / 1986 ص. 24 ؛ محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، مج. 1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 1965 ، ص. 650 .

(2) الدولة الخوارزمية (470 . 628 هـ / 1077 . 1235 هـ) : هي إحدى الدول التي في بلاد ما وراء النهر ، دام وجودها مائة و ثمانية و ثلاثون سنةً ، و تعاقب على حُكمها عشرة ملوك ؛ أشهرهم " محمد بن أنوشتكين " الذي كان مملوكاً تركياً لبعض الأمراء السلاجقة . و نظراً لإخلاصه و خدمته للسلاجقة ؛ وُلّي على بلاد خوارزم ، و لُقّب : " خوارزم شاه " ؛ و خلّفه ابنه " أتسز " ؛ الذي دخل في نزاعٍ مع السلاجقة ، و استقلّ عنهم سنة 536 هـ ، و قد استطاعت الدولة الخوارزمية أن تمدّ رقعتهما ، و تُثبت أقدامها أكثر من قرنٍ ، و لم تسقط إلا بعد الغزو المغولي . القرمانبي : المصدر السابق ، مج. 2 ، ص. 463 ؛ يوسف علي بديوي : المرجع السابق ، ص. 288 - 289 .

(3) الدقاع : رواد ص. 411 .

مشهورة ... و قُتِلَ مع جملةٍ من النَّاسِ ؛ الذين قُتِلُوا بِمَدِينَةِ هَرَاةَ ، لما دخلها المغول ، و كان مُعاصِراً لِلعَلَّامةِ فخر الدين الرازي بن الخطيب ... " (1) .

إنّ هذا الطبيب ؛ كغيره من أطباء العرب و المسلمين ، عكف على مطالعة مؤلّفات سابقيه ، كابن سينا و الرازي ، و الأهوازي ، و الطبري ، و غيرهم ، و أثراها بالشرح و التفصيل ، و قدّم أفكاراً جديدةً ؛ معتمداً على الملاحظة و التجربة العلمية ، و ألّف كتباً جديدةً في ميدان الطبّ ؛ صارت فيما بعد من المراجع المهمة للباحثين في هذا العلم ، و من أهمّ تلك المؤلّفات : (الأسباب و العلاقات) ، (غاية الغرض في معالجة المرض) (في الطبّ) ، (الأدوية المفردة) ، (أصول تركيب الأدوية) ، (الأقراباذين الكبير) (الأقراباذين الصغير) (تركيب الأدوية القلبية) (تشريح العين) ، (أغذية المرضى) ، رسالة في مداواة وجع المفاصل (2) .

و ما يُمكن قوله في الأخير ؛ أنّ هؤلاء العظماء لم يقتصر إبداعهم في مجال الطبّ فحسب ؛ و إنّما تعدّى ذلك إلى العلوم العقلية و النّقلية الأخرى ؛ كالأدب ، الفلسفة ، الشعر ، الكيمياء ، الفلك ، الجغرافيا ، التاريخ ... إلخ و هي ميزةٌ اشتراك فيها أغلب علماء الأمة الإسلامية ؛ عَرَبِهِمْ و عَجَمِهِمْ . و من حُسن حظّ هؤلاء أنّهم عاشوا في أزهى عصور الدولة العباسية ؛ أي العصرين الثاني و الثالث ؛ حين ازدهرت حركة الترجمة و التأليف ، و حرّص خلفاء بني العباس و ملوك " بني بُويه " على تشجيع العلم ، و دفع عجلته إلى الأمام ، و هو ما دفع هؤلاء الأعاجم إلى المشاركة في تنشيط الحياة العلمية إلى جانب العرب ؛ فعمت آثارهم الفكرية البلاد الإسلامية و كثرت

(1) عيون الأنباء ... ، ص. 472 ؛ مارتين ليفي و نوري الخالدي : " الكيمياء في أقراباذين السمرقندي " ، مجلّة الأبحاث ، الدار الشرقية للطباعة و النشر بيروت ، السنة 17 . الجزء 1 ، آذار 1964 ، ص. 35 .

(2) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 472 ؛ الدقّاع : رواد ص. 412 ؛ مارتين ليفي و نوري الخالدي : المرجع السابق ، ص. 35 .

إسهاماتهم العلمية في شتى العلوم ، فعكفوا على ترجمة المؤلفات الطبيّة للأمم السّابقة ، و عملوا على إثرائها بالشرح و التحليل و النّقد ، و دأبوا على التصنيف و التّأليف ؛ ممّا مكّنهم من وضع معارف طبيّة جديدة ، و ابتكار منهج علمي ؛ قائم على التجربة و الملاحظة و الإستقصاء .

الفصل الثالث :

إسهامات الأطباء الموالى فى العصر العباسى

1 . الجراحة

2 . طبّ العيون

3 . الطبّ النفسى

4 . طبّ الحيوان

5 . طبّ النساء و الولادة

6 . الصيدلة

تكلّمنا سابقاً عن التأثير السياسى والعلمى للموالى فى العصر العباسى ، و رأينا كيف كان لتلك العناصر الأعجمية الدور الكبير فيما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من رقى فى شتى ميادين الحياة ؛ لاسيما العلمية منها و يُعتبر الطبّ من أهمّ العلوم التقلية التي أبدع فيها الموالى ، و قد إستعرضنا أشهر الأطباء الموالى ؛ الذين عاشوا فى الفترة العباسية ، و تكلّمنا عن بعض إنجازاتهم و إسهاماتهم الطبية ؛ التي لا تزال خالدة إلى اليوم و كان لها الأثر الكبير فيما وصل إليه الطبّ الحديث ، و سأحاول بحول الله فى هذا الفصل ؛ أن أتطرّق بنوعٍ من التفصيل إلى بعض الإختصاصات الطبية كالجراحة ، التشريح ، طبّ العيون طبّ النساء و الولادة ، الطبّ النفسى ، طبّ الحيوان ؛ تاركين المجال لغيرنا ، لمن أراد التوسّع فى هذا الميدان و التطرّق إلى إختصاصات أخرى لم يرّد ذكرها فى هذا البحث ؛ و مُركّزاً على إسهامات بعض الأطباء الموالى ، كالرازي ، و ابن سينا ، و الأهوازي ، و ابن ربن الطبرى ، ابن مسكويه ، و غيرهم ؛ من الذين حظوا باهتمام مؤرخى السير و التراجم نظراً لما قدّموه من خدماتٍ جليلةٍ خالدةٍ فى ميدان الطبّ .

I . إسهامات الأطباء الموالى فى العصر العباسى :

1 . الجراحة .

كان علم الجراحة فى بداية الدولة الإسلامية يُسمى بـ"صناعة اليد" ، و بقي لفترة طويلةٍ من إختصاص الحلاقين و الحجامين ، الذين كانوا يقومون بالعمليات الجراحية البسيطة كالكيّ و الفصد و البتر و الختانة ، تحت إشراف و إرشاد الأطباء ، الذين كانوا يستقون معلوماتهم الجراحية من كتب أطباء الفرس و الهند و الإغريق ، و بذلك كان الطبيب يتسامى عن ممارسة الجراحة ، و إقتصر دوره على الإستشارة و الإرشاد ⁽¹⁾ ، و لكن بعد ظهور عباقرة الطبّ عند المسلمين ، سار هذا العلم خطواتٍ جديدةٍ نحو التجديد و الإبداع ، فابتكر هؤلاء طرقاً و وسائل

(1) محمود الحاج قاسم : المرجع السابق ، ص. 105 .

و أدوات جديدة أعطت للجراحة دفعا نحو الأمام ، و لعل أهمها عملية التخدير ، إذ استعمل الأطباء المسلمون التخدير عن طريق الإستنشاق ، و كان ذلك يتم عن طريق الإسفنج المخدر ، فكانت توضع قطعة منه في عصابة من الحشيش و الأفيون ، ثم تُترك في الشمس لتجف ، ثم تُحفظ ، و قبيل بدء العملية تُخرج و تُرطب ثانيةً و تُوضع فوق أنف المريض و فمه ، فتمتص الأنسجة المخاطية ، فيخلد المريض إلى نوم عميق أثناء العملية الجراحية (1) ، و كان هذا الإكتشاف فتحاً في مجال الطب الجراحي ، و أكثر رحمةً من المشروبات المسكرة التي إستخدمها الهنود و الرومان و الإغريق ، حين كانوا يُجربون مرضاهم على تناولها كلما أرادوا تخفيف آلامهم .

أما فيما يخص إسهامات الأطباء الموالى في هذا الإختصاص فهي كثيرة ، نكتفي بما قام به كل من الرازي و ابن سينا ، فالرازي يُعتبر رائد الطب الجراحي الإسلامى ، و ترك بصماته في هذا المجال ، و أعتبرت مؤلفاته مرجعاً هاماً للأطباء الذين جاؤوا من بعده ، فقد خصص جزءاً هاماً من كتابه (الحاوي في الطب) للجراحة و فيه شرح مفصّل لأعضاء جسم الإنسان ، و طرق علاج العلل و الأمراض التي تصيبها عن طريق الجراحة . إن الرازي هو أول من فرق بين الجراحة و غيرها من الموضوعات الطبيّة ، و أول من جعل أساس هذا العلم قائماً على التشريح و منافع الأعضاء و مواضعها ، و يُعرف عنه أيضاً أنه أول من إستخدم فتيلة الجرح و أمعاء الحيوانات (2) ، فكان يخيّط الجروح خياطةً داخليةً لا تترك أثراً ظاهراً من الجانب الخارجى ، و كان يخيّط موضع العمليات بخيوطٍ واحدٍ بإستخدام إبرتين و أوتارٍ جلديّةٍ ؛ صنعها من أمعاء القطط و حيوانات أخرى ، إذ أنّ

(1) زيجريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون و كمال الدسوقي ، ط . 2 ، منشورات المكتب التجارى للطباعة و التوزيع و النشر ، بيروت 1969 ، ص . 279 .

(2) محمد أمين فرشوخ : موسوعة عباقرة الإسلام في العلم و الأدب و الفكر و القيادة ، دار الفكر العربى ، 1992 ص . 46 ؛ أحمد شوكت الشطّى : تاريخ الطب ، أعلامه و آدابه ، مطبعة طربين ، 1967 ، ص . 226 ؛ بول غليونجى : قطوف من تاريخ الطب ، دار المعارف ، القاهرة 1987 ، ص . 342 ؛ حسان الحلاق ، المرجع السابق ، ص . 38 .

الجسم يمتصّها دون أن تُلحق به أذى ، و في هذا الشأن تقول الكاتبة الألمانية : زيجريد هونكه : " ... إنّ الرازي علّم تلاميذه كيفية تخييط الجروح بشكلٍ داخلي لا يترك شيئاً منها ... و كيفية التخييط بإبرتين و خييطٍ مثبتٍ بهما ... " (1) ، ويرى الرازي أنّ الطبيب لا يلجأ للجراحة إلاّ اضطراراً ، أي إلاّ إذا كانت هي الحلّ الأخير و هو ما نجدّه في قوله : " ... متى رأيت الطبيب يُبرأ بالأدوية التي تعالج بعلاج الحديد و العملية الجراحية مثل الخراجات و اللوزتين و الغدد ... فمتى أجاد الطبيب في جميع هذه ، و لا يحتاج في شيءٍ منها إلى القطع إلاّ أن تدعو لذلك ضرورة شديدة ... " (2) .

إنّ المتصفّح للقسم الذي خصّصه الرازي للجراحة في كتابه (الحاوي) يُدرك مدى عظمة هذا الطبيب و سعة إطلاعه على الأمراض ، و طرق علاجها بالجراحة ، لذا نراه يصف و صفافاً دقيقاً ؛ وافيّاً لجراحة مختلف الأعضاء كالعظام ، المفاصل ، أعضاء التناسل ، الأعصاب ، البطن ، الدماغ و المفاصل ، و طرق معالجة القروح الباطنية (3) ، و إيقاف النزيف الدموي ، و سنحاول بحول الله ذكر بعض إنجازاته الجراحية التي تركت بصماته في هذا الإختصاص بالرغم من مرور مئات السنين ، و منها أنّه تمكّن من إجراء عمليات جراحية في القصبه الهوائية ويقول في هذا الصدد : " ... العلاج أن تكشف الأغشية الواصلة بين حلق قصبه الرئة ، ليُدخل النَّفس منه و يمكن أن يتخلّص الإنسان ، و تسكن تلك الأسباب المانعة من النفس ، أن يُخاط و يرجع إلى حاله ، و وجهه علاجه أن يمدّ الرأس إلى الخلف ، و يُمدّ الجلد ، و يُشقّ أسفل من الحنجرة ، ثمّ يمدّ بخيطين إلى فوق و أسفل

(1) شمس العرب تسطع من الغرب ، ص. 278.

(2) الرازي ، أبوبكر محمد بن زكريا : الحاوي في الطب ، تحقيق : هيثم طعيمي ج. 7 ، دار إحياء التراث ، بيروت 2002 ، ص. 425 .

(3) عمار النجار : في تاريخ الطبّ في الدولة الإسلامية ، ط. 3 ، دار المعارف ، القاهرة 1994 ، ص. 106 .

حتى تظهر قصبه الرئة فإذا سن الورم ، و كان النفس ، فليخِط و يُمسك قليلاً ، و يُجعل عليه دروزاً أصغر ... " (1)

و للرازي وصف دقيق لعملية إزالة جزء من العظام المريضة ، أو إستئصالها كلها ، و إستخدام الماء البارد في علاج الحروق ، و هي طريقة حديثة جداً ، و تستعمل في الوقت الحاضر كإجراء إسعاف أولي لحروق الأطراف حيث يوضع الذراع أو الساق في ماء بارد لمدة دقيقتين ، و قد ثبت أنّ هذا يؤدي إلى تقليل الألم (2) ، كما عُرف عن الرازي قيامه بجراحة التجميل ، و قد بيّن كيفية هذه الجراحة في الشفة و الأنف و الأذن ، حين تطرأ عليها الضخامة من نتوء بارز أو قطع ، بحيث تعود هذه الأعضاء إلى حالتها الطبيعية فيرتفع القبح الناشئ عن اللّحمة الزائدة (3) .

أمّا ابن سينا ، فإسهاماته في علم الجراحة كبيرة ، و بعد إطلاعي على الكتاب الرابع من كتابه (القانون في الطب) إنبهت بما قدّمه في هذا الإختصاص ، لما يحتويه هذا الجزء من شرح مفصّل للجراحات المختلفة ، البسيطة منها و المعقّدة ، و طرق شقّ اللحم ، و إخراج الأعضاء و معالجتها ، ثمّ إدخالها ، و كيفية خياطتها ، فنجده يُخصّص فصولاً كاملةً لأنواع الجراحات ، كالجراحة الجلدية ، و جراحة الأعصاب ، و إزالة الأورام ، و جراحة البطن ، و غيرها ، كما وصف بعض الأدوية المساعدة على إلتئام الجروح ، و شفاء القروح و الحروق .

لقد أبدع " ابن سينا " في وصفه للجراحة الجلدية ، إذ يُقسّم الشقّ إلى أقسام ، فقد يكون هذا الشقّ مستقيماً و بسيطاً أو مُدوّراً ، أو ذا أضلاع ، و في هذه الحالة ، يكتفي الطبيب بشدّه أو ربطه ، و منع الدهانة عنه ، لأنّه لم يسقط منه شيء ، و قد يكون الشقّ عظيماً ، لا تلتقي أطرافه ، لأنّه مستدير أو متباعد أو قد ذهب منه لحم

(1) الرازي : الحاوي في الطب ، ج 3 ، ص. 225 .

(2) الرازي : نفس المصدر . ج 3 ، ص 228 .

(3) الرازي : نفس المصدر ، ج 3 ، ص. 231 .

قليل ؛ و في هذه الحالة يلجأ الطبيب إلى خياطته و تجفيفه و منع إجتماع الرطوبة فيه ، وقد يكون هذا الشقّ مستقيماً و غائراً ، و يكفي أن يشدّه الطبيب و يلصقه ، ثمّ يربطه ، فيلتئم الجرح (1) ، و تشترك جميع هذه الجراحات في حبس الدّم السائل ، و سيلان الدّم في نظيره يمنع الورم و الحمّى ، إذ يقول في هذا الشأن : " ... فإنّ أفضل ما يعني به الجراحات ، أن تمنع تورّمها ، فإنّه إذ لم يعرض ورم ، تمكّن من خلله مع الجراحة دمّ يريد أن يرم أو يتقيح (2) .

لم يكتفِ ابن سينا بما ذكرناه ، و إنّما نراه يصف لنا بعض الجراحات الخطيرة و المعقّدة ، و التي ينتج عنها حسب رأيه أعراضٌ منكرةٌ رديئةٌ ، كالتغيّر في اللون ، أو تراجع في النبض ، أو الغثيان ، أو الغشيّ ، أو التشنّج أو سقوط القوة ، و يُبيّن كيفية التعامل معها ، و من تلك الجراحات : جراحة الأعصاب و أطراف العضلات و الركبة ، إذ يجد الطبيب نفسه أحياناً مضطراً إلى بتر و قطع بعض الأعضاء ؛ إنّ أصابتها القروح و تعفّنت ، و لم تقبل العلاج ، و يقول في هذا الصدد : " ... و إذا وقع تشنّج (3) من مثل هذه الجراحات العضلية ، و لم تقبل العلاج ، فالعلاج قطع العضلة عرضاً ، و الرضا ببطلان فعل العضلة ، و لكنّ ذلك ممّا

(1) ابن سينا ، أبو علي الحسين بن عبد الله : القانون في الطب ، تقديم : علي زيعور ، تحقيق : إدوار القشّ ، المجلّد 3 ، مؤسسة عزّ الدين للطباعة و النشر بيروت ، لبنان ، 1993 ، ص. 1966 .

(2) المصدر نفسه ، ص. 1966 .

(3) التشنّج هو تقبّض الجلد و الأصابع و غيرهما . ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل ، محمد بن علي : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي لكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، المجلّد الرابع ، دار المعارف . القاهرة . ص 2337 ؛ ابن الحشاء : مفيد العلوم و مبيد الهموم ، تحقيق : جورج . س . كولان ، هـ . ب . ج . رنو ، المطبعة الإقتصادية مصطفى بن عبد الله ، الرباط (المغرب) 1941 ، ص. 221 .

يجب أن يؤخر ما أمكن ... " (1) ، أما جراحة الركبة في نظر ابن سينا ، فتكون بشقّ صليبي ، يتبعه إزالة الأورام (2) و القروح و منع الالتحام و لا يُحاط الجرح إلا بعد تنقيته كاملاً (3) .

أما فيما يخصّ الجراحات ذات الأورام و الأوجاع ، يرى " الشيخ الرئيس " أنّها تحتاج إلى الرفق ، و الحرص على أن لا يندمل الجرح ، و لأجل ذلك ينصح باستعمال رمانة حلوة ، مطبوخة بشراب ، ثمّ التأمّل إلى ما يؤول إليه حال الورم ، ثمّ التعامل مع الأعراض الناتجة عن ذلك ، و يقول في هذا الشأن : " ... و أن تستعمل فيه علاج الأورام بالجملة ، و ممّا هو خاص بذلك ، مع عموم نفعه في كلّ عضوٍ ، و من الرّأس إلى القدم ، أن يؤخذ برمانة حلوة ، فتطبخ بشرابٍ ، و يُضمّد به الموضع ، و يجب أن يتأمّل إلى ما يؤول إليه حال الورم ، مثل أنّك إذا إستعملت المرهم (4) الأسود ، فرأيت الجراحة تشتدّ حُمرتها أو تتنقّط ، ملت إلى المبرّدات و إلى المرهم الأبيض و إذا رأيتها تتصلّب ، وقد إستعملت المرهم الأبيض ، إستعملت الأسود أو غيره ... " (5) .

إنّ الجراحات المعقّدة ، الخاصة بالأعصاب و العظام و الأحشاء و الأورام في نظر " ابن سينا " ، تستدعي مهارةً كبيرةً ، و إطلاعاً واسعاً على الأعضاء و وظائفها ، لذلك نراه على غرار الرازي يربط علم الجراحة بعلم التشريح ، و قد خصّص فصلاً كاملاً لهذا الغرض ؛ فنراه يُحدّد موضع الشقّ ، و يُوضّح كيفية شدّ الأعضاء

(1) ابن سينا : المصدر السابق ، مج. 3 ، ص. 1967 .

(2) الورم : هو التواء و الإنتفاخ الذي يصيب الجلد . ابن منظور : المصدر السابق ، مج. 6 ، ص. 4820 ؛ ابن الحشاء : المصدر السابق ص. 174 .

(3) ابن سينا : المصدر السابق ، مج. 3 ، ص. 1967 .

(4) المرهم : هو ألين ما يكون من الدواء الذي تُضمّد به الجروح ، أو هو إسم لدواء الجراحات ، و يُقيّد بإسم بعض ما فيه من الأدوية ، أو بإسم أوّل طبيب إتخذها ، أو بإسم علّة ينفع منها كثيراً ، أو نحو ذلك . ابن منظور : المصدر السابق ، مج. 6 ، ص. 4188 ؛ ابن الحشاء : المصدر السابق ، ص. 174 .

(5) ابن سينا : المصدر السابق ، مج. 3 ، ص. 1969 .

و إخراج الأمعاء و ردّها ، ثمّ طريقة خياطتها ؛ و يقول في هذا الصدد : " ... و لما قد ذكرنا في التشريح فموضع الخصرتين ⁽¹⁾ أقلّ خطراً ، لأنّ الشقّ إذا وقع في موقع الهبرة ⁽²⁾ ، خرجت الأمعاء معه أكثر ، و ردّها فيه قد يكون أعسر ، و ذلك لأنّ الشئ الذي كان يضبطهما ، إنّما كان في العضلتين المنحدرتين من طول الصدر إلى عظمة العانة ... " ⁽³⁾ .

إضافةً إلى كلّ هذا ، نرى ابن سينا يُخصّص فصلاً أخرى للأمراض ذات الصلة بعلم الجراحة ، فنجده يُخصّص فصلاً في كيفية ربط الجراحات ⁽⁴⁾ ، و فصلاً آخراً للأدوية الملحمة للجروح ⁽⁵⁾ ، و آخراً للأدوية المُنبّئة للّحم في الجراح و القروح ⁽⁶⁾ ، و فصلاً في الصدمة و الضربة على البطن و الأحشاء ⁽⁷⁾ ، و آخر في الوخز ، و إخراج ما يجتسب من الشوك و العظام و السهام ⁽⁸⁾ ، و فصلاً في علاج حرق النار . ⁽⁹⁾

⁽¹⁾ الخصرتين : و يقصد بهما وسط البدن . ابن منظور : المصدر السابق ، مج. 4 ، ص. 107 .

⁽²⁾ الهبرة : هي بضعة من اللّحم الذي لا عظم فيه . ابن منظور : المصدر السابق ، مج. 15 ، ص. 15 .

⁽³⁾ العانة : جزء مهمّ من الأعضاء التناسلية لدى المرأة و الرجل ، و منطقة تجتمع الدهون ، يكسوها شعر متفاوت في كثافته و درجة نُمُوّه ، هذا الشعر

ينمو في المراحل الأولى من البلوغ و يُصاحبه عادةً شعر تحت الإبطن ، كما يُصاحب شعر العانة تغيّرات مُتصاعدة في شكل الأعضاء التناسلية عند

الجنسين . سيغمند ستيفن لمر : الموسوعة الطّبية الكاملة للأسرة ، ترجمة : أنس الزّفاعي ، دار الفكر العربي ، دمشق 1408 هـ / 1987 م

ص. 366-377 ؛ عبد المنعم مصطفى : الموسوعة الطّبية العائلية ، المؤسسة العربية للدراسات و التّشّير ، بيروت 1987 ، ص. 8 ، 128 .

⁽⁴⁾ ابن سينا : المصدر السابق ، مج. 3 ، ص. 1970 .

⁽⁵⁾ ابن سينا : نفس المصدر ؛ مج. 3 ، ص. 1973 .

⁽⁶⁾ ابن سينا : نفس المصدر ، مج. 3 ، ص. 1975 .

⁽⁷⁾ ابن سينا : نفس المصدر ، مج. 3 ، ص. 1976 .

⁽⁸⁾ ابن سينا : نفس المصدر ، مج. 3 ، ص. 1983 .

⁽⁹⁾ ابن سينا : نفس المصدر ، مج. 3 ، ص. 1985 .

أما علي بن عباس الأهوازي فقد وصف الدورة الدموية في الأوعية الشعرية ؛ أثناء كلامه عن وظيفتي الإنقباض و الإنبساط في الجسم ، و عالج الورم بشقّ الجلد شقاً حسب الطول ؛ لإخراج الدّم ، و كشف الشريان (1) .

ثانياً : طبّ العيون :

أطلق المسلمون إسم الكحالة على طبّ العيون ، و كانوا يسمون المشتغلين به من الأطباء باسم الكحالين و على غرار الطبّ الجراحي ، قام المسلمون بترجمة ما وصلهم من كتب غيرهم من أطباء الأمم الأخرى في هذا الإختصاص ، و عملوا على تطوير الأدوات التي أستخدمت فيه ، و ابتكروا طرقاً جديدة ، و أفلحوا في إجراء العمليات الجراحية لعلاج العلل التي تصيب العين (2) ، و لعلّ إبداع المسلمين و إجادتهم للكحالة يعود إلى كثرة كثرة إنتشار أمراض العيون في المناطق الحارة ، إلى جانب ذلك مارس الكحالون العرب تشريح عيون الحيوانات ممّا أوقفهم على معلومات قيّمة تتسم بالدقة العلمية (3) ،

و يعتبر حنين بن إسحاق (4) رائد الكحالة عند المسلمين إذ أعتبرت مؤلفاته مرجعاً مهماً لمن جاء بعده من

الأطباء ، خاصة كتابه : عشر مقالات في العين ، و يعدّ هذا الكتاب نقطة الإنطلاق في علم الكحالة عند

المسلمين (1) .

(1) حميد موراني : المرجع السابق ، ص. 53 .

(2) راغب السرجاني : المرجع السابق ، ص. 61 .

(3) هاني سعادة نادية : حفريات طبّ الرازي ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، ص. 91 .

(4) حنين بن إسحاق : كان أول من فسّر اللّغة اليونانية ، و نقلها من السريانية إلى العربية ، وُلد في بغداد ، و نشأ في بلاد الشام ، و تعلّم فيها و قد كان يدخل كنائس النصارى ، و يتعلّم تعاليم دينهم ، فرأى يوماً صورةً للمسيح مُعلّقة داخل الدّير ، فعبر عن رفضه ؛ و اعتبرها بدعةً دخيلةً ، فأذى ذلك إلى حبسه ، فصنّف في مدّة حبسه المسائل المنسوبة إليه في الطبّ ، و فسّر كتب اليونانيين ، و من أشهر أقواله : " ... من ترك الأكل على السكر و التمتعّ في الحَمَام ، و إدخال الطعام على الطعام ، فقد إستغنى عن الطبيب ... " . ابن التّدم : المصدر السابق ، ص. 365 ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص. 279 ؛ البيهقي ظهر الدّين : المصدر السابق ، ص. 16 .

إنَّ إسهامات الأطباء الموالى في هذا الإختصاص قليلة ، و لكن بالرغم من هذا ، فإنَّها كانت مهمَّة و أثبتت أنَّ الطبيب المسلم لم يقف عند إختصاصٍ واحدٍ ، و إمَّا كان مُلمِّماً بجميع الأمراض و العلل التي تصيب الإنسان ، و سنحاول بحول الله في هذا المبحث ؛ التركيز على إسهامات بعض الموالى ؛ كابن ربن الطبرى (2) و الرزى ، و ابن سينا في هذا الإختصاص ، إذ يعتبر من الذين برعوا في طبِّ العيون ، و يتجلى ذلك في كتابه (القانون) ؛ حين خصَّص الكتاب الثانى و الخامس منه للأدوية المفردة و المركبة ، و نالت الأدوية الخاصة بطبِّ العيون نصيباً وافراً منها ، ففي الكتاب الخاص بالأدوية المفردة ؛ يصف ابن سينا بعض الأدوية التي يمكن أن تشفى من أمراض العين المختلفة ، و التي في مجملها مستمدَّة من بعض الأعشاب الطبيعية ، و كذا الأغذية التي يتناولها الإنسان ، فعلى سبيل المثال ، يرى ابن سينا أنَّ العسل يجلو من ظلمة العين ، و يساعد على الرؤية (3) كما أنَّ عصارة البصل تنفع من الماء النازل في العين و مزجه بالعسل يقاوم بياض العين (4) ، أمَّا البطيخ فيقول بشأنه : " ... قشره يُلصق بالجبهة ، فيمنع النوازل إلى العين ، و هو غاية ... " (5) ، أمَّا البيض فيعتبره من الأدوية الشافية لأمراض العين ، إذ يرى أنَّ بياض البيض يسكِّن الوجع الذي يصيبها ، و صفرتة مع الزعفران و دهن الورد ينفع جداً من ضرباتها ، و صفرة البيض مع دقيق الشعير ضمَّاداً يمنع النوازل عن العين (6) ، كما

(1) راغب السرجاني : المرجع السابق ، ص. 61

(2) أنظر الملحق 1 ، ص 140 .

(3) ابن سينا : الأدوية المفردة ، من كتاب : القانون في الطب ، طبعة رومية 1593 ، شرح : جبران جبَّور ، تعليق : أحمد شوكت الشطبي ، ط 4 دار المعارف ، بيروت ، 1404 هـ / 1984 ، ص. 24 .

(4) ابن سينا : نفس المصدر ، ص. 28 .

(5) ابن سينا : نفس المصدر ، ص. 28 .

(6) ابن سينا : نفس المصدر ، ص. 30 .

أنه يعتبر أن لبن التين ينفع من العشاوة وابتداء الماء ، و غلظ الطبقات و خشونة الأجهان و جربها (1) ، أما زيت الزيتون فيقول في شأنه : " ... يكتحل بالزيت العتيق لظلمة العين ، و عكره يقع في أدوية العين ، و ورقه المحرق بدل التوتيا للعين ، و صمغه (2) للعشاوة و البياض و غلظ القرنية ، و عصارة ورقه للجحوظ ، و لقروح القرنية و النوازل ، و البستاني أوفق للعين من البري ، و صمغه أيضاً يجلو العين و وسخ قروحها ، و يجلو الماء و البياض ... " (3) .

أما فيما يخص النباتات و الأعشاب الطبيعية التي تُبرئ و تشفي من أمراض العين ؛ فقد ذكر منها الكثير نكتفي بذكر بعضها ، و لعل من أهمها : نبات الهليلج (4) ، المعروف عند العطارين ، و الذي ينفع للعين المسترخية و يدفع مواد السيل كحلاً و شرباً (5) ، و هناك نبات آخر يساعد العين على التفتح ، و هو نبات بري يسمى هندبا (6) ، ينفع أيضاً من الرمذ الحار ، و لبنه يجلو بياض العين (7) ، كما أن هناك نباتاً آخر

(1) ابن سينا : نفس المصدر ، ص. 46 .

(2) الصمغ : هو شئ يسيل من الشجرة و يجمد عليها . محمد عابد الجابري : الكليات في الطب ، مع معجم بالمصطلحات الطبية العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1991 ، ص. 633 . محمد هشام السمك : موسوعة العلوم الحيوية ، دار المعرفة ، دمشق 1413 هـ / 1992 م ص. 169 .

(3) ابن سينا : : الأدوية المفردة ، ص. 104 .

(4) الهليلج : هو جنس نباتي ، ينمو في مناطق واسعة من بلاد الهند و الصين ، من أنواعه : " الكابلي " ، و " الهندي " ... إلخ . ابن الحشاء : المصدر السابق ، ص 175 .

(5) ابن سينا : : الأدوية المفردة ، ص. 66 .

(6) الهندبا : نبات يقال له " هندي " و " هندب " ، و هو السريس يجمع أصنافه البرية و البستانية . ابن الحشاء : المصدر السابق ، ص. 177 ؛ وديع جبر : معجم النباتات الطبية ، دار الجليل ، بيروت 1408 هـ / 1987 م ، ص. 423 .

(7) ابن سينا : : الأدوية المفردة ، ص. 96 .

يجلو الغشاوة و البياض عن العين ، و الجرب ، و السيلان المزمن هو نبات يسمى : الأبانوس ⁽¹⁾ ، و هناك نباتات أخرى ذكرها ابن سينا ، مفيدة لأمراض العين ، كالرمد ، و الغشاوة و الورم منها : البلسان ⁽²⁾ و البنفسج و الأفسنتين ⁽³⁾ .

لم يكتف ابن سينا بوصف الأدوية المفردة لعلاج أمراض العين ، و إنما نراه في الكتاب الخامس من كتابه : القانون ؛ يُدع في وصف الأدوية المركبة ، التي يلجأ إليها الطبيب في حال عدم فعالية الأدوية المفردة ، بل إنه يذكر بعض الأدوية التي وصفها غيره ، و هو ما يؤكد الأمانة العلمية لهذا الطبيب ، مثل ذلك الدواء المشفي للزّمد و تحلب المواد إلى العينين ، الذي ألفه كحال من بلاد فارس ؛ و هو خليط من عدة موادٍ ، يقوم الطبيب بعجنها بالماء ، و تستعمل للتخفيف من الآلام ⁽⁴⁾ ، و أهم تلك المواد : الماميثا ⁽⁵⁾ ، و الأنزروت ⁽¹⁾ ، و الأفيون

(1) الأبانوس أو الأبنوس : هو نوع من الخشب البحري ، يعمل منه أشياء ، و أنتسبت جماعة إلى تجارتها و تجارتها ، منهم : ابن الأبنوسي الصيرفي . السمعاني : المرجع السابق ، ص. 58 .

(2) البلسان : هو شجر أبيض الزهر ، يُستعمل في العطور و الأدوية ، و العامة تُسميه السيسان ، و هو شجر لا يُعرف في شئ من المعمورة إلا بعين شمس بديار مصر ، و لبنه موجود عندهم في غاية العزّة ، و عوده موجود كثير ، يُحمل لجميع البلدان ، و حبه معدوم البتّة حتى في موضعه ، لأنهم لا يتكونه يُثمر لأن لبنه لا يكون إلا في قضبانه الرّخصة ، النابتة من أوتاده أول السنة ، ثم لا يكون فيها لبن ، و هو لا يُثمر من سنّته ، لأنّه من جنس الشجر ، و أيضاً لئلا يحمل ثماره ، و أمّا الحَبّ المجلوب المسمّى " حَبّ البلسان " فإنّما هو حَبّ شجرٍ يُشبهه جداً . ابن الحشاء : المصدر السابق ص. 289 ؛ داؤد الأنطاكي : تذكرة أولي الألباب ، و الجامع للعجب العجاب ، شرح و تعليق : علي شيري ، مؤسسة عزّ الدين للنشر ، بيروت 1411 هـ / 1991 ، ص. 121 ؛ محمد عابد الجابري : المرجع السابق ، ص. 602 ؛ وديع جبر : المرجع السابق ، ص. 78 .

(3) الأفسنتين : هو نبات أفحواني ، ذو لونٍ أصفرٍ ، أنواعه كثيرة ، موجودة بالمغرب ، و أفضله المجلوب من بلاد الروم . ابن الحشاء : المصدر السابق ، ص. 299 ؛ داؤد الأنطاكي : المصدر السابق ، ص. 79 ؛ وديع جبر : المرجع السابق ، ص. 44 .

(4) ابن سينا : القانون في الطب ، المجلد 3 ، ص. 2445 .

(5) الماميثا : هي عصارة طبيّة ، طيّبة الرائحة ، مرّة الطعم ، لوّنها بين صفرة و حمرة ، و متى أخذت من العشبة المذكورة ، تصبح متحمّدة سهلة الكسر زعفرانية العصارة ، يُستعمل لعلاج الرطوبات ، و نقص اللّحم ، و استرخاء الجفن ، و ضعف البصر كحلاً ، و الأورام و المفاصل الحارة طلاءً ... إلخ داؤد الأنطاكي : المصدر السابق ، ص. 414 ؛ محمد عابد الجابري : المرجع السابق ، ص. 652 .

و يصف ابن سينا دواءً مركباً سمّاه " جالب التّوم " ، و هو خليط من الماميثا و الأنزروت و الزعفران المرّ و دواءً آخر ينفع من الجرب و الرّمد العتيق ، و سيلان القيح من الأذن ، و القروح التي يعسر إندمالها ، و الأكلة التي تقع في الفمّ ، و هو خليط من النّحاس المحرّق و الفلفل و عقيد العنب ، حيث تُسحق الأدوية اليابسة و يُرشّ عليها في الشراب ، فإذا جفّ ؛ ألقي عليها عقيد العنب و يُسحق به ، و يوضع في إناءٍ ، و يُطبخ بنارٍ ليّنة و يُحفظ في إناءٍ من نحاس (2) .

و من الأدوية التي تنفع من سيلان المواد الكثيرة الناتجة عن عسرة الرّطب في العين ، أو وجود ورم بداخلها مائلاً إلى البياض في لونه ، أو الرّمد الذي يعلو فيه بياض العين على سوادها ؛ يصف ابن سينا دواءً يُستعمل قبل الحّمّام و هو خليط من عدّة مواد ، إذ يقول : " ... تأخذ من الحجارة التي يقال لها " شحطوس " ثمانية مثاقيل ... كندر (3) سبعة مثاقيل ، نحاس محرّق مغسول ، و أفيون و صمغ ... يُعجن بشراب مقدار كفاية ، و يُستعمل ببياض العين رقيقاً ، بأن يقطرّ في العين منه مراراً (4) .

(1) الأنزروت : هو الكحل الفارسي و الكرمانى ، و يُسمى " زهر حشم " ؛ و هو عبارة عن صمغ شجرة شائكة في بلاد فارس ، فيه مرارة ، جيّده يُضرب إلى الصفرة ، و يشبه اللّبان . داؤد الأنطاكي : المصدر السابق ، ص 90 ؛ محمد عابد الجابري : المرجع السابق ، ص 598 .

(2) ابن سينا : القانون في الطبّ ، مج 3 ، ص 2445 .

(3) الكندر : هو نبات شائك معروف باسم اللّبان ، و يُسمى " البُستج " ، و يُجلب من بلاد المشرق ؛ خاصة من بلاد اليمن ، و الذكر منه مستديرٌ صلبٌ ، ضاربٌ إلى الحمرة ، أمّا الأنثى ؛ فهو أبيض هشٌّ ، و قد يُؤخّر طرياً ، و يُجعل في الماء فيستدير ، و يُسمى " المدحرج " ، و تبقى قوّته نحو عشرين سنة . و للكندر فائدة كبيرة ، إذ يُستعمل لجبس الدّم ، و إزالة القروح ، و تنقية البلغم ، و تضميد الجروح ، و علاج أمراض العين و الأذن و الأنف ، و أمراض الجلد ؛ كالحكّة و الجرب ، إضافةً إلى أمراضٍ أخرى ؛ كالقبيّ و الغثيان ... إلخ . داود الأنطاكي : المصدر السابق ، ص 397 ؛ ابن الحشاء : المصدر السابق ، ص 240 .

(4) ابن سينا : القانون في الطبّ ، مج 3 ، ص 2446 .

و من الأدوية الأخرى التي وصفها ابن سينا لعلاج الأوجاع الشديدة و البثور (1) ، و القروح الوسخة

و القروح المتأكلة دواء سمّاه : " الكوكب الذي لا يُغلب " (2) ، و هناك دواء آخر يقال له : " التّفاحي "

ينفع لمن لا تتحمّل عينه مسّ الأدوية ، و يصلح للبثور و القروح الغائرة ، و الوسخة ؛ التي تحدث في الطبقة القرنية

(3) ، كما يصف الشيخ الرئيس دواءً آخرًا يقال له " الهندي " ، يمنع من الرّمذ ، و ينفع من الحكّة (4) .

و من الأطباء الموالى الذين كانت لهم إسهامات في طبّ العيون : " الرازي " ؛ الذي خصّص فصلاً كاملاً

للعيون في كتابه (الحاوي) ، أبدع فيه وصف العلل و الأمراض التي تصيب العين ؛ كالرّمذ ، و البثور ، و القروح

و الحكّة ، و السيلان ، و الأوجاع الشديدة (5) ، و على غرار ابن سينا ؛ نجد الرازي يصف العلاج اللازم لها

بالإعتماد على طرقٍ بسيطةٍ ، أساسها الأعشاب الطبيعية و بعض الأغذية ، و قد أُعتبرت هذه الإسهامات مرجعاً

للعديد من الكخّالين من بعده ، على غرار أحد الأطباء الكخّالين من أسرة " بختيشوع " ؛ الذي رجّع في مناسباتٍ

عديدة إلى خمس نسخ من فصل العيون في كتاب (الحاوي في الطبّ) (6) .

عالج الرازي حالاتٍ مختلفة للأمرّاض التي تصيب العين ، نكتفي بذكر بعضها ، مثال ذلك ؛ علاجه لامرأةٍ

وصف حالتها ، إذ يقول : " ... جدت امرأةً جدرياً على جدري أربع مرات ، بادرتُ إلى العين فوقيتها بالكحل

(1) البثور : هي الخراجات الصغار . ابن الحشاء : المصدر نفسه ، ص 285 . عبد الرحيم مارديني : موسوعة كنز المعلومات ، دار البدر ، المحمدية

(الجزائر) د س ط . ص . 28 .

(2) ابن سينا : القانون في الطبّ ، مج . 3 ، ص . 2447 .

(3) ابن سينا : نفس المصدر ، مج . 3 ، ص . 2448 .

(4) المصدر نفسه ، ص . 2448 .

(5) حسان الحلاق : المرجع السابق ، ص . 38 .

(6) جمهرة من المستشرقين : تراث الإسلام ، إشراف : سير توماس أرنولد ، ترجمة : جرجيس فتح الله ، ط . 2 ، دار الطليعة ، بيروت 1972

ص . 465 .

المحكوك بماء الورد ، فلم يخرج في عينها شيئُ البتّه ، على أنّه قد كان حواليتها أمر غليظ جداً ، فعجب لذلك العجائز اللآئي كنّ حولها من سلامة عينها ... " (1) . كما أنّه أُصيب في آخر أيامه بالعمى (2) ، و يُروى أنّه كان مُصاباً برطوبة في العينين ، و جاء قدّاح ليقدها ، فسأله الرازي : كم طبقة في العين ؟ فقال : لا أعلم فقال: لا يقده عيني من لا يعلم ذلك (3) ، كما أنّه يصف حالة هيجان العين ، و يُرجعها إلى كثرة المشي في الشّمس والعلاج في نظره أن يُشَمّ الأفيون المصري ، و تُطلى به العين ، كما أنّ الهيجان يكون عقب الجلوس عند النّار ، و علاجه أن يتناول شيئاً من الطعام ، و يكتحل بشيءٍ من الهليلج ، فإنّه يُبرأ في الوقت (4) .

أمّا الطبيب المعروف " النجيب السمرقندي " ؛ فهو من الأطباء الموالى الذين أبدعوا في وصف الأدوية الشافية لمختلف الأمراض التي تُصيب العين ؛ مثال ذلك ما قدّمه ؛ حين خصّص فصلاً كاملاً من كتابه () لوصف العين ، و تشخيص أمراضها ، و وصف العلاج اللازم لها (5) .

ثالثاً : الطبّ النفسي :

يُعتبر المسلمون أوّل من مارسوا الطبّ النفسي ، و وضعوا له أسساً و ضوابط ، و تمكّنوا بفضل ذكائهم و فطنتهم و حكمتهم ؛ من معالجة بعض الأمراض النفسية ، التي كانت مستعصية ، و أدركوا مدى تأثير الحالات النفسية على الجسد و حركته ، و تُعدّ إسهاماتهم في هذا المجال مرجعاً مهماً لغيرهم من أطباء الغرب المسيحي و كان لهم الفضل الكبير فيما وصل إليه الطبّ النفسي الحديث .

(1) الرازي ، أبي بكر محمد بن زكريا : كتاب المرشد أو الفصول ، مع نصوص طبّية مختارة ، تقديم : ألبير زكي إسكندر ، ط . 2 ، معهد

المخطوطات العربية القاهرة 1995 ، ص. 158 .

(2) Gustave Le Bon : op . cit , p 447 .

(3) أحمد شوكت الشطي : المرجع السابق ، ص. 226 .

(4) Fuad sezin , op . cit , p 82

(5) أنظر الملحق 3 ، ص 142 .

إنّ الحديث عن الطبّ النفسى ؛ يجرّنا إلى التطرّق لتلك الإسهامات الكبيرة للأطباء الموالى في هذا المجال و لعلّ من أبرزهم : الطبيب الكبير " الرازى " ؛ الذي يعتبر أول طبيب في تاريخ البشرية يُدرك الأصول النفسانية لإلتهاب المفاصل الروماتيزمي ، و يقرّر طريقة جديدة لعلاجّه ، و في هذا الصدد ، نذكر قصّة علاجه للأمير بخارى ⁽¹⁾ " منصور بن نوح الساماني " ⁽²⁾ ؛ الذي كان يعاني من مرضٍ نفسيٍّ أهدمته ، و أفعده الفراش ، و شلّ حركته شللاً تاماً ، و استعصى علاجه ، فلمّا جيئ بالرازى لعلاجّه ، أدرك بحسّه الطيّب العميق أنّ هذا الداء من الأمراض الجسدية الناتجة عن اضطرابات نفسية ، و أكثر الناس تعرّضاً له ، أولئك الذين يكظمون نوبات الغضب في أعماقهم ، و هذا ما أدركه الرازى ، و استخلص منه كلّ ما ينطوي عليه من نتائج ، فقد أمر بحمل الأمير إلى أحد الحمامات العامة ، و هناك غمره بعض الوقت في الماء الساخن ، ثمّ جعل يشتمه و يسبّه حتّى ثارت ثائرة الأمير ، و نهض على ركبتيه ؛ يريد الإنقضاء على الرازى ، و عندئذٍ ، استلّ سكّيناً كما لو كان يهجم بمهاجمة الأمير ، و قد ازدادت شتائمّه ، و علا صياحه ، و فجأةً وقعت المعجزة ، و وقف الأمير على قدميه لكي يبطش بالرازى ، و جرى وراءه ، و بذلك فكّ أسرّه ، و عادت إليه رشاقته و ثقته بنفسه و بقواه ⁽³⁾ .

(1) بخارى : مدينة من أعظم مدن بلاد ما وراء النهر ، بينها و بين جيحون مسيرة يومين . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج. 1 ، ص. 303 .

H A R GIBB : op . cit , vol 2 , p 1293

(2) منصور بن نوح : هو منصور بن نوح بن نصر الساماني ؛ المكتب بـ " أبي صالح " ، أمير بلاد ما وراء النهر ، تولّى الإمارة بعد وفاة أخيه عبد الملك سنة 350 هـ ، و كانت علاقته بـ " ركن الدولة البويهى " متوتّرة ، فكانت الحروب تستعر بينهما ؛ لولا أنّ منصوراً أظهر حكمةً و رؤيّةً ، دلّ بهما على حسن سياسته فأطفئت نار الفتنة بسلام ، توفي في بخارى سنة 366 هـ . عبد السلام الترماني : المرجع السابق ، ص. 815 .

(3) محمد بن عبد الرحمن مرجبا : المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، دار الجليل ، بيروت 1998 ، ص. 288 ؛ أحمد شوكت الشطّى : تاريخ

الطبّ و آدابه و أعلامه ، ص. 226 ؛ عامر التجار : في تاريخ الطبّ في الدولة الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة 1994 ، ط. 3

ص. 105 ؛ عبد الخليم منتصر : تاريخ العلم و دور العلماء في تقدّمه ، دار المعارف الإسكندرية 1969 ، ط. 3 ، ص. 151 ؛ عبد الرحمن

محمد العيسوي : علم النفس الإكلينيكي ، الدار الجامعية ، بيروت 1992 ، ص. 39 .

يؤكد الرازي على أهمية العامل النفسي في الصحة و المرض ، بل في الأمراض العضوية ، فهو يرى أنّ سوء الهضم ؛ قد ينشأ عن أسباب نفسية ، و يتّضح ذلك في قوله : " ... قد يكون لسوء الهضم أسباب بخلاف رداءة الكبد و الطحال ، منها حال الهواء و الإستحمام ، و نقص الشرب ، و كثرة إخراج الدّم ، و الجماع ، و الهموم النفسانية ⁽¹⁾ ، لذلك يدعو الرازي إلى بث روح الأمل ، و قوة الحياة في نفس المريض مهما كانت حالته ، لما للعامل النفسي من تأثير فيه ، فقد نقل ابن أبي أصيبعة من مآثور أقوال الرازي هذه العبارة : " ... ينبغي للطبيب أن يوهّم المريض أبداً الصّحة ؛ يُرّجيه بها و إن كان غير واثقٍ بذلك ، فمزاج الجسم تابع لإحلاق النّفس ... " ⁽²⁾ و يذهب الرازي إلى أنّ النّفس هي التي لها الشأن الأساسي فيما بينها و بين البدن من صِلات ، فواضح أنّ ما يجري من خواطر و هواجس ، و ما تُلاقيه من آلامٍ و مآسٍ ، إنّما يطفو كلّ هذا على السّطح من خلال الملامح الظاهرة ، لذلك يرى أنّه من الضروري على الطبيب أن يهتمّ بالجانب النفسي للمريض ، و لهذا قام بتأليف كتابه : (الطبّ الروحاني) ؛ الذي يهدف من وراءه إلى إصلاح النّفس ⁽³⁾ .

و من الحالات الطريفة التي نجح الرازي في علاجها ، حالة جارية من جواري ملك السامانيين ، و كانت قد تقوّست قامتها ، فلم تستطع إنتصابها إطلاقاً ، و لقد طلب هذا الملك من الرازي علاجها ، فلم يشأ أن يستعمل معها الأدوية و العقاقير ، و إنّما لجأ إلى أسلوبٍ نفسي ؛ بأن أمر أن تخلع ثيابها حتى تنكشف عورتها ، و لمّا حاولت الجوّاري خلع ثيابها ، بدأت بمقاومتهم ، و أثناء ذلك إ تقصبت قامتها ، و أصبحت سليمة ، و معنى ذلك أنّ الرازي قد أدرك ما تُسميه اليوم بالأمراض الوظيفية ⁽⁴⁾ .

(1) الحاوي في الطبّ ، ج 3 ، ص. 61 .

(2) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص. 420 .

(3) عامر التّجار : المرجع السابق ، ص. 105 .

(4) عبد الرحمن العيسوي : علم النّفس الطّبي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص. 379 ، عبد الرحمن العيسوي : علم النّفس الإكلينيكي

أما الشيخ الرئيس " ابن سينا " ؛ فقد أظهر تفوقه في علاج بعض الأمراض النفسية و العقلية ، فهو في الحقيقة حجة في الطب النفسي إلى جانب الطب الجسدي ، و الشواهد على ذلك كثيرة ، فله كتابات قيمة في علاج بعض الإضطرابات النفسية و العقلية ، بل إنه يُخصّص أقساماً مستقلةً من كتبه لأمراض متعدّدة ، كالقلق و الإكتئاب و فقدان الذاكرة و القوة الجنسية ، فهو لم يكتف بوصف هذه الأمراض ، بل قام بمحاولات جادة لعلاجها ، يدلّ على حدس عبقرى مبكّر ببعض الحقائق الهامة في دراسة الأمراض النفسية و العقلية ، يربطها بالتغيّرات الفيسيولوجية ، و مثال ذلك أنّه بيّن كيف تنعكس العوامل النفسية على عملية النبض ؛ من خلال تشخيصه لمرض العشق ، الذي صنّفه ضمن الأمراض الجسدية التي تحتاج إلى علاجٍ نفسيّ ، و قد أبدى ابن سينا طريقةً ذكيّةً لعلاجها ، فكان يذكر أسماءً كثيرةً أمام المرضى بالعشق ، على أن تُعاد مراراً ، و تكون اليدّ على نبضه فإذا اختلف وزن نبضه إختلافاً عظيماً ، و صار عند ذكر إسمٍ معيّنٍ شبه منقطع ، ثمّ عاد إلى حاله بعد ذلك علّم إسم المعشوق ، و قد جرّب ابن سينا هذه الطريقة مراراً ، و استعان بها في دراسة الأمراض العصبية و الإضطرابات النفسية و معالجتها (1) .

و من الحالات النفسية التي عالجها الحكيم ابن سينا ، أمراض الإكتئاب و الوهم ، وفي هذا الصدد ؛ نسرّد قصّة ذلك الشخص الذي توهم أنّه بقرة ، فأصبح مصدرراً دائماً لفرع أبيه الأمير و إزعاج المحيطين به ، و ذلك لخوفه الدائم و خواره المستمرّ كالبقرة ، و إصراره على أن يذبحوه و يأكلوا من لحمه ، و كان من نتيجة ذلك أن امتنع عن الطعام ، و نقص وزنه ، و هزل هزالاً شديداً ، و قبل أن يُحضروا ابن سينا لمعالجته ، أوعز إلى أهله أن يُبلغوا مريضهم بأن يستعدّ لقدم الجزار لذبحه ، ثمّ دخل ابن سينا على المريض و بيده سكين ، و هو يسأل : أين البقرة ؟ فانبعث من المريض حوار كالبقرة ليذلّ على موقعه ، فطرح أرضاً ، و أوثقت قدماه و يده ، و لما همّ ابن

(1) أحمد شوكت الشطّي : المرجع السابق ، ص. 252 · 253 ؛ محمد بن عبد الرحمن مرجبا : المرجع السابق ، ص. 300 ؛ حسان الخلاق :

المرجع السابق ، ص. 45 .

سينا على ذبحه ؛ ألقى السكين و هو يقول : إنَّها بقرة عجفاء لم يحن الوقت لذبحها بعد ، بل من الواجب تغذيتها حتى تسمن ، و عندئذٍ من الممكن ذبحها ، و عند ذلك أقبل الشاب المريض على تناول الطعام ثم أخذ يستعيد صحته تدريجياً إلى أن شُفي من مرضه (1) .

لقد كان ابن سينا يريد أن يُقنع مريضه بالأكل أولاً ، فلعله يُشفى من إكتابه إذا نال كفايته من الطعام ، و لكنّه لا يستطيع أن يفعل ذلك مباشرة كيلا يُصدمه أو يزيد من صدمته التي تشدّ و تتعقد يوماً بعد يوم ، و لعلّ إصرار أهله على أنّه مصاب بوهيم أنّه بقرة ، و أنّه ليس كذلك ، بل هو إنسان كسائر الناس ، هو الذي زاد من حدّة مرضه و فقدانه الثّقة بأهله ، و هو ما أدركه الشيخ الرئيس ، فلجأ إلى بناء تلك الثّقة بينه و بين المريض فعمد إلى الحيلة و المداورة ، ليتسّى له الدخول إلى عقله ، و يُعيد تنظيم شخصيته من جديد ، لأنّه ليس في وضعٍ يُمكنه من إقناع المريض بخطأ معتقدٍ في نفسه ، كيلا يزيده تشبّثاً بالمرض ، فتزيد حالته سوءاً ، و بذلك يقع ابن سينا فيما وقع فيه أهل المريض ؛ الذين حاولوا بشقّى الطرق إقناعه بأنّه إنسان ، و لكن دون جدوى ، لأنّها وسائل بدائية لا تُجدي ، و بالتالي لابدّ من وسيلةٍ جديدةٍ ، و قد إكتشف ابن سينا هذه الطريقة ، و هنا تكمن عبقريته (2) .

و من الأطباء الموالى الذين كانت لهم إسهامات في الطبّ النفسى ، نذكر الطبيب : عي بن ربن الطبري (3) صاحب كتاب (فردوس الحكمة في الطبّ) ؛ الذي وصف بعض الأمراض النفسية ، مثل آلام الرّأس ، و الصرع و المرض الكاهني ؛ الذي يتكهّن صاحبه و تظهر له أشياءً عجيباً ، و الوحشة ، و الوسوسة ، و الهذيان ، و فساد الخيال و العقل ، و التسيان ، و التوحّش في البراري ، و السّهر ، و السّبات ، و الدوّار ، فالمريض نفسياً حسب

(1) عبد الرحمن العيسوي : علم النفس الطبّي ، ص. 381 ؛ أحمد شوكت الشطّي : المرجع السابق ، ص. 253 ؛ حسان الحلاق : المرجع

السابق ، ص. 45 .

(2) محمد بن عبد الرحمن مرجبا : المرجع السابق ، ص. 302 .

(3) لمعرفة هذه الشخصية ؛ أنظر ، ص. 46 .

إعتقاده ؛ قد يسمع أصواتاً و دويّاً لا يسمعه غيره ، و يرى شيئاً يُشبه النار أو الذباب ، و يرى الشيء شيئاً
و قد يحسب نفسه من خزفٍ ، و يخاف أن يمسه شيئاً فينكسر ، أو يتوهّم أنه إبل برى فيهرب من الناس ، و كلّ
ذلك يُتخيّل من عللٍ تحدث في الدماغ ، و تلك العلل قد تكون من أسقامٍ نفسية كالحزن ، و الغضب ، و العشق
كما يرى الطبري أنّ جميع ما يُعرض للإنسان من وجهين ، إمّا عارض للنفس ، و إمّا عارض للجسد ، فعلاج ما
يُعرض للنفس إدخال السرور و الأمن عليها ، و محاولة إزالة الهَمّ و الخوف عنها ؛ بالأحداث السارة الموافقة
للمريض ، كما يروي الطبري وقائع و أحداثاً عن إقدام بعض الرجال و النساء على ذبح أنفسهم ، أو تعليقها في
الأشجار عند أيّ خوفٍ أو غمّ ينزل بهم ⁽¹⁾ .

رابعاً : طبّ الحيوان

لاحظنا سابقاً كيف أبدع الأطباء المسلمون لا سيما الموالى في مختلف الاختصاصات ، و تمكّنوا من علاج
حالاتٍ مرضيةٍ . جسدية و نفسية . كانت مستعصيةً ، و أسسوا منهجاً علمياً خاصاً بهم ، أصبح فيما بعد يُمثّل
مرجعيةً لغيرهم من أطباء الأمم الأخرى ، و لكن بالرغم من كلّ هذا ، فإنهم لم يُعطوا للحيوان حقّه ، نظراً لقلّة
إسهاماتهم في هذا المجال و لعلّ من أشهر ما كتب عن الحيوان نذكر صاحب كتاب (الحيوان) : أبو عثمان
" الجاحظ " ⁽²⁾ ؛ الذي أبدع من خلاله في وصف أصنافٍ عديدةٍ من الحيوانات ، و جلال الدين محمد بن عبد

(1) إحسان صدقي العمدة : الطبّ النفسى عند العرب و المسلمين ، مجلة العربي ، العدد 333 ، أوت 1986 ، ص. 56 .

(2) الجاحظ (ت 255 هـ) : أبو عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ ، أحد أشهر الأدباء في عصور الأدب العربي ، نُقّب بالجاحظ لجحوظٍ في عينيه
كما نُقّب كذلك بـ " الحدقي " ، و يعرف بأنّه زعيم فرقةٍ من المعتزلة يقال لها " الجاحظية " ، و له ولع كبير بعلم الكلام و ظهر ذلك الولع واضحاً في
كتبه حيث يأخذ في الرأي ، و يدافع عنه ، ثمّ بضدّه و يُدافع عنه أيضاً ، و أسلوبه في الكتابة هو من السهل الممتنع ، بالإضافة إلى قدرة تصويرية ساخرة
لا مثيل لها . و قد ذكرت المصادر و المراجع التي ترجمت له أنّ له قرابة ثلاثمائة و خمسين كتاباً ، أهمّ تلك الكتب : الحيوان ، البيان و التبيين ، الخلاء
المحاسن و الأضداد ، و له مجموعات من الرسائل في مواضيع متعدّدة مثل : الجوارى ، البغال ، التّرك ، إعجاز القرآن . عبد الحلیم منتصر : المرجع
السابق ، ص. 198 ؛ محمد أتونجي : مشاهير العالم ، إشراف : إميل يعقوب ، دار الجليل ، بيروت (د س ط) ، ج 1 ، ص. 48 .

الرحمن الملقب بـ " القزوينى " ⁽¹⁾ ؛ فى كتابه : (عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات) ، و كذا أبو البقاء محمد بن موسى المعروف بـ " الدميرى " ⁽²⁾ ؛ فى كتابه (حياة الحيوان الكبرى) ، ولم يكنفى هؤلاء بوصف الحيوان وصفاً دقيقاً ، بل تعرّضوا للنواحي العلاجية ، و الفوائد الطبيّة لأى من الحيوانات التى وصفوها .

أمّا فيما يخصّ إسهامات الأطباء الموالى فى طبّ الحيوان فهى قليلة جداً ، و يُعتبر " علي بن ربن الطبرى " من الأوائل الذين خاضوا فى هذا المجال ؛ إذ خصّص فصلاً كاملاً من كتابه (فردوس الحكمة) للحيوان ؛ صنّف فيه الحيوانات إلى أرضية و مائية و هوائية ⁽³⁾ ، و حاول فيه وصف أعضائها و وظائفها ، و قدّم رأيه و تفسيره لتشكّل بعض الأعضاء ؛ كالقرون و الأظلاف و الحوافر و الأظافر ؛ و يقول فى هذا الشّأن : " ... فأما علّة القرون و الأظلاف ؛ فأقول إنّ من الدواب دواب دائمة للإرتعال و الأكل ، و لجسمها حصافة شديدة ، و تجتمع فيها لذلك رطوبات كثيرة ، و تحتبس حرارتها ... و تلك الحرارة تدفع رؤوسها الرطوبات الغليظة ، فتطلع عند ذلك

(1) القزوينى (ت 739 هـ) : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى ، أديب و فقيه و محدّث ، ولد فى الموصل ، و تولّى القضاء ناحية الروم و هو لم يتجاوز العشرين ، و اشتغل بالقضاء فى دمشق ، ثمّ خطيباً فى جامعها ، ثمّ قاضى القضاة فيها ، ثمّ قاضى القضاة فى مصر ، و أعيد إلى قضاء دمشق بعد ذلك . من مؤلفاته : تلخيص المفتاح فى المعاني و البيان ، إيضاح التلخيص ، الشدر المرجاني من شعر الأزراني ، عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات محمد ألتونجى : المرجع نفسه ، ص. 153 ؛ عبد الحليم منتصر : المرجع السابق ، ص. 216

(2) الدميرى (ت 808 هـ) : هو أبو البقاء محمد بن موسى ، ولد و مات فى القاهرة ، و هو من أهل ديمره ، كان يشتغل بالخطاطة ، و يعيش من عمله ، ثمّ أقبل على العلم ، فدرس الأدب و التفسير و الحديث و الفقه حتّى اشتهر بذلك كلّه ، و شرع بإلقاء الدروس فى القاهرة ، ثمّ سافر إلى مكّة و المدينة ، و ألقى الدروس فىهما ، ثمّ عاد إلى مصر ، و كان له فى الأزهر حلقة خاصة ، و مال إلى الزهد و التقشّف ، فنُسبت له الكرامات ، له مؤلّفات عديدة ، أهمّها ما كتبه عن الحيوان (حياة الحيوان الكبرى) ، و صنّفه على شكل معجم ، رُتبت فيه مواد على أساس التسلسل الهجائى و كان يُعرّف بالحيوان لغوياً ، و يصفه و يذكر أهم خصائصه ، و مؤلفاته الأخرى مُلخصات أو شروح مثل : التّجم الوهّاج ، الديقاجة ، أرجوزة فى الفقه ... إلخ . عبد الحليم منتصر : المرجع السابق ، ص. 208 ؛ محمد ألتونجى : المرجع السابق ، ص. 76 ؛ محمد أمين فرشوخ : الموضع السابق ، ص. 55 .

(3) الطبرى علي بن ربن : فردوس الحكمة ، تحقيق : محمد زبير الصديقى ، مطبع أقتاب ، برلين 1928 ، ص. 27 .

منها القرون ، و الدواب التي لها قرون لا تُنبت لها أسنان في فكّها الأعلى ... و ما تنزل من تلك الرطوبات إلى أسفلها كان منها الحوافر و الأظلاف و الأظفار ... " (1) . كما أبداع الطبري في وصف بعض الحيوانات البرية و المائية ، و البرمائية ، و الطيور ؛ نكتفي بذكر بعضها . ففيما يخصّ الأسماك ؛ فقد ذكر لنا بعض أصنافها و أوصافها ، و بيّن أنّها تبيض ؛ و لا أرحام لها ، و لا قوائم ؛ إلاّ أنّه ذكر أنّ بعضها لها أرحام ، و تلدّ كما تلدّ الحيوانات الثديية ، و يقول في هذا الصدد : " ... على أنّه قد أخبرني غير واحدٍ ؛ ممّن أتق به من زهبان جزائر البحر ، أنّ في بحرهم سمكاً مُدوراً مثل الترس ؛ تحمّل في بطنها السمك و تلدّ ، و ليس للسمكة رئة ؛ فهي لا تتنفس ، و لا تحتاج للإستنشاق لكنّها تشرب الماء ، ثمّ تضمّ فيها ، و تعصر أذنبها ؛ فيخرج الماء عنها كما يخرج من حيوان البرّ فضول الهواء عنه بالأنفاس ... " (2) ، كما قدّم لنا هذا الطبيب بعد أوصاف الحيوانات البرمائية كالسلاحف و السراطين ، و تطرّق بالتفصيل إلى مراحل تشكّل الفروخ في البيضة ، و قال : " ... ثمّ تتفرّع أعضاء الفروخ في البيضة كما تتفرّع الشجرة ، و إذا فتى غذاء الفروخ في البيضة ؛ تتحرك حينئذٍ لطلب الغذاء ، و تُحسّ الدجاجة بحركته في البيضة ؛ فتخرجه منها بمنقارها ... " (3) . و بالتالي أثبت هذا الطبيب أنّه كان بارعاً في علم التشريح ؛ إذ أنّ كلّ الأوصاف التي قدّمها لنا حول أعضاء الحيوانات ؛ كانت بعد تشريحها ، كما كان لا يتردد في إجراء بعض التجارب عليها ، و تجريب بعض الأدوية عليها ؛ خاصةً تلك التي لها نفس خصائص أعضاء جسم الإنسان ؛ و هو ما اشترك فيه أغلب أطباء العرب و المسلمين .

أمّا الطبيب الكبير " أبو بكر الرازي " ؛ فهو الآخر خاض في هذا العلم ؛ مُستفيداً ممّا أخذّه من أستاذه " ابن ربن الطبري " ؛ إذ كان بارعاً في تشريح الحيوانات ؛ و وصف أعضائها ، و القيام ببعض التجارب العلمية

(1) الطبري علي بن ربن : المصدر السابق ، ص. 28 .

(2) الطبري علي بن ربن : نفس المصدر ، ص. 30 .

(3) المصدر نفسه ، ص. 30 .

على بعضها ؛ خاصة القردة ، لشدة شبهها بالإنسان ، فكان يُعطي القرد جرعاتٍ من الدواء ، ثم يلاحظ تأثيره فيه فإن نجح طبق تجربته على الإنسان و هذه الطريقة هي التي يتبعها الأطباء حالياً (1) .

أما الحكيم " ابن سينا " ، فقد خصص الجزء الخامس من كتابه : " الشفاء " لعلم الحيوان ، و دخل في بعض التفاصيل التي تدلّ على أنه من العلماء الكبار في هذا المجال (2) ، فقد عرض الشيخ الرئيس نماذج رائعة لدراساته في علم الحيوان و التشريح و مختلف أنواع الطير و الحيوان ؛ ممّا يدلّ على طول باعه في هذا العلم ، بل إنّ ما كتبه في الحيوان يزيد أضعافاً مضاعفة ممّا كتبه في النبات و الطبيعيات ، و لعلّه أن تكون لذلك دلالة شغف الشيخ بعلم الحيوان لما أفاض فيه هذه الإفاضة العجيبة (3) .

لقد درس ابن سينا الحيوانات دراسة مستضيئة ، و ركّز على أخلاق و طبائع و عادات الحيوانات ، و ضمّن دراسة مفصّلة عن أعراض الحيوانات عامّة ، سواء كانت من الدواب ، أو النعم ، أو الطيور ، أو الهوام ، أو الحشرات أو الأسماك أو السباع (4) ، إذ تناول بحثه العظام و الغضاريف ، و الأعصاب و الشرايين ، و الأوردة و الأغشية و الرباطات و الأجهزة العضلية و المضمية و الدورية و التناسلية و التنفسية (5) ، و بالتالي شملت هذه الدراسة ؛ الحيوانات المائية و البرمائية و البرية . ففيما يخصّ الحيوانات المائية ؛ فقد قسمها إلى لجية و شطية و هذه الأخيرة قسمان : طينية و صخرية ، و أوضح أنّ الحيوانات المائية ، إمّا ذات ملاحق ؛ كبعض أصناف

(1) علي بن عبد الله الدقّاع : رواد الحضارة ... ، ص. 218 ؛ حربي عبّاس و حستان حلاق : المرجع السابق ، ص. 273 ؛

Madleine Michaux : **Histoire du Moyen age** , édition Eprolles , Paris 2007 P 190 .

(2) علي بن عبد الله الدقّاع : إسهام علماء العرب و المسلمين في علم الحيوان ، ط. 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1986 ، ص. 261 .

(3) عبد الحلیم منتصر : المرجع السابق ، ص. 132 .

(4) علي بن عبد الله الدقّاع : إسهام علماء العرب و المسلمين في علم الحيوان ، ص. 262 .

(5) عبد الحلیم منتصر : المرجع السابق ، ص. 132 ؛ حربي عبّاس و حستان حلاق : المرجع السابق ، ص. 294 .

الصدف ، و إما مُتحرّرة الأجساد كالسّمك ، و يرى ابن سينا أنّ من الحيوانات المائية من تتحوّل إلى بريّة مثل حيوان يُسمى باليونانية " مادام أسيداس " ، الذي يعيش في الأنهار و يتحوّل مع مرور الوقت للعيش في البرّ (1) . إضافةً إلى هذا ، فقد قدّم ابن سينا دراسةً مستفيضةً و كاملةً عن أعضاء الحيوانات المتشابهة ، و يتّضح ذلك من خلال قوله : " ... و أول الأعضاء المتشابهة الأجزاء العظم ، و قد خُلِقَ صلباً ، لأتّه أساس البدن و دعامة الحركات ، ثمّ الغضروف ، و هم أليّنُ من العظم ، و أصلبُ من سائر الأعضاء ، و المنفعة في خلقه أن يُحسن به إتّصال العظم بالأعضاء اللينة ، فلا يكون الصلب و اللين مركّباً بلا متوسط ، فيتأدّى اللين بالصلب ، و خصوصاً عند الضربة و الضغطة ... " (2) ، كما تحدّث أيضاً عن الوجنة ، الأسنان ، الفكّين ، العنق ، الكتف اللسان ، الحنجرة ، الثديين ، الصدر ، و البطن (3) . و بعد أن فصّل ابن سينا في الأعضاء المتشابهة عند الحيوانات ، بدأ في دراسة وصفية و مقارنة ، و التطرّق إلى الخصائص ؛ التي تُتميّز بعض الحيوانات عن غيرها كالحمار الهندي ، الكركدن ، البقر ، التمساح ، الطير الضفدع و الدلفين (4) .

و من الأطباء الموالى الذين أسهموا في هذا الإختصاص " ابن مسكويه " (5) ؛ الذي تناول علم الأحياء في كتابه (الفوز الأصغر) ، فقسّم الحيوانات إلى أصنافٍ ، إذ يرى أنّ هناك حيوانات دنيئة ؛ لم تستوفِ الصفات الحيوانية الكاملة ، و التي في صفاتها تشابه بالحياة التّباتية كالأصداف (6) و الحلزون ، كما تكلم عن الحيوانات

(1) الدقّاع : إسهام علماء العرب و المسلمين في علم الحيوان ، ص. 262 .

(2) ابن سينا ؛ نقلاً عن الدقّاع : إسهام علماء العرب و المسلمين في علم الحيوان ، ص. 262 .

(3) الدقّاع : إسهام علماء العرب و المسلمين في علم الحيوان ، ص. 267 .

(4) الدقّاع : المرجع نفسه ، ص. 267 .

(5) لمعرفة هذه الشخصية ، أنظر الفصل اللّثني من هذا البحث ، ص. 56 .

(6) الأصداف : هي جمع صدف ، و الصدف هو غطاء الحيوان المسمّى مائئهُ " محاراً " و بريئهُ " حلزوناً " . ابن الحشاء : المصدر السابق ، ص. 92 .

عديمة البصر مثل الخلد (1) ، و أعطى أمثلةً للحيوانات الضعيفة البصر كالنمل وغيره ، و المعروف أن النمل ضعيف البصر إلى حد كبير ، بل منه أنواع فاقدة للبصر ، في حين أن باقي الحواس مُستكملة قوية ، فالنمل يستطيع بحاسة الشم أن يهتدي من مسافات بعيدة إلى المواد السكرية التي لا يُشم لها رائحة ، كما تكلم عن وجود حيوانات عيونها عاطلة من الجفون كالأفاعي و الأسماك الكبيرة ضعيفة البصر .

إضافةً إلى كل هذا ، يتحدث " ابن مسكويه " عن الحيوانات التي استكملت حواسها الخمس ، إذ يرى أنها على مراتب متفاوتة ، فمنها البليدة الجافية الحواس ، و فيها الذكية اللطيفة الحواس التي تستجيب للتأديب ، و تقبل الأمر و النهي كالفرس من البهائم ، و الببغاء من الطيور ، التي يصل بها الأمر إلى حد استعدادها لقبول أثر النطق و التمييز ، أما القردة و أشباهها فقد صنّفها " ابن مسكويه " في قمة مرتبة الثدييات ، و جعلها أحط من مرتبة الإنسان ، خاصةً فيما يتصل بالموهب ، من قبول التأديب و التمييز و الإهتمام إلى المعارف (2) .

خامساً : طب النساء و الولادة

يتضح جلياً من خلال م 1 سبق ، أن الطبيب المسلم كان مُلمّاً بجميع الأمراض و العلل التي تُصيب الجسد و النفس على حد سواء ، فلم تقتصر إبداعاته على إختصاص بعينه ، و إنما شملت إختصاصات متعدّدة ، حتى تلك المتعلقة بأمراض النساء ، إذ تناولها تناولاً يمتّ عن سعة إطلاع و عمق إستنتاج ، فقد تحدّث الأطباء المسلمون عن اضطرابات الطمث ، و الدورة الشهرية ، و الآلام المرافقة لذلك ، و تشريح الرحم و أمراضه ، و مراحل تطور الجنين ، و أعراض الولادة و غيرها من العلل التي لها علاقة بهذا الإختصاص .

(1) الخلد : هو حيوان ثديي من القوارض ، يفقد بصره بتأثير الطبيعة ، حيث تولد صغاره بعيونها ، ثم تضر العينان ، و يُغطّيها الشعر في جحور مُظلمة محفورة تحت الأرض ، و يُعوض هذا الحيوان حاسة البصر بحواسٍ أخرى كالسمع و الشم و اللمس . الدقاع : إسهام علماء العرب و المسلمين في علم الحيوان ، ص. 140 .

(2) الدقاع : إسهام علماء العرب و المسلمين في علم الحيوان ، ص. 140 .

يُعتبر الأطباء الموالى من الذين أبدعوا و تركوا بصماتهم في طب النساء و الولادة ، و " علي بن ربن الطبري " واحدٌ من هؤلاء ؛ إذ خصص فصلاً كاملاً في كتابه (فردوس الحكمة) ؛ و وصف فيه الرحم ، و تطرق فيه إلى مراحل تطوّر الجنين ، و بيّن الفرق بين مدّة خِلقة الذكر و الأنثى في الرحم ؛ مُستدلاًّ بأراء من سبقوه من أطباء الأمم الأخرى ؛ خاصةً اليونانيّين و الهنود (1) .

لقد قدّم لنا " الطبري " وصفاً دقيقاً لمرّاحل تشكّل الجنين في الرحم ، و بيّن علاقة تحرك الجنين بتاريخ الولادة بطريقةٍ توحى بأنّ الرجل له باعٌ كبيرٌ في هذا الإختصاص ، و ما قدّمه من وصفٍ لا يختلف عمّا توصّل إليه الطب الحديث ؛ و قد قال في هذا الشأن : "... إذا تمّت صورة الجنين في خمسة و ثلاثين يوماً ؛ تحرك في سبعين يوماً و وُلد في مائتين و عشرة أيّام ، فإن تمّت صورته في خمسة و أربعين يوماً ؛ تحرك في تسعين يوماً ؛ و وُلد في مائتين و سبعين يوماً ؛ فالتحرك في ضعف العدد الذي يتصوّر فيه ، و يولد في ثلاثة أضعاف العدد الذي يتحرك فيه ... " (2) ، و يقول أيضاً ؛ فيما يتعلّق الفرق بين مدّة خِلقة الذكر و الأنثى : "... إنّ الذكر تتبيّن خِلقته في ثلاثين يوماً ، و تتبيّن خِلقة الأنثى في اثنين و أربعين يوماً ؛ لأنّ الزرع الذي تكوّن منه الذكران أقوى ممّا تكون منه الإناث ، و لم يئى أنّ النساء أسقطن أنثى قبل أربعين يوماً ؛ في حين رأى بعضهنّ قد أسقطن الذكور في ثلاثين يوماً ... " (3) .

و من الأطباء الموالى الذين أسهموا في طب النساء و الولادة : الرازي ؛ الذي خصص فصلاً كاملاً من كتابه : (المنصوري) ، لوصف الرحم ، و مراحل تطوّر الجنين ، و العلل التي تُصيبه ، و كذا علامات قرب الوضع و نصائح أخرى يُقدّمها للمرأة الحامل و النفساء ، فقد وصف الرحم وصفاً دقيقاً ، و بيّن أنّ موضعها بين

(1) أنظر الملحق 2 ، ص. 141 .

(2) علي بن ربن الطبري : المصدر السابق ، ص. 33 .

(3) المصدر نفسه ، ص. 33 .

المثانة⁽¹⁾ و المعى المستقيم ، و هي تعظم كلما حملت المرأة و ولدت ، و الرحم حسبه مربوط برباطاتٍ عصبية يمكن أن تتمدد و تتسع عند الحاجة إلى ذلك ؛ أي عند الولادة ، و لها بطنان ينتهيان إلى فمٍ واحدٍ ، و زائدتان تُسميان " قرني الرحم " ، و خلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة ، و هم أصغر من التي للرجل و أشد تفرطحاً و ينصبّ منهما مني المرأة إلى تجويف الرحم ، و ربة الرحم تنتهي إلى قعر الفرج من المرأة⁽²⁾ .

إنّ وصف الرازي للرحم لا يقف عند هذا الحدّ ، و إنّما نجدّه يشرح شرحاً مفصلاً للفروق الموجودة بين أرحام النساء ، ذلك أنّ فم الرحم يكون منضماً عند المرأة البكر ، ثم يبدأ في التوسّع إذا حملت ، ثم سرعان ما ينضم حتى لا يدخله الميل ، فإذا حضر وقت الولادة أو فسد الجنين ، اتسع من جديد ، ليسمح بخروج جثة الجنين⁽³⁾ .

أمّا فيما يخصّ الجنين ، نجد الرازي يؤيد رأي جالنوس ، في كونه ينشأ من المنيّ ، و ينمو و يزيد من الطمّث و تتمّ و تكمل حلقة الذكر قبل الأنثى ، و يتصل الجنين بالعروق الموجودة في الرحم ، و يتغذى منها حتى يكمل و عند الولادة يتحرّك حركاتٍ صعبةٍ قويّةٍ . كما نجد الرازي يصف الثدي ، و كيفية تشكّل اللبن فيه ، و يقول في هذا الصدد : " ... الثدي مُركّب من شرايين و عروق ، و عصبٍ يحتسي ما بينهما نوع من اللحم ، عُدي أبيض طبعه طبيعة اللبن ، خلقه الله تبارك و تعالى ليكون المولد للبنّ ، و هذه الشرايين و العروق تنقسم في الثدي إلى أقسام دقاق ، و تستدير و تُلتف لفائف كثيرة ، و يحتوي عليها ذلك اللحم الذي هو مولد اللبن ، فيحيل ما في تجويفها من الدّم حتى يصير لبناً ... " ⁽⁴⁾ .

(1) المثانة : هي عبارة عن كيس غشائي ، عضلي مجوّف ، بيضاوي الشكل ، يقع في أسفل المنطقة الأمامية من الحوض ، و تتكوّن من أنسجة عضلية ملساء ، و توجد عند إتصال المثانة بالجرى البولي أليافٌ دائريّةٌ ، تتحكّم في عملية التبوّل ، كما أنّ المثانة تُخزن البول القادم من الكلية . أمين رويحة : المرجع السابق ، ص. 14 ؛ ماتيو ج أورلاند : المرجع السابق ، ص. 371 ؛ محمد هشام السمّاك : المرجع السابق ، ص. 257 .

(2) الرازي ، أبوبكر محمد بن زكريا : كتاب المنصوري ، نقلاً عن موسوعة الطب الإسلامي ، مج. 26 ، ص. 86 .

(3) الرازي : كتاب المنصوري ، ص. 88 .

(4) الرازي : نفس المصدر ، ص. 86 .

أما الشيخ الرئيس " ابن سينا " ؛ فإسهاماته في هذا المجال عظيمة ؛ إذ يُشيدُ المختصّون بابتكاراته في الطبّ النَّسوي ؛ إستناداً إلى ما قدّمه في كتابه (القانون) من وصفٍ دقيقٍ لإضطرابات الطمث ⁽¹⁾ و حالات النواسر البولية ⁽²⁾ ، و حمّى النَّفاس و العقم ، و تعليله الصحيح للذكورة و الأنوثة في الجنين ، و نسبتها للرجل دون المرأة و حالات الإنسداد المهبلى ⁽³⁾ ، و الأسقاط ، و الأورام اللَّيفية ⁽⁴⁾ ، و مراحل تشكّل الجنين ، و علامات الوضع ، و غيرها ؛ ممّا يدلّ على ممارسته للتشريح و عمليات التوليد ⁽⁵⁾ .

صنّف ابن سينا أسباب العقم ، و جعل بعضها عائداً إلى فقدان التوافق بين أخلاط الذكر و الأنثى ، أو خلل في أعضاء القضيب و آلات الميِّ ، أو أسبابٍ أخرى كالغمّ ، الخوف ، الفزع ، أوجاع الرّأس ، ضعف الهضم

(1) الطمث : هو الدمّ المعتاد للنساء بأدوارٍ شهريةٍ . ابن الحشاء ، المصدر السابق ، ص. 243 .

(2) النواسر البولية : هي التّزيف الحاد و الشرح ؛ المصاحبين للمرأة بعد الولادة . أمين رويحة : أمراض الجهاز البولي ، ط 3 ، دار القلم ، بيروت 1983 ، ص. 14 ؛ ماتيو ج أورلاند : الطرق الحديثة في معالجة الأمراض الباطنية ، ترجمة : مازن طليمات ، دار طلاس ، دمشق 1992 ص. 371 .

(3) المهبل : هو ممر يصل إلى الرحم ، و هو مكان المناسبات الجنسية ، يتركز من الأعلى على الفوهة الظاهرة لعنق الرحم ، ثمّ يتجه للأمام و الأسفل و هو قابل للتمدّد بكافة أبعاده ، كما أنّه معرّض للإنسداد . محي الدين طالو العلي : تطوّر الجنن و صحة الحامل ، دار الهدى ، عين اميلية ، الجزائر 1987 ، ص. 40 .

(4) الورم اللَّيفي : هو الورم الذي يُصيب الرحم ، و يصعب تفريقه عن الحمل في حالاتٍ متعدّدةٍ ، و لكنّ تشخيصه سهل ، لأنّ نموّ الرحم في الحمل سريع ، وفي الورم اللَّيفي بطيئ ، كما أنّ فحص البول لا يكون إيجابياً في الورم اللَّيفي ، و الصعوبة في التشخيص تكون عندما يترافق الحمل مع الورم اللَّيفي . محي الدين طالو العلي : المرجع نفسه ، ص. 182 ؛ سيغمند ستيفن لمر : المرجع السابق ، ص. 395 .

(5) عبد الحلیم منتصر : تاريخ العلم ، و دور العلماء العرب في تقدّمه ، ص. 132 .

و التخمّة (1) ، و هو ما ندعوه بلغتنا اليوم " حالة عدم التوافق الخلطي " ، و ينجم عنها أن لا يستطيع الحيوان المنوي البقاء حياً في أحلاط المرأة ، فإذا قُدِّرَ للزّوجين أن يفترقا ، بدا كلٌّ منهما مُخصّباً (2) ، كما شخّص أعراض الرّحا (3) ، و بيّن الصّفات التشريحية المرضية له ، و يقول في هذا الشأن : " ... إنّه تعرض للمرأة أحوالٌ تُشبهه أحوال الحبالى ، من إنباس دمّ الطّمث ، و تعيّر اللّون ، و سقوط الشّهوة ، و انضمام فمّ الرحم ، و إنتفاخ الثديين و إمتلاتهما و ربّما تورّمهما ، و تُحسّ في بطنها بحركة كحركة الجنين ، و ربّما عرض طلقٍ و مخاضٍ ، و لا يكون مع ذلك ولد ، و ربّما كان السّبب فيه تمّدداً و إنتفاخاً في عروض الطّمث و لا تضع شيئاً ... " (4) .

و فيما يتعلّق بالأمراض الّتي تُصيب الرحم ، فتمثّل حسب رأي ابن سينا في إحتباس الطّمث أو قلّته أو رقتّه أو بياضه أو سواده الشديد ، و تطاول الظهر ، و تقدّم جماعٍ كثيرٍ ، و حدرٍ في أعالي الرحم ، و رقة الحيض و كثرة سيلان الرّطوبة ، و الجفاف (5) .

لم يكتفِ ابن سينا عند هذا الوصف الدقيق للرحم ، و إنّما نجده يشرح شرحاً مفصّلاً لمراحل تكوّن الجنين في الرحم ، و المدّة الّتي يستغرقها كلّ عضوٍ في الظهور ، و يرى أنّ أوّل عضوٍ يتكوّن هو القلب (6) ، ثمّ بقية الأعضاء الأعضاء و يقول في هذا الصدد : " ... أمّا مدّة الرّغوة فسنة أو سبعة أيّام ... و إبتداء الخطوط و التّقط بعد ثلاثة أيّام أخرى ... ثمّ بعد سنة أيّام أخرى تتحوّل إلى علقة ، و بعد ذلك باثني عشر يوماً تصير لحماً ، ثمّ بعد

(1) ابن سينا : القانون في الطب ، مج. 2 ، ص. 1635 .

(2) أحمد شوكت الشطّي : تاريخ الطب ، أعلامه و آدابه ، ص. 250 .

(3) الرح : إسم منقول عند الأطباء لعلّة في الرّحم تُشبه الحمل ؛ أي هو " الحمل الكاذب " . ابن الحشاء : المصدر السابق ، ص. 54 .

(4) ابن سينا : القانون في الطب ، مج. 2 ، ص. 1635 .

(5) ابن سينا : المصدر نفسه ، مج. 2 ، ص. 1635 .

(6) ابن سينا : نفس المصدر ، مج. 2 ، ص. 1629 .

تسعة أيامٍ ينفصل الرأس عن المنكبين ، و الأطراف عن الضلوع و البطن ... " (1) ، كما نجد ابن سينا يصف وصفاً دقيقاً لحركة الجنين في الرحم ، و كيفية حصوله على الغذاء إذ يقول : " ... يتولد الغشاء من حركة مني الأنتى إلى مني الذكر ، و يكون مُتبرئاً ، ثم لا يتعلّق من الرحم إلا بالتقرّ لجذب الغذاء ... و إمّا يتغذى الجنين بهذا الغشاء مادام الغشاء رقيقاً فيها فكانت الحاجة إلى قليلٍ من الغذاء ، و إمّا إذا صلب ، فيكون الإغناء بما في مسامه من المنافذ الواضحة العرقية ... " (2) ، أمّا ضعف الجنين فمردّه حسب ابن سينا إلى الأمراض التي تُصيب المرأة الحامل خاصة الإرهاق ، و ظهور اللبن في أوّل شهرٍ حملت فيه ، و تحلّبه إذا عُصر الثدي ، و يدلّ عليه أن لا يتحرّك الجنين تحركاً يُعتدّ به ، أو يتحرّك في غير وقته (3) . أمّا فيما يخصّ تشكّل التوأم ، فيرجعه إلى كثرة المنى و إنقسامه إلى إثنين أو أكثر ، و وقوعه في التجويفين ، و سلامة التوأمين غير مضمونة ، و تقف على مدى راحة المرأة الحامل و كذا الغذاء الذي تتناوله ، و قلّمَا يكون بين التوأمين أيامٌ كثيرة ، فإنّهما في الأكثر في جماعٍ واحدٍ و في القليل ما يعلّق جماع على حبل (4) .

بعد وصف ابن سينا للرّحم ، و تشخيصه للعلل و الأمراض التي تُصيبه ، و شرحه المفصّل لمراحل تطوّر الجنين ينتقل إلى وصف علامات قرب الوضع ، إذ يرى أنّ المرأة تُحسّ بثقلٍ في أسفل البطن تحت السرة ، و حرارة البطن و إنتفاخ في فم الرحم ، شديد محسوس ، و ترطبّ منه (5) ، فإذا كانت الولادة ينبغي على الطبيب التعامل مع مختلف الحالات التي تُصادفه ، لذلك نجد ابن سينا يخصّص فصولاً كاملةً في كتابه (القانون) لتلك الحالات ، إذ

(1) ابن سينا : القانون في الطبّ ، مج. 2 ، ص. 1630 .

(2) ابن سينا : نفس المصدر ، مج. 2 ، ص. 1629 .

(3) ابن سينا : نفس المصدر ، مج. 2 ، ص. 1644 .

(4) ابن سينا : نفس المصدر ، مج. 2 ، ص. 1643 .

(5) ابن سينا : نفس المصدر ، مج. 2 ، ص. 1644 .

يوضح كيفية التعامل مع من خرج من جنينها الرّجل قبل الرّأس ⁽¹⁾ ، وكذا من خرج جنينها على جنبه ⁽²⁾ و تدبير من تلد و في رحمها ورم ⁽³⁾ ، إضافة إلى كلّ هذا ؛ نجده يتكلّم عن عسر الولادة و أسبابها ⁽⁴⁾ و يذكر أسباب إسقاط الجنين و أعراضه ⁽⁵⁾ ، و يصف الدواء اللازم لمنعه ⁽⁶⁾ ، إضافة إلى وصفه لعلامات ضعف المولود ، إذ يقول في هذا الشأن : " ... و من علامات ضعف المولود ، أنّ الجنين إذا وُلد و لم تنتفخ سرّته و لم يعطس ، و لم يتحرّك و لم يستهلّ لمدّة طويلة ، و في هذه الحالة لا يُمكن لهذا المولود العيش ... " ⁽⁷⁾ .

لقد عني ابن سينا بالأُمّ و الطّفل عنايةً بليغةً ، و أعطى نصائح لا يزال يعتمد عليها الطبّ النّسوي الحديث ممّا حمل العالم الهولندي " دوفريس " ⁽⁸⁾ على القول عن كتابه (القانون في الطبّ) : " ... إنّّه تحلّى بالتنظيم و الوضوح ، و إنّ تعاليمه المتعلّقة بالعناية بالتوليد و الإرضاع و الفطام جيّدة جداً ، كما أنّ تعاليمه في حفظ صحّة الحامل ممتازة ، إذ ينصح بإرضاع الرضيع من لبن أمّه ، و لا يُفطم إلّا إذا اشتهى غير لبن أمّه ، و ينبغي أن يتناول أغذية أخرى بالتدرّج ؛ و ينصح ذلك مع ما ينصح به الأطباء اليوم ... " ⁽⁹⁾ ، و من النصائح التي يُقدّمها

⁽¹⁾ أنظر الملحق 4 ، ص. 143 .

⁽²⁾ أنظر الملحق 4 ، ص. 143 .

⁽³⁾ أنظر الملحق 5 ، ص. 144 .

⁽⁴⁾ أنظر الملحق 4 ، ص. 143 .

⁽⁵⁾ ابن سينا : القانون في الطبّ ، مج. 2 ، ص. 1648 .

⁽⁶⁾ ابن سينا : نفس المصدر ، مج. 2 ، ص. 1650 .

⁽⁷⁾ ابن سينا : نفس المصدر ، مج. 2 ، ص. 1644 .

⁽⁸⁾ دوفريس هوغو (1848 - 1935) : عالم نبات هولندي ، أستاذ علم النبات في جامعة ستوكهولم في الفترة الممتدّة بين (1878 - 1918)

أجرى تحارب رائدة في التناضح و التناقد ، و كان أوّل من افترض وجود ما يُعرف في علم الأحياء بـ " الطّفرة " . منير البعلبكي : المرجع السابق ص. 60 .

⁽⁹⁾ أحمد شوكت الشطيّ : المرجع السابق ، ص. 251 .

ابن سينا ؛ أن لا يُحمل الرضيع على الجلوس و الإنتصاب قبل الأوان ، بل يُنتظر حتى ينمو جهازه العصبي النخاعي الدماغى ، فإذا أخذ ينهض و يتحرك ، فلا ينبغي أن يُمكن من الحركات العنيفة ، و لا يجوز أن يُحمل على المشى قبل إنبعائه إليه بالطبع ⁽¹⁾ ، و ينصح ابن سينا الحوامل بالمشى الرفيق ، من غير إفراطٍ و تفادي الحَمَام ، أو أيّ شيءٍ من شأنه أن يؤذي جنينها كالسعال ، الحركة المفرطة ، الوثبة ، الضربة ، السقطة ، الإمتلاء من الغذاء و الغضب ؛ خاصّةً في الأيام الأولى من الحمل ⁽²⁾ .

إضافةً إلى ما قدّمه كلّ من ابن سينا و الرازي في هذا الإختصاص ، نذكر إسهامات طبيب آخر من الموالى يُسمى " عليّ بن عباس الأهوازي الجوسى " ⁽³⁾ ؛ الذي أبدع في وصف الرحم ، و تشكّل الجنين ، و مراحل تكوينه في الرحم ، و كيفية حصوله على الغذاء ، و أسباب تشكّل التوأم ، و علامات الولادة ، إضاغةً إلى بعض النّصائح التي يُقدّمها للنساء الحوامل ، أو اللّائي وضعنّ حملهنّ ⁽⁴⁾ ، و على غرار سابقيه ، نجدّه يستند إلى آراء من سبقوه من أطباء الأمم الأخرى ، خاصّةً جالينوس و بقراط .

يرى الجوسى أنّ أرحام النساء ليست مُتساوية ، ذلك إنّها في النساء اللّواتى لم يحملنّ أصغر بكثيرٍ منها في النساء اللّائى حملنّ ، و كلّما حملت النساء أكثر ، كانت أرحامهنّ أكبر و أوسع ، و ذلك لتمدّد رحم الحامل ليأخذ الجنين موضعاً ، و قد يختلف مقدار الرحم حسب سنّ المرأة ، فيكون فيمن هي من النساء أصغر سنّاً صغيراً

(1) المرجع نفسه ، ص. 151 .

(2) ابن سينا : القانون في الطب ، مج. 2 ، ص. 1646 .

(3) لمعرفة هذه الشخصية ؛ أنظر الفصل اللّثني من هذا البحث ، ص. 59 .

(4) الجوسى ، عليّ بن عباس الأهوازي : الكامل في الصناعة الطّبية ، المعروف بـ " المللكي " ، نقلاً عن موسوعة الطبّ الإسلامى ، المجلّد 28

و فىمن هى أكبر سنّاً كبيراً ، أمّا العجائز من النساء فالرحم منهنّ أصغر منه فى الشباب ، و هو أيضاً فى اللواتى يُكثرن الجماع أكبر منه فى اللواتى يُقلن منه (1) .

سادساً : الصيدلة :

تعتبر الصيدلة من الإختصاصات التى أبداع فىها الأطباء المسلمون ، و كان يُطلق عليها إسم " الأقراباذين " (2) و قد كانت فى بداية أمرها تابعة لعلم الطبّ ، مُلحقةً به ، حين جمع الطبيب بين الطبّ و الصيدلة ، فكان يفحص مرضاه و يستمع إليهم ، ثمّ بصف لهم العلاج التّاجع و الدّواء الشّافى ، و يقبض ثمنه ، مُستعيناً بأعوانٍ يُساعدونه فى جمع و تحضير الأعشاب الطبيعىة و العقاقير و المواد الطّبيّة (3) ، و نظراً لكثرة العقاقير ، و تشعب طرق تركيبها كان من الضّرورى التفرّغ لها ، و البحث عن الأعشاب الطبيعىة فى كلّ مكانٍ ، و زاد ذلك أنفة بعض الأطباء عن قبض ثمن الدّواء ، و هو ما أدّى إلى انفصال الصيدلة عن الطبّ ، فأضحت تُمثّل علماً قائماً بذاته .

يعتبر الطبيب المسلم أوّل من أسّس الصيدلة ، و فصلها عن علم الطبّ ، و أنشأ المدارس لتعليهما ، و الحوانيت

(1) الجوسى : نفس المصدر ، ص. 392 .

(2) الأقراباذين : لفظ يونانى ، معناه " التركيب " ؛ أى تراكيب الأدوية المفردة ، و تصنيفها . حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسنطينى

الرومى : كشف الظنون فى أسامى الكتب و الفنون ، دار الكتب العلمىة ، بيروت 1413 هـ / 1992 ، ج 1 ، ص. 136 .

(3) إبراهيم بن مراد : بحوث فى تاريخ الطبّ و الصيدلة عند العرب ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، 1991 ، ص. 247 ؛ حنيفة الخطيب :

الطبّ عند العرب ، الأهلىة للتّشّ و التوزيع ، بيروت 1988 ، ص. 221 ؛ محمد بن عبد الرحمن مرحبا : المرجع فى تاريخ العلوم عند العرب

ص. 324 ؛ على شلق : المرجع السابق ، ص. 122 ؛

لبيع الأعشاب و العقاقير ، فافتتح المسلمون بذلك الصيدليات العامة في عهد الخليفة العباسى المنصور، و أحقوها بالبيمارستانات ، و أنشؤوا صيدليات خاصة بميادين القتال ، كانت تصحب البيمارستانات المحمولة المتنقلة و جعلوا على كل الصيدلة نقيباً يُسمى " رئيس العشابين " ، و أخضعوا هذه الصناعة لنظام الحسبة ، ليحولوا دون غشّ الدواء ، و منذ أيام المأمون ؛ و من بعده المعتصم إنتظم أمر الصيدليات ، و اتّسع نطاقها ، و عمّ نفعها على الناس ؛ خاصةً بعد أن أمر المأمون بإجراء إمتحانٍ للصيدلة (1) ، و قرّر المعتصم بعده أن تُعطى للصيدلي رُحصةً تُثبت جدارته و إنتسابه ، فأضحت الصيدلة خاضعةً لنظام الحسبة ، لتفادي الغشّ ؛ الذي إنتشر في صناعة الطبّ كما أُستُحدث منصبٌ جديدٌ هو : " رئيس العشابين " ، لمراقبة نشاط الصيدلة (2) .

إنّ من أهمّ أسباب تقدّم علم الصيدلة عند المسلمين ، أنّه كان تابعاً لعلم الكيمياء الذي أبدعوا فيه ، إضافةً إلى ترجمتهم لكتب الأمم الأخرى في هذا الميدان لاسيما الهنود و اليونانيين ، الذين إمتازوا بمعرفة الأعشاب و برعوا في إستخراج خواصّها ، و معرفة آثارها في الأبدان (3) .

لقد أسهم الأطباء الموالى إسهاماتٍ كثيرةٍ في علم الصيدلة ، نكتفي بذكر البعض منها ، مثال ذلك ما أنجزه الطبيب الكبير " الرازي " ، الذي يُعتبر أوّل من قال باستقلال الصيدلة عن الطبّ (4) ، و قد ترك لنا هذا الطبيب آراءً هامّةً في مُصنّفاته و كُتبه في ميدان الصيدلة ، فكان يُلحّ دائماً على ضرورة الإهتمام الشديد بالتجربة ، كما كان يرى أنّ جهل الطبيب بمعرفة العقاقير لا يحول دون ممارسة الطبّ ، و ذلك في قوله في إمتحان المرشّح لأن يكون طبيباً : " ... أمّا إمتحانه بمعرفة العقاقير ، فأرى أنّها محنة ضعيفة ، ذلك أنّ هذه الصناعة هي بالصيدلاني

(1) أحمد عيسى بك : البيمارستانات في الإسلام ، دار الرائد العربي ، 1401 هـ / 1981 م ، ص. 49 .

(2) علي شلق : المرجع السابق ، ص. 123 ؛ مؤيّد عيدان كاطع اللّهيبي : المرجع السابق ، ص. 25 ؛ محمد فؤاد الداكري : " الصناعة الطّبية في

بلاد الشام " ، مجلّة : آفاق الثقافة و التراث ، العدد 40 ، شوال 1423 هـ / يناير 2003 م ، ص. 168 .

(3) محمد بن عبد الرحمن مرجبا : المرجع السابق ، ص. 325 .

(4) علي شلق : المرجع السابق ، ص. 123 .

أولى منها بالطبيب المعالج ، إلا أنّ تقتصر معرفته بالكثير ... الإستعمال منها يدلّ على قلة علمه و مُزاولته ، فأما المطالبة بمعرفة الغريب النادر منها ، و الفرق بين الجيّد و الرديئى منها ، فليس ذلك خاصاً بصناعته ، و يمكن أن يكون طبيياً فاضلاً ، مُقتصرّاً على كثيرٍ من العقاقير ... " (1) .

ينصح الرازي بعدم اللّجوء إلى الأدوية المركّبة إذا أمكن ، و الإقتصار على الأدوية المفردة ، فطالما إستطاع الطبيب أن يعالج المريض بدواءٍ مفردٍ ، فإنّاه أن يُعالجه بدواءٍ مركّبٍ (2) ، لكن لا مانع من تركيب الدواء في بعض الحالات القليلة ، كأن تُخرج من بدن المريض أخلاطٌ مختلفةٌ ، يُضطرّ عندئذٍ إلى أن يُركّب الدواء المطلوب من أصنافٍ ، كلّ واحدٍ منها يخرج خلطٌ من الأخلاط ، و هذا يتطلّب كثيراً من البراعة (3) ، و بذلك يُؤكّد الرازي أهمية التجربة في تركيب الأدوية ، و يُحذّر من إستعمال الأدوية الغريبة و المجهولة ما أمكن ، إلا أن تدعو التجربة و المشاهدة إلى ذلك ، كما أنّ الرازي لم يكتفِ بهذه الآراء الخاصة بالأدوية المفردة و المركّبة ، و إنّما نجده يُلحّ على ضرورة الوقاية من الأمراض ، خاصةً فيما يتعلّق بالأغذية ، و في هذا الصّدّد قام بتصنيف الأغذية ، و بيّن منافعها ، و كيفية دفع مضارّها ، و هو ما نجده بالتّفصيل في كتابه " منافع الأغذية ، و دفع مضارّها " (4) .

و من الأطباء الموالى الذين خدموا علم الصيدلة ، و أسهموا كثيراً في تقدّمه " ابن سينا " ، هذا الطبيب الذي بحث في كتابه " القانون في الطب " ماهية الأدوية و صفاتها و مفعولها ، و طريقة حفظها ، و خواصها ، و أثر كلّ دواءٍ في كلّ عضوٍ من الأعضاء ، فهو يعتمد في علاجه لمرضاه على نظرية المزاج ، إذ يرى أنّ الجسم الإنساني يحتوي على أربعة أخلاطٍ متعادلة هي (الدّم ، البلغم ، المرّة السوداء ، المرّة الصفراء) ، فإذا إختلّ الإعتدال الموجود

(1) الرازي : نقلاً عن جلال محمد عبد الحميد موسى : منهج البحث العلمي عند العرب ، الشركة العالمية للكتاب ، القاهرة 1988 ، ص. 245 .

(2) محمد أمين فرشوخ : موسوعة عباقرة الإسلام ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ص. 46 .

(3) الرازي ، أبوبكر محمد بن زكريا : كتاب المرشد أو الفصول ، تحقيق : ألبيّر زكي إسكندر ، ط . 2 . معهد المخطوطات العربية ، القاهرة 1995

ص. 35 ؛ محمد بن عبد الرحمن مرجبا : المرجع السابق ، ص. 328 .

(4) الرازي ، أبوبكر محمد بن زكريا : منافع الأغذية و دفع مضارّها ، ط 1 دار صادر ، المطبعة الخيرية ، 1305 هـ .

بين هذه الأخلاط مريض المزاج ، فلا بد للمريض عندئذ أن يُعيده إلى ما كان عليه من الاعتدال ، و ذلك بأن يُقاوم أسباب الداء بما يُضادها من الدواء (1) .

قسّم ابن سينا الأدوية إلى مُفردة و مُركّبة على غرار الأطباء الذين سبقوه ، فالأدوية المفردة تنقسم تبعاً لمزاجها الطبيعي ، و ذلك بحسب تكوّنها من عنصرٍ أو عدّة عناصر ، أمّا الأدوية المُركّبة فتتقسم تبعاً لخواصها إلى حارة و باردة و رطبة و يابسة ، و هذا مُطابق لأقسام الأخلاط الأربعة الموجودة في الجسم الإنسانى التي ذكرناها سابقاً (2) ، لكنّه يرى أنّ الأدوية المفردة أولى بالتقديم على الأدوية المُركّبة ، و في حالة عدم فعاليتها يلجأ الطبيب إلى الأدوية المُركّبة ، و يقول في هذا الشأن : " ... إنّ الضرورات تُبيح المحظورات ، فإنّنا لا نجد في كلّ عِلّةٍ دواءً مقابلاً لها من الأدوية المفردة ، و لو وجدناه لما آثرنا عليه دواءً مُركّباً ... " (3) ، أي أنّنا لا نُؤثر على الدواء المفرد دواءً مُركّباً إذا وُجد أنّه كافٍ لعلاج المريض ، ذلك أنّ الدواء المفرد أخفّ من المُركّب ، لكن قد يُضطرّ للجوء إلى الدواء المُركّب لأُمورٍ داعيةٍ إلى ذلك ، أي عند فقدان دواءٍ واحدٍ يبلغ الغرض المقصود ، إذ أنّ تركيب الدواء ينبغي أن يكون باعتبار المرض و الوقت و المزاج (4) ، و إذا كان ابن سينا لا يلجأ إلى المُركّب من الأدوية إلّا إضطراراً فمن الطبيعي أن يرى عدم الإكثار من التركيب ، إذ أنّ القليل من الأدوية خير من كثيرها في مرضٍ واحدٍ ، و في هذا الإطار يقول ابن سينا : " ... كلّما كان عدد العناصر التي تدخل في تركيب الدواء أقلّ ، كان ذلك أدعى للفائدة و أجلب للشفاء ، فالكثير من التركيب يؤدّي إلى مفساد ، و القليل منه يؤدّي إلى مزية و فعل ... " (5)

(1) ابن سينا : القانون في الطب ، المجلّد 1 ، ص. 341 ، 342 .

(2) محمد بن عبد الرحمن مرجبا : المرجع السابق ، ص. 329 .

(3) ابن سينا : القانون في الطب ، مج. 3 ، ص. 130 .

(4) محمد بن عبد الرحمن مرجبا : المرجع السابق ، ص. 330 .

(5) ابن سينا : القانون في الطب ، مج. 3 ، ص. 130 .

لقد دأب ابن سينا كغيره من الأطباء المسلمين على دراسة الأدوية ، بالإعتماد دائماً على المشاهدة و التجربة
 أى تشخيص العلة أو المرض ، ثم البحث عن الدواء ، ثم معرفة قواه ، و اختبار مدى فعاليته في إحداث الشفاء
 للمريض ، و امتحان فعله قبل وروده على البدن ، و هي نفس خطوات المنهج العلمي الحديث ، و بذلك كان هذا
 الطبيب من القلائل الذين تكاملوا في مجرى التفاعل الذاتى ، و أثبتت إسهاماته أنه تجاوز عصره و بيئته (1) .
 و من الأطباء الموالى الذين برعوا في علم الصيدلة " ابن أبي الأشعث " (2) ، الذي نال شهرةً عظيمةً في خلقه
 و علمه ، لذا طلب منه طلابه أن يؤلّف كتابه " الأدوية المفردة " الذي قال في مقدّمته : " ... فإنّ من أراد قراءة
 كتابي هذا ، و كان قد تجاوز حدّ التعليم إلى حدّ التفهّم ، فهو الذي ينتفع به ، و يحى طى بعلمه ، و يقدر أن
 يستخرج منه ما هو فيه بالقوّة ممّا لم أذكره ، و أن يفرغ على ما ذكرته و يُشيد ، و هذا قولى لجمهور النّاس ، دون
 القرائح الأفراد ، و التي يمكنها تفهّم هذا و ما فوقه بقوّة النّفس الناطقة فيهم ، فإنّ هؤلاء تسهل عليهم المشقّة في
 العلم ، و يقرب لديهم ما يطول على غيرهم ... " (3) . و يظهر للقارئ من كلام أبي جعفر ، أنّه عالم متفنّن في
 التّأليف ، فعندما قرّر أن يُنقذ رغبة طلابه المتميّزين في كلّ من العلوم الطّبيّة و الصيدلانية ، بأن يؤلّف كتاباً حول
 الأدوية المفردة ، خطر على باله بأن يضعه للمتخصّصين كمرجع لهم ، و لإطّاب العلوم الطّبيّة الذين تعودوا على
 القياس ، و إستخلاص بعض الأفكار المتعلّقة بعلم الأدوية (4) .

و بالتّالي أسهم هؤلاء الأطباء في ازدهار الحياة العلمية و كان لهم دورٌ كبيرٌ في التطوّر الحضاري الذي عرفته
 الدولة العباسية ؛ كما كان لهم تأثيرٌ كبيرٌ على الغرب المسيحي من خلال سبقيهم لإكتشاف الأمراض ، و طرُق

(1) محمد بن عبد الرحمن مرجبا : المرجع السابق ، ص. 333 .

(2) لمعرفة هذه الشخصية ؛ أنظر الفصل الثالث من هذا البحث ، ص. 52 .

(3) ابن أبي الأشعث : نقلاً عن الدفاع : رواد علم الطب في الحضارة الإسلامية ، ص. 231 .

(4) الدفاع : المرجع نفسه ، ص. 231 .

علاجهم ، و تعاملهم مع مرضاهم ، و كذا تأثير المؤلفات الطبية النفيسة ؛ التي اعتمد عليها كثيراً أطباء أوربا فى عصر النهضة ؛ و لا يزال تعتمد عليها الطب الحديث . فكيف تجلّى ذلك يا ترى ؟

الفصل الرَّابِع :

أثر إسهامات الموالى الطّبيّة على الغرب

المسيحي

1 . السّبق في إكتشاف الأمراض

2 . طرق العلاج

3 . الجانب الإنساني

4 . المؤلّفات

بعد استعراضنا لإسهامات بعض الأطباء الموالى ، و تعريفنا لأشهرهم ؛ لفت انتباهنا أمورٌ عديدةٌ ، تميّز بها هؤلاء عن غيرهم من أطباء زمانهم ، و من سبقهم ، و من جاء من بعدهم ، فلم يكتفوا بالنقل و الإقتباس و الترجمة ، و إنّما عكفوا على تحليل ، و شرح ، و نقد مؤلّفات سابقهم ، و إثرائها بالأراء و الملاحظات ، إنّما بالترجيح ، أو الإعتراض في بعض الأحيان ، إعتماً على ما توصّلوا إليه من نتائج ؛ بعد الملاحظة و التجربة طبعاً . و بالتالي تمكّنوا من تأسيس مناهج علمية خاصة بهم ، و إكتشاف معارف طبيّة جديدة ، بل وصل بهم الأمر إلى السبق في إكتشاف بعض الأمراض الخطيرة و المستعصية ؛ من خلال تشخيصها ، و شرح أسبابها و أعراضها ، و وصف العلاج المناسب لها ، و أساليب الوقاية منها ؛ و التي أثبت الطبّ الحديث صحتها و نجاعتها ، و بذلك أعطت تلك المعارف دفعاً جديداً للعلوم الطبيّة و الصيدلانية ، و وضعت حدّاً لمعاونة البشرية من بعض الأمراض الخطيرة ، و الحالات التي كان ميؤوساً منها ، كما كان لها الأثر البالغ فيما وصل إليه الطبّ الحديث .

أولاً : السبق في إكتشاف الأمراض

إنّ السبق في إكتشاف الأمراض و وصف العلاج لها ، جعل من هؤلاء الأطباء محلّ إحترام و إعجاب الجميع و جعلت من مؤلّفاتهم مراجع مهمّة لطلبة العلوم الطبيّة و الصيدلانية في البلاد الإسلامية ، و محلّ إهتمام و ترجمة علماء الأمم الأخرى ؛ لاسيما في بلاد الغرب المسيحي ، و سأحاول بحول الله في هذا البحث المتواضع التطرّق إلى تلك الأمراض ، مبيّناً إكتشافات بعض الأطباء الموالى ؛ السابق ذكرهم في الفصل الثالث .

يُعتبر " الرّازي " واحداً من هؤلاء الأطباء الموالى ؛ الذين قدّموا خدماتٍ جليّةٍ للإنسانية ، بفضل ذكائه الفائق و حكمته النادرة ، و مواهبه الكبيرة في ميدان الطبّ ؛ التي برزت عندما كان في البيمارستان العضدي (1) ببغداد

(1) الدقّاع : رُواد علم الطب ص. 212 .

فتوصل إلى إبتكارات علمية ؛ لم يسبقه إليها أحد من زملائه في المهنة ، و لعلّ خير مثالٍ على ذلك ؛ تمكّنه من إكتشاف مرضي " الجدري " و " الحصبة " ؛ اللذان كان ميؤوساً منهما ، و حصداً ، و لا يزالان لحدّ الآن يحصدان أرواحاً بشريّةً . فقد تمكّن هذا الطبيب الكبير من تشخيص أعراضهما ، و إعطاء وصفٍ دقيقٍ لهما ، و وصف العلاج المناسب لهما في القرن الرابع الهجري ؛ من خلال رسالة في الجدري و الحصبة ، كتبها لأمير بخارى " المنصور " ⁽¹⁾ ، و قد تُرجمت هذه الرسالة إلى اللاتينية في زمنٍ مُتقدّمٍ ، ثم نُقلت بعدها إلى لغاتٍ أُخرى عديدة ؛ لاسيما الإنجليزية ، حيث طُبعت بها حوالي أربعين مرّةً خلال الفترة الممتدّة بين (1498 . 1866) ، و بهذه الرسالة وصلنا أوّل وصفٍ دقيقٍ لهذين المرضين ⁽²⁾ .

لقد أبدع " الرّازي " في وصف مرضي الجدري و الحصبة ، إذ يرى أنّهما يشتركان في بعض الأعراض ، كالحمّى و وجع الظهر ، و حكاك الأنف ، و التفرّغ من النّوم ، و اشتعال اللّون ، و شدّة حمرة الوجنتين ، و إحمّار العينين و ثقل الجسد ، و كثرة التمللمل ، و التثاؤب ، و وجع في الحلق و الصدر ، و ضيق التنفّس ، و السّعلة و غلظ الرّيق ، و بحّة الصوت ... إلخ ، و بالرّغم من اشتراكهما في هذه الأعراض الكثيرة ؛ إلّا أنّ " الرّازي " بفضل إطلاعه الواسع ، و ملاحظاته الدقيقة ، تمكّن من التفريق بينها ؛ إذ يرى أنّ القلق و الضجر و الكرب أكثر منه في الجدري ، و وجع الظهر في الجدري أخصّ منه بالحصبة . و بعد ذلك ؛ حاول هذا الطبيب وصف العلاج المناسب لهما ، و قدّم نصائح وافية لإعلاج البثور ، و إزالة تلك الندوب و الحفر الجلدية على البشرة ؛ بعد إنتهاء المرض ⁽³⁾ .

⁽¹⁾ حري عبّاس و حسّان حلاق : المرجع السابق ، ص. 292 .

⁽²⁾ تراث الإسلام ، ص. 464 .

⁽³⁾ المرجع نفسه ، ص. 464 .

إنّ هذا الإكتشاف العظيم ؛ وضع حدّاً لأكثر الأمراض فتكاً بالنّاس ، و مهّد الطريق لطلبة العلوم الطبيّة و الأطباء المسلمين الذين جاؤوا من بعده ؛ من تطوير أساليب علاج " الجدري و الحصبة " ، إذ إستعملوا طريقة التطعيم للوقاية من الأمراض الوبائية ، فكانوا يُطعمون السليم بمادة مُستخرجة من بثرّة الجدري نفسه في بداية اليوم الثامن ، و بهذه الطريقة ؛ قلّت نسبة الوفيات بنسبةٍ كبيرةٍ في البلاد الإسلاميّة ، و أضحى هذا المرض الخطير مجرّد مرضٍ بسيطٍ ؛ يُمكن مقاومته بالتطعيم .

إنّ تأثير هذا الإكتشاف لم يقتصر على البلاد الإسلاميّة ، و إنّما تعدّاه إلى بلدانٍ أخرى ؛ لاسيما الغرب المسيحي . و في هذا الشّأن ؛ يسرد علينا أحمد شوكت الشطّي قصّة وصول هذا الإكتشاف العظيم إلى الغرب مُستنداً إلى رسالة كتبها " ماري مُنتاغو " . زوجة سفير إنجلترا في البلاد العثمانيّة . سنة 1717^أ ؛ إلى إحدى صديقاتها ، تُخبرها بأنّها لما زارت مدينة " أدرنه " ⁽¹⁾ ، وجدت أنّ مرض الجدري خفيف الوطأة فيها ، مقارنةً ببلادها ؛ أين لا يزال يفتك بالنّاس ، و أنّ هذا المرض الخطير لا يُخشى شرّه هنا ، لأنّهم اخترعوا علاجاً يُسمونه " التطعيم " ، و يُطعمون النّاس في شهر سبتمبر . أيلول . ؛ حينما تنخفض درجة الحرارة ، و قد يتطعمون في أرجلهم ، أو في مكانٍ لا يظهر من أذرعهم ، و أخبرتها أنّه لم يُذكر أن مات أحد من التطعيم ، و أنّها تعتزم على تطعيم نفسها و ابنها ، و تجتهد في إذاعة هذا الإختراع في إنجلترا ⁽²⁾ ، و لما عادت " ماري مُنتاغو " إلى بلادها شرعت في إذاعة التطعيم ، و إتصلت ببعض الأطباء ، و حاولت إقناعهم بجدواه ، و رغم أنّ الحكومة البريطانيّة لم تُصادق عليه إلاّ بعد ستّين عاماً ، فإنّه شهد إقبالاً عظيماً من عامة النّاس ؛ لأنّهم جرّبوه ، و أدركوا مدى نفعه

⁽¹⁾ أدرنه : مدينة تركيّة ؛ تقع على نهر مارنيسيا ؛ قرب الحدود اليونانيّة ، كانت عاصمة العثمانيين في الفترة ما بين (1362 : 1453) ، فيها العديد

من الآثار البيزنطيّة و الإسلاميّة ؛ أهمّها " جامع السليمية " . آمنة أبو حجر : المرجع السابق ، ص. 254 .

⁽²⁾ تاريخ الطبّ ، أعلامه و آدابه ، ص. 223 .

بل إنّ زوجة وليّ عهد إنجلترا اقتنعت بفائدته ، و طعمت به أولادها أيضاً⁽¹⁾ .

و من الإكتشافات المهمّة للرازي في ميدان الطبّ ؛ إكتشافه لخِيط الجراحة ؛ المصنوعة من أمعاء الحيوانات فكان هذا الإكتشاف نُقطة تحوّل حاسمة في تايخ الطبّ الجراحي ، فأصبحت تُستعمل في جميع العمليات الجراحية في العالم الإسلامي ، ثمّ بلاد الغرب المسيحي ؛ بل ما زالت لها دور مهمّ في علم الجراحة ، إذ أثبت الطبّ الحديث أنّ الخيوط المعمولة من الأمعاء يمتصّها الجسم و يقبلها ، فتصير جزءاً منه⁽²⁾ . و كما أشرنا إليه سابقاً ؛ فإنّ الرازي هو أوّل من فرّق بين الجراحة و غيرها من الموضوعات الطبيّة ، و أوّل من جعل هذا العلم قائماً على التشريح و منافع الأغذية ، بل إنّ طريقة خياطته لمختلف الأعضاء ؛ كانت فريدةً ، و في غاية المهارة ، و محلّ إعجاب غيره من الأطباء ؛ مثال ذلك ، ما ذكرته " زيجيد هونكه " : " ... إنّ الرازي علّم تلاميذه كيفية تخييط الجروح بشكلٍ داخليّ ، لا يترك شيئاً منها ... " ⁽³⁾ ، و هو ما ذكرناه سابقاً .

و من الإنجازات العظيمة التي تُنسب إلى الرازي دون غيره من الأطباء ؛ هو تشخيصه لما نُسمّيه اليوم بـ " الأمراض الوظيفية " ، إذ أدرك الأصول النفسانية لالتهاب المفاصل الروماتزمي ، و وصف طرقٍ جديدةٍ لإعلاجه و هو ما تطرّقنا إليه سابقاً ؛ أثناء سردنا لقصّة علاجه للأمير بُخارى ، و كذا الجارية ؛ التي تقوّست قامتها ، فأدرك بذكائه الفائق ، و حسّه الطبّي العميق ؛ أن هذا الداء من الأمراض الجسدية النّاتجة عن اضطرابات نفسيّة ، و أكثر النّاس عُرضةً له ؛ أوّلئك الذين يكظّمون نوبات الغضب في أعماقهم ، لذلك اعتُبر مُبتكر الطبّ النفسي⁽⁴⁾ .

(1) محمد شوكت الشطّي : المرجع السابق ، ص. 224 .

(2) الدقّاع : رُوّاد علم الطبّ ، ص. 212 .

(3) شمس العرب تسطع من الغرب ، ص. 278 .

(4) الدقّاع : رُوّاد علم الطبّ ، ص. 213 .

إنَّ إبتكارات الرَّازي و سَبَقُهُ لإكتشاف الأمراض و عِلاجِها ؛ لم يَقِفْ عند هذا الحدِّ ، و إمَّا تعدَّاه إلى إبتكاراتٍ و إنجازاتٍ عظيمة ؛ كان لها الأثر الكبير فيما وصل إليه الطبُّ الحديث ، فهو أوَّل من عالج الحمى بالماء البارد ، كما استعمله في علاج الحروق ⁽¹⁾ ؛ و هي طريقة حديثة جدًّا ، و تُستعمل في الوقت الحاضر كإجراء إسعافٍ أوَّلٍ لِحروق الأطراف ؛ حيث يوضع العضو المصاب في الماء البارد لمدة لا تقلُّ عن دقيقتين ، و قد أثبتت التجربة أنَّ هذه الطريقة تقلِّل من الألم في ظرفٍ وجيزٍ .

إضافةً إلى كلِّ هذا ؛ يُعتبر الرَّازي أوَّل من شخَّص أمراض المئانة تشخيصاً علمياً دقيقاً ، كما أنَّه قدَّم شرحاً دقيقاً لجراحة إستخراج الماء الأبيض من العين ، و اكتشف براءة نادرة البول السكري ، و استخدم الحقن الدوائية في علاج بعض الأمراض ، كما كان له الفضل الكبير في علاج مرض " الطاعون " ⁽²⁾ ؛ الذي يُعتبر من الأوبئة الخطيرة التي عانت منها البشرية في العصور القديمة و الوسطى ، كما كتب في أمراض الأطفال ، و حاول فصله عن طبِّ الكبار ⁽³⁾ .

أمَّا الشيخ الرَّئيس " ابن سينا " ؛ فإنجازاته و ابتكاراته الطَّبَّية لا تزال شاهدةً على عبقريته و حكمته و دهائه و مهَّدت الطريق لِعلاج العديد من الأمراض المستعصية آنذاك . فالمتصفح لِكتاب (القانون) يُلاحظ أنَّ هذا الطبيب كان سبَّاقاً في تقديم أوصافٍ دقيقةٍ لكثير من الأمراض و العلل ؛ يصعبُ أن تُضيفَ إليها شيئاً في هذا العصر ، و عاجلها بطرُقُ تُضاهي ما يفعله الأطبَّاء في زماننا .

⁽¹⁾ Gustave Le Bon : op . cit , p 452 .

⁽²⁾ الطاعون : هو داء وِزَمي ، وبائي ، مُعدٍ ؛ يُصيب الجرذان ، و تنتقل عدواه بواسطة لدغ البراغيث ؛ التي تعيش مُتطفلةً على هذه الحيوانات . عبد

الرحيم مارديني : المرجع السابق ، ص . 274 .

⁽³⁾ الدِّقَاع : زُوَاد علم الطبِّ ، ص . 213 .

إنَّ ابن سينا هو أوَّل من وضع تشخيصاً كاملاً للحمرة الفحمية ؛ التي تُعرف اليوم بـ " الحمرة الخبيثة " (1) و سَمَّى الحمى التي تنتج عنها بـ " الحمى الفارسية " ؛ و هو يقول في هذا الشَّان : " ... و أُطلقَ إسم الحمرة على كلِّ ما يُسودُّ المكان ، و يُفحَّم العضو من غير رطوبة ، و يكون غائصاً ... و جميع ذلك يبتدئُ بحكَّة كالجربِ و قد يتنقَّط بالنَّار الفارسية و الجمر ، و يسيل منه شيءٌ كما يسيل من المكاوي محرقٌ يكوي الموضع ، رمادي في لونه ، و قد يكون مع هذه حميات شديدة الرِّداءة قتالة ... (2) . كما أنَّه يُعتبر من الأوائل الذين خاضوا في علم الطُّفيليات ؛ من خلال وصفه لِداء " اليرقان " ، و كشفه للدَّودة التي تُسبِّبه ؛ التي تُسمَّى اليوم بـ " الأنكيلوستوما " و قد ذكر محمد بن عبد الرَّحمن مرجبا في كتابه ، أنَّ أحد الأطباء المعاصرين ؛ لما اطَّلَعَ على الفصل الخاص بالديدان المعوية من كتاب (القانون) ، و بعد أن دقَّق في مُحتواه ؛ تبَيَّن له أنَّ الدَّودة التي ذكرها ابن سينا هي ما تُسمِّيه اليوم بـ : " الأنكيلوستوما " (3) .

لقد أبدع ابن سينا في وصف الأعراض و أمراضها ، و صفناً لا نزال نأخذ بنصيبٍ وافٍٍ منه حتَّى اليوم ؛ فهو أوَّل من وصف تصلب الرِّقبة ، و أوَّل من أعطى بعض التفاصيل لإستئصال اللُّوزتين ، كما قدَّم لنا شروحاً مفصَّلة لأنواع الأورام السرطانية ، و كيفية إستئصالها ؛ كسرطان الكبد ، و سرطان الثدي ، و أورام داء الخنازير ، إضافةً إلى أنَّه من الأطباء الأوائل ؛ الذين وصفوا أعراض حصى المثانة ، و السَّكتة الدِّماغية ، و القرحة الدِّرنية ، و القولنج الكبيدي و الكلوي ، و ذات الرِّئة ، و ذات الجنب ، و شلل الوجه (4) .

(1) الحمرة الخبيثة : مرض يُصيب الماشية و الخيل ، يتميَّز بارتفاعٍ شديدٍ في درجة الحرارة ، و بظهور بُقع حمراء ؛ سرعان ما تتحوصل ، لِتشبهِ الفقاعة و تُغطِّيها قشرة سوداء ؛ فاحمة من نزيفٍ أسودٍ كالْفحم ، و يتوفَّى المريض في عُضون أسبوعٍ إذا لم يُعالج . محمد عبد الرحمن مرجبا : المرجع السابق ص. 297 .

(2) ابن سينا : القانون في الطب ، مج. 3 ، ص. 1916 .

(3) المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، ص. 297 .

(4) المرجع بنفسه ، ص. 297 .

أما فيما يتعلّق بالطبّ النَّفسي ؛ فإنّ لهذا العملاق إنجازاتٍ عظيمة ، و أساليب علاج فريدةً من نوعها ؛ إنتهجها الأطباء من بعده ، و لا يزال يعتمد عليها الطبّ الحديث ؛ لاسيما فيما يتعلّق بالإضطرابات العقلية و النَّفسية ، و كذا طبّ النَّفس الجسدي ، و الأمثلة عديدةٌ في هذا الشأن ؛ ذكرنا بعضها في الفصل الثاني من هذا البحث ، و سنذكر بحول الله بعضها الآخر في هذا الفصل . و كما قلنا سابقاً ؛ فإنّ هذا الحكيم قد خصّص أقساماً مُستقلّةً من كُتبه للأمراض العقلية و النَّفسية ، و ربّط بعضها بالتغيّرات الفسيولوجية ، و أثبت أنّ بعضها ينعكس على عملية النَّبض ؛ من خلال تشخيصه لمرض العشق ، و قد ذكرنا قصّة علاجه لِشبابٍ معشوقٍ تعرّض لإضطراباتٍ نَفسيّةٍ أقدته الفراش ⁽¹⁾ ، و يقول ابن سينا إنّ معرفة المعشوق تُفيد الطبيب المداوي و المريض نفسه ، و يُشبه هذا المنهج في العلاج النَّفسي التحليل النَّفسي المعاصر ؛ الذي يستهدف كشف القناع عن مكبوتات المريض ؛ المنسية و المتراكمة في أعماق اللاشعور ، و كان ابن سينا ينصح للشفاء من علّة العشق بالنّوم و الإهتمام بالتغذية ، و إلهاء المريض عن معشوقته ، و صرفه عنها ، و توجيهه إلى أمورٍ أخرى ، و هو منهج متّبع في الوقت الحالي ؛ إذ ينصح الأطباء مرضى العشق بالتفرّغ لنشاطاتٍ ؛ من شأنها أن تُنسيه معشوقته ، و تُقوي شخصيته ، و تُفيد المجتمع ؛ كالأنشطة الرياضيّة و الكشفيّة و العلميّة و الثقافيّة ، و الإشتراك في مشاريع الخدمة العامّة ⁽²⁾ ، كما عالج الإكتئاب و الوهم بطريقةً ذكيّةً نادرةً نالت إعجاب الأطباء من بعده ، و طبّقوها لعلاج مثل هذه الحالات ، و لا يزال الطبّ النَّفسي الحديث يعتمد عليها ، و قد ذكرنا سابقاً ؛ كيف عالج ذلك الشّخص الذي توهم أنّه بقرة ، و امتنع عن الأكل ، و كاد أن يهلك ، إضافةً إلى كلّ هذا ؛ فإنّ لابن سينا فضل السّبق في استخدام الأحلام في الكشف عن العلل و العقد النَّفسية ؛ إذ اعتبر أنّ الأحلام الرّديئة و المزعجة و المشوّشة

(1) أحمد شوكت الشطّي : المرجع السابق ، ص. 252 ، 253 .

(2) عبد الرحمن محمد العيسوي : علم النَّفس الإكلينيكي ، ص. 41 .

و تلك التي ينسأها الفرد ؛ لكلّ دلالتّه في الكشف عن المرض ⁽¹⁾ ، و هو بذلك سبق العالم المشهور " فرويد " ⁽²⁾ بمئات السنين في هذا المجال .

و كان لابن سينا فضل السّبق في التعرّف على ما نصّفه الآن بفصام الشّخصية ؛ فيصف أعراض هذا المرض و يُشير إلى إلى تحيّل أشياء لا وُجود لها ؛ و هي تُعرف الآن باسم " الهلاوس السّمعية " ؛ كسماع المريض أناساً يسبّونه و يتّهمونه ، أو " الهلاوس البصرية " ؛ كرؤية أشياء غير موجودة في الواقع ⁽³⁾ .

إنّ عبقرية ابن سينا في الطبّ النّفسي لم تقف عند هذا الحدّ ، و إنّما توصلت إلى حقائق مهمّة ؛ أثبت الطبّ الحديث صحّتها ، فهو أوّل من تكلم عن وحدة النّفس و الجسد ، و أثبت صحّة رأيه ؛ من خلال نقله من الميدان النّظري إلى التجريبي ، و لعلّ تجربة " الحمل و الدّئب " من التجارب التي أثبتت نظريته ، و أذهلت أطباء الغرب المسيحي ؛ الذين توصلوا إلى هذه الحقيقة بعد مرور المئات من السنين ، فقد قام هذا الطبيب بربط ذئب و حمل في غرفة واحدة ، و حرص على أن لا يتمكّن أحدهما من الإقتراب من الآخر أو يلامسه ، ثمّ راح يُراقب ما يطرأ على الحمل من تغيّرات ، فكانت النتيجة ؛ أن أصيب الحمل بهزال شديد ، أدّى إلى وفاته ؛ بسبب ما كان يعتريه من الفزع و الخوف ، و ليتأكّد من نتائج هذه التجربة ؛ أعادها مرّات عديدة ، و أفضت إلى نفس النتائج ⁽⁴⁾ ، و قد حاول الدكتور " محمد بن عبد الرحمن مرحبا " مقارنة هذه التجربة ببعض تجارب القرن العشرين ؛ التي تُشبهه إلى حدّ بعيد تجربة ابن سينا ، و أفضت إلى نفس النتائج ، و أثبتت تأثير الإضطرابات النّفسية على الجسد .

(1) عبد الرحمن محمد العيسوي : علم النّفس الإكلينيكي ، ص. 31 .

(2) فرويد سيجموند (1856 . 1939) : طبيب نمساوي ، مؤسس مدرسة التحليل النّفسي ، وُلد في " مورافيا " ، و عاش معظم حياته في " فيينا " من أهمّ كُتبه : (تفسير الأحلام) ، (مدخل إلى التحليل النّفسي) ، (حياتي و التحليل النّفسي) ... إلخ . كمال محمد الدسوقي و آخرون : المرجع السابق ، ص. 1746 .

(3) عبد الرحمن محمد العيسوي : علم النّفس الإكلينيكي ، ص. 34 .

(4) محمد بن عبد الرحمن مرحبا : المرجع السابق ، ص. 302 .

ذكر الدكتور " محمد بن عبد الرحمن مرجبا " أنَّ أحد علماء القرن العشرين ؛ قام بإسماع بعض الفئران لِشَرِيْطٍ يُسَجِّلُ معركةً دائرةً بين قَطٍّ و فأرٍ ، فكانت النتيجة ؛ إصابة بعض الفئران بالدَّبْحَةِ القلبية ؛ بِسببِ الملح و الخوف كما قام أحدهم بوضع قَرْدٍ في ماءٍ باردٍ ؛ ممَّا أدَّى إلى إصابته بالقرحة المعدية ؛ نتيجة الخوف ، كما ذكر أنَّ أحد العلماء ؛ قام بتسلُّق أحد الجبال ، و أثناء هذه المغامرة ؛ سقط و كاد أن يهلك ؛ و نتيجةً لهذه الصدمة النفسية أُصيب بِارتجافٍ شديدٍ ، و أضْحَى لا يقوى على الحركة ، إضافةً إلى اضطراباتٍ نفسيةٍ و عصبيةٍ أُخرى ، و هو ما حمّله على دراسة أثر الإرهاق و الخوف على الحيوانات ؛ فلاحظ عليها الاضطرابات العصبية و الغددية ، و توصلَ إلى ما توصلَ إليه ابن سينا قبل أكثر من عشرة قُرُونٍ ، و بالتالي فإن هذه الحقائق التي توصلَ إليها هؤلاء العلماء ؛ من خلال تجاربهم ؛ أثبتت صحّة آراء و نظريات ابن سينا في ميدان طبِّ النَّفس الجسدي ، و أنّ إقدام هذا الطبيب العملاق على التجربة ؛ لم يكن وليد الصدفة ، بل هو وليد القصد و التوجيه (1) .

أمّا الطبيب المشهور " الحسن بن سوار " فهو الآخر كان له فضل السَّبِق في الإختصاص بطبِّ المشايخ ؛ حين أدرك بِذكائه الفائق أنّ بعض الأمراض التي تُصيب كبار السنّ ؛ تختلف عن تلك التي تتعرّض لها الفئات العمرية الأخرى ، و بذلك تميّز عن غيره من الأطباء المسلمين ؛ في كونه أبدى إهتماماً بالغاً بصحّة المسنّين ، و كما أشرنا إليه سابقاً ؛ فإنّ هذا الطبيب شرح ما توصلَ إليه من أبحاثٍ حول الحالات المرضية التي تصيب كبار السنّ ، و طرق علاجها في كتابه : (تدبير المشايخ) ؛ على طريقة المسألة و الجواب ، و الذي أصبح مرجعاً مهمّاً لدى الباحثين و طلاب العلوم الطَّبَّية ، و ظلّ كذلك لفترةٍ طويلةٍ من الزمن (2) .

و على غرار " الحسن بن سوار " ؛ أدرك " أحمد الطبري " أنّ الأمراض التي تُصيب الإنسان تختلف من فئةٍ إلى أُخرى ، فقرّر التخصص في طبِّ الأطفال ، و كان له فضل السَّبِق في فصله عن طبِّ البالغين ؛ إلى جانب الرّازي

(1) المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، ص. 303 .

(2) الدقّاع : رواد علم الطبّ عند العرب و المسلمين ، ص. 260 .

لأنّه كان مُقتنعاً بأنّ هناك بعض الأمراض التي تُصيب الطفل لا يتعرّض لها البالغ ؛ و هو ما يميّزه عن غيره من أطباء العرب و المسلمين ، فنجدّه يُدع في وصف أمراض الجرب ، و الإسهال ، و الكزاز ، و أمراض العين و الأنف و غيرها من الأمراض التي تُصيب الطفل ؛ منذ ولادته إلى غاية بلوغه سنّ الرشد . و قد أشرنا أنّ هذا الطبيب قد عارض سابقه و معاصريه من الأطباء ؛ الذين اكتفوا بعلاج المرضعة دون الرضيع ، لذلك أصّر " الطبري " على ضرورة العناية بالرضيع ، و تنظيف الحبل السري لأنّ تلوثه يُسبب الكزاز ، و تغذيته إلى غاية نموّ أسنانه ، إضافةً إلى استعمال لبن الأمّ للمولود ، و تفادي استخدام أدوية البالغين للأطفال ؛ لأنّ معدّتهم و مزاجهم لا يحتمل ذلك ⁽¹⁾ ، و هي نفس النصائح التي يُقدّمها الأطباء في الوقت الحالي . إضافةً إلى كلّ هذا ؛ كان لابن ربن الطبري فضل السبق في إكتشاف للّقاح الميكروبي لداء الحكّة ⁽²⁾ .

أمّا ابن مسكويه ؛ فيعتبر أول من أعطى صورةً شاملةً لمرض الجدّام ⁽³⁾ ؛ دون أن يربطه بغضب السماء أو عقاب الله ، بل صوّره كمرضٍ معدٍ ؛ إهتمّ به أطباء كثيرون غيره كابن الجزّار من مدينة القيروان ؛ الذي قدّم شرحاً مُفصّلاً لأسبابه و طُرُق علاجه ⁽⁴⁾ .

ثانياً : طريقة العلاج

تكلّمنا سابقاً عن المنهج العلمي الذي إتبعه الأطباء الموالى في معالجة مرضاهم ؛ و الذي يعتمد على التجربة و الملاحظة ، ثمّ وصف العلاج ؛ بناءً على ما توصلوا إليه من نتائج ، خلافاً للمنهج الفلسفي التّظري الذي إتبعه

⁽¹⁾ الدقّاع : رواد علم الطبّ ... ، ص. 241 .

⁽²⁾ زيجريد هونكه : المرجع السابق ، ص. 272 .

⁽³⁾ الجدّام : هو علة تتآكل منها الأعضاء و تتساقط . عبد الرحيم مارديني : المرجع السابق ، ص. 264 .

⁽⁴⁾ زيجريد هونكه : المرجع السابق ، ص. 273 .

أطبَّاء الأمم الأخرى ؛ لاسيما الفرس و اليونانيين ، فأمكنهم ذلك من إكتشاف معارف طبَّية جديدة ؛ أعطت لهذا العلم دفعاً جديداً نحو التطوُّر ، و كان لها الفضل الكبير فيما توصل إليه الطبُّ الحديث .

إنَّ طريقة العلاج التي انتهجها الأطبَّاء الموالى ؛ قوامها التحليل التجريبي الدقيق ، و عدم الركون إلى الخرافات و الأوهام و الأساطير ؛ التي لا تُجدي صاحبها شيئاً ، و مُحاربة كلِّ مظاهر الدَّجل و الشَّعوذة و السَّحر ؛ و نسب العلل و الأمراض إلى عوامل خفيَّة و غيبية ، و سنأحاول بحول الله التذكير ببعض طرق العلاج ؛ التي انتهجها بعض الأطبَّاء الموالى ، مُركِّزاً على الرَّايزي و ابن سينا ؛ باعتبارهما الأكثر تأثيراً على الغرب المسيحي دون غيرهم .

قبل التطرُّق إلى طرق علاج الرَّايزي و ابن سينا ؛ لا بدَّ نُشير إلى أنَّهما اعتماداً على من سبقوهم من أطبَّاء العالم الإسلامي ، و على رأسهم أستاذ الرَّايزي : " علي بن ربن الطبري " ؛ الذي قدَّم لنا بعض الحكم و الأقوال التي تدلُّ على تمكُّنه في حقل الطبِّ ؛ و التي ليست بعيدة عن الأفكار و النَّصائح الطَّبَّية الحديثة التي يُقدِّمها الأطبَّاء هذه الأيام ، و قد أشرنا سابقاً إلى بعضها ؛ لما عرَّفنا بهذه الشَّخصية ، و منها قوله : " السلامة غاية كلِّ سُؤال " و " طول التجارب زيادةٌ في العقل " و " الطبيب الجاهل مُستحثُّ الموت " ... إلخ⁽¹⁾ ، و بالتالي أثبت هذا الطبيب أهمِّية المنهج التجريبي في علم الطبِّ ؛ و هو ما أدركه تلميذه " الرَّايزي " ؛ الذي سيُحدث ثورةً حقيقيةً في ميدان العلوم الطَّبَّية ، فكيف ذلك يا تُرى ؟

إنَّ طريقة علاج الرَّايزي لمرضاه تعتبر نموذجاً للمنهج التجريبي الذي إتبعه الطبيب المسلم ؛ و الذي لا يختلف عمَّا هو مُتَّبَع في الطبِّ الحديث ، و نُحسِّن من خلال قراءتنا لملاحظاته و شُرُوحاته ؛ أننا أمام طبيبٍ من القرن العشرين و ليس من القرون الوسطى ، فقد اتَّسمت تجاربه بالدقَّة و المقاربة ، و قوَّة المقاربة ، و القدرة على تمييز الدلائل و تقويهما ، ثمَّ وصف العلاج المناسب للعلل و الأمراض ؛ بناءً على النَّتائج التي توصلَ إليها ، كما عُرِف عنه ؛ أنَّه

(1) الدِّقَاع : رُوَاد علم الطبِّ في ... ، ص. 177 .

كان يجري تجاربه على الحيوانات ، خاصةً القردة ؛ لشدّة شبهها بالإنسان ، فكان يختبر تأثير الأدوية فيها و يُسجّل جميع ما يُشاهدُه ، كما كان لا يتردّد في تجريبه في نفسه قبل المريض ؛ في حالة إصابته بعلة مرضية⁽¹⁾ .

لقد أجمع الجميع ؛ بما فيهم علماء الغرب المسيحي ، أنّ الرّازي هو مُكتشف ما يُعرف بـ " الطبّ السريري " المبنيّ على الإحاطة بأحوال المريض في معيشته ، و مزاجه ، و نومه ، و يقظته . و من هذا المنطلق ؛ كان الرّازي يُلحّ على ضرورة الإنصات إلى المريض أثناء وصفِ شكواه ، و حُسن مُساءلته عن أحواله الشّخصية ؛ فكان يدع المريض يسرد قصّته ، ثمّ يسأله عن أحواله و بيئته ، ثمّ يدوّن جميع ذلك ؛ للرجوع إليه عند الحاجة ، مع الحرص الشّديد على مُلازمته ، و ملاحظة جميع أحواله⁽²⁾ .

إنّ عملية تدوين الملاحظات السريرية التي إنتهجها الرّازي لم تقتصر على أحوال المريض الشّخصية ، و إنّما شملت أعراض الحالات المرضية ، و تاريخ الإصابة بالمرض ، و مراحل علاجه ، و علامات كلّ مرحلة ، كما كان يذكر طبيعة العلة ؛ سواء كانت قابلةً للعلاج ، أو ميؤوساً منها ، أو مُزمنةً ، إضافةً إلى وصف مزاج المريض و مهنته و عُمره و جنسه ، و بالتالي كان للرّازي فضل السبق في تدوين الملاحظات السريرية ؛ التي لم يعرفها الغرب المسيحي إلّا سنة 1502 ؛ عندما جرّها الطبيب الإيطالي " بنيفيتي " المعروف بـ " أنطونيو الفلورنسي " ، ثمّ انتشرت في مناطق مختلفة من أوروبا⁽³⁾ .

أمّا فيما يتعلّق بتشخيص العلل و الأمراض ؛ فقد اعتمد الرّازي طريقةً لا تزال مُتبعَةً في الوقت الحالي ، و هي الإستدلال بالتّبض و البول ، إذ أثبت الطبّ الحديث إمكانية التفريق بين العلل ؛ من خلال التّبض ، و مظاهر

(1) محمد بن عبد الرحمن مرجبا : المرجع السابق ، ص. 282 .

(2) المرجع نفسه ، ص. 282 .

(3) محمد بن عبد الرحمن مرجبا : نفس المرجع ، ص. 283 .

الأبوال المختلفة؛ كأنواع الرّسوب، و ألوان البول، و شُفوفيته، و عكارتة . و إستناداً إلى هذه المعطيات؛ يُمكن وصف العلاج المناسب لكلّ حالة⁽¹⁾ .

أمّا الحكيم ابن سينا؛ فلا تختلف طريقة علاجه لمرضاه عن تلك التي عرّف بها الرّازي، فاستطاع بذكائه الخارق أن يستفيد من الجهود التي بذلها سابقوه، و عمِلَ على تطوير المعارف الطبيّة الموروثة، و إثرائها بالإضافات و ذلك باستخدام الخبرة و التجربة العلميّة . فنجدّه؛ على غرار الرّازي، يُدوّن الملاحظات السريرية، و يحرص على الإنصات إلى المريض أثناء بثّ شكواه، و السؤال عن أحواله الشّخصية؛ و قصّته مع المرض، و مستوى معيشتِهِ و البيئة التي يعيش فيها، و التعرّف على أسرته؛ و احتمال إصابتها بالمرض... إلخ، و بالتالي حرّب ابن سينا الطبّ السريري، و أدرك هذه الأمور؛ التي لا يزال يعتمد عليها الطبّ الحديث⁽²⁾ .

لقد أدرك الشيخ الرّئيس أهمية النبض و البول و البراز في الإستدلال⁽³⁾؛ لتشخيص مُختلف الأمراض و العلل و هي كما أشرنا؛ لا تختلف كثيراً عمّا هو مُتبع في الوقت الحالي، و بعد إطلاعي على تفسير ابن سينا لهذه الأمور الثلاثة؛ تبيّنت أنّ هذا الطبيب غير عادي، فهل يُعقل أن يكون طبيباً من القرون الوسطى؛ مُطلِعاً على كلّ هذه الحقائق الطبيّة؟ . بالفعل كان و لا يزال ابن سينا من أعظم الأطباء الذين عرفتهم البشرية .

دَرَس ابن سينا التّبض دراسةً وافيةً، و رَبَطَ بين أحواله المتفاوتة و بين الأمراض المختلفة، و ذكّر حالته في كلّ مرضٍ، و أثبتت إختلافه من شَخصٍ لآخر؛ حسب الفئات العمريّة، و بيّنَ علاقته بالإضطرابات التّفسيّة و شرّح بالتفصيل تباينه و إختلافه في الحالا التّفسيّة؛ كالغضب، و الخوف، و الخجل، و المنازعة العاديّة

(1) محمد بن عبد الرحمن مرجبا : المرجع السابق، ص. 285 .

(2) أحمد شوكت الشطّي : المرجع السابق، ص. 249 .

(3) حربي عبّاس و حسان حلاق : المرجع السابق، ص. 294 .

و المفاجئة ، و السرور... إلخ (1) . أمّا فيما يتعلّق بالبول ؛ فقد اعتمد عليه ابن سينا ، و استدلّ به في تشخيص مختلف الأمراض ؛ من حيث قوامه و لونه ، و كثافته ، و الرّواسب التي يُخلّفها (2) .

إضافةً إلى كلّ هذا ؛ فإنّ لابن سينا رأياً خاصاً في الحالة التي ينبغي أن يظهر بها الطبيب ؛ أثناء علاجه للمريض ، فهو يرى أنّ لوضع الطبيب و حالته المعنوية أثراً كثيراً في شفاء الأمراض ، فإذا كان الطبيب بشوشاً مُبتسماً ؛ وجد تجاؤباً كبيراً من المريض ، و يقول في هذا الشّأن : " ... ينبغي للطبيب أن يكون دائماً مُبشراً بالصّحة ؛ فإنّ للعوارض النفسانية تأثيرات عظيمة ... " (3) .

ثالثاً : الجانب الإنساني

إنّ التعامل مع المريض يقتضي مُعاملةً خاصةً ؛ قوامها الرّأفة و العطف ، و بثّ روح الأمل ؛ و هذا ما أدركه الأطباء المسلمون ، لاسيّما الموالى ؛ الذين كانوا السّباقين لهذه المعاملة دون غيرهم ، و سَأحاول بحول الله التطرّق لبعض المواقف الإنسانية لبعض الأطباء الموالى ، و مُقارنتها بنظرة الطبيب الأوربي للمريض ؛ و تعامله معه . و بعد مُطالعتي للكثير من المراجع التي تحدّثت عن هذا الموضوع ؛ آثرتُ أن أسدّدَ بما قالته المستشرقة الألمانية " زيجريد هونكه " ؛ من مُنطلق مبدأ " و شهد شاهدٌ من أهلها " . فالمتصفّح لكتاب (شمس العرب تسطع في الغرب) يُدرك أنّ هذه المستشرقة قد اتّسمت بالموضوعية ، و أنصفت المسلمين ، و أبرزت دورهم الحضاري على الغرب المسيحي ؛ لاسيّما في ميدان الطبّ .

لقد أكّدت " زيجريد هونكه " على الجانب الإنساني للطبيب المسلم ، و ذكرت بعض المواقف الإنسانية لبعض الأطباء الموالى ، فالرّازي مثلاً ؛ يُعتبر أوّل طبيبٍ فكّر في مُعالجة المرضى الذين لا أملَ في شفائهم ، و اهتمّ بهم

(1) الدقّاع : رُوّاد الطبّ ... ، ص. 301 .

(2) أحمد شوكت الشطّي : المرجع السابق ، ص. 249 .

(3) يوسف فرحات : المرجع السابق ، ص. 137 .

إهتماماً كبيراً . و كما قلنا سابقاً ؛ فإنَّ من أهمِّ ما قاله الرَّازي في هذا الشَّان : " ... يجب على الطبيب أن يهتم المريض بالصِّحة ، و يُرَجِّيه بها ، و إذا لم يثق هو بذلك ؛ فمزاج الجسم تابعٌ لِأَخلاق النَّفس ... " (1) ، و يتجلى من خلال هذا القول ؛ أنَّ الرَّازي كان إنسانياً إلى أقصى الدَّرجات ، فبالرَّغم من إدراكه أنَّ حالة المريض ميؤوسٌ منها ؛ و لا علاج لها ، فإنَّه كان يسعى إلى بثِّ روح الأمل و قُوَّة الحياة فيه (2) ، و لكنَّ هذه المواقف النَّبيلة للرَّازي ؛ أحدثت مُعارضةً شديدةً من بعض علماء الغرب المسيحي ، إذ اعتبر بعضهم أنَّ هذا العمل أحمقٌ و لا خُلقي ؛ بإعتباره لا يلفت أنظار المريض إلى ما ينتظره من مصير ؛ يحول دون التَّوبة و التَّوجُّه إلى الله ، و تسليم أمره لله ، و بالتَّالي بيَّنت هذه المواقف قسوة هؤلاء ، و تجرَّدهم من إنسانيتهم ؛ في تعاملهم مع المرضى الميؤوس من حالتهم ، إذ كانوا لا يتردَّدون في إخبار مرضاهم بمصيرهم ، و لا يحجمون عن قتلهم أحياناً (3) . كما أنَّ الرَّازي عُرف بتواضعه الكبير ، و رأفته بالضعفاء ، و حُبِّه للفقراء ، و حُسن تعامله مع المرضى ؛ مهما كانت حالتهم و هو ما جعله يحظى بِحُبِّهم و احترامهم و تقديرهم .

أمَّا الشيخ الرئيس " ابن سينا " ؛ فنجدُه على غرار الرَّازي ، يتعامل مع مرضاه بإنسانية فائقة ، جعلته محلَّ إعجاب و تقدير من حوله من النَّاس ، و لعلَّ من أهمِّ و أجلِّ صُور شخصيته الإنسانية ؛ هو تعامله مع مرضى الأعصاب ؛ أو المجانين ، فقد كانت نظرته لهم نظرةً إنسانيةً ساميةً ، فلم يعتبرهم مجرمين أو مُذنبين ، و إمَّا نظر إليهم كمرضى يحتاجون إلى العلاج ، و دعا إلى حُسن مُعاملتهم ، و اللُّطف معهم ، و تحسين تغذيتهم و نومهم و شرايهم ، و تمتُّعهم بالرَّاحة و الهواء الطَّلَق ، و سماع الموسيقى و الطرب ، كما كان يُعالجهم بحناناً ، و يتصدَّق عليهم من ماله الخاص . هذا في الوقت الذي كان فيه المرضى المجانين في أوروبا المظلمة حضارياً ؛ يُعاملون مُعاملةً

(1) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 115 .

(2) زجيريد هونكه : المرجع السابق ، ص 253 .

(3) زجيريد هونكه : المرجع السابق ، ص 254 .

السُّجَّاء ، و يعيشون معيشة القطعان ، فكانت أيديهم و أرجلهم تُعَلَّ بالسلاسل الحديدية ، و كان النَّاسُ يَحْشَوْنَهُمْ ، و يشعرون بالعار و الخجل منهم ⁽¹⁾ . و تقول زيجريد هونكه في هذا الشَّان : " ... و لنا أن نذكر نظرة الغرب إلى هؤلاء المرضى المساكين خلال القرون الوسطى ، فترى هؤلاء و بشاعةً بالغيين ؛ مبعثها الإعتقاد السائد آنذاك ، و الذي غَدَّتْهُ الدعاوى الدنيئة الخاطِئة ؛ بأنَّ هذا المريض لعنة من السماء ؛ حلَّت بصاحبها عقاباً له على إثم زعموا أنه ارتكبه ، أو شيطاناً دخل في نفسه ، و بالتالي يجوز عذابه ⁽²⁾ .

أمَّا الطبيب الكبير " الأهوازي " ؛ فلا تقلَّ معاملته الإنسانية لمرضاه عن تلك التي رأيناها عند الرَّازي و ابن سينا ذلك أنه كان ينصح الأطباء بالتواضع ، و رقة الكلام مع المرضى ، و الرَّحمة و العطف على الفقراء ، و الإبتعاد عن اللُّهو و شرب الخمر و الفجور ، و صفاء النية في النَّظر إلى النَّساء ، و عدم وصف الأدوية القاتلة ، أو المساعدة على إسقاط الأجنَّة ، و كثرة المداولة لِأُمُور المرضى ، و ملازمة البيمارستانات ، كي يسهل الإِتِّصال به في حالة الضرورة ⁽³⁾ .

رابعاً : المؤلِّفات :

إنَّ كلَّ ما قيل حول إسهامات الأطباء الموالى في مختلف الإختصاصات الطَّبَّية ؛ من حيث السَّبِق في إكتشاف العلل و الأمراض ، و وصف أعراضها و تشخيصها ، و المنهج المتَّبَع لِعلاجها ، و الجوانب الإنسانية الرَّاقية التي ميَّزت تعاملهم مع مرضاهم ، ما كان ليصل إلينا ؛ لولا المؤلِّفات الكثيرة التي تركها هؤلاء ، و التي تركت بصماتهم في هذا المجال ، و أعطت دفعاً جديداً لِعلم الطبِّ ؛ فأضحت مراجع مهمَّة لِطلبة العلوم الطَّبَّية و الصيدلانية في البلاد الإسلامية ، و كذا الغرب المسيحي ، إذ دأب الأوروبيون على ترجمتها إلى لغاتهم ، و الإستفادة من المعارف

⁽¹⁾ عبد الرحمن محمد العيسوي : علم النفس الإكلينيكي ، ص. 34 .

⁽²⁾ شمس العرب تسطع من الغرب ، ص. 255 .

⁽³⁾ الدِّقَاع : رِوَاد علم الطبِّ ... ، ص. 249 .

الطَّبَّية الثمينة التي تحتويها ، و ظَلَّت هذه الكتب لِفترةٍ طويلةٍ ؛ ضِمْنَ الكتبِ الطَّبَّيةِ القليلةِ الموجودةِ في كُليَّاتهم (1) .

إنَّ المتصفِّحَ لِمؤلَّفاتِ الأطبَّاءِ الموالى ؛ يُدركُ أنَّ هؤلاءِ كانوا في قَمَّةِ الأمانةِ العلميةِ ، من خلالِ نَسَبِ الآراءِ و الأفكارِ إلى أصحابِها ؛ لاسيما الأقدمين من اليونانيين و الفرس ، فكان كلُّ ما كتبوه ؛ هو عبارة عن سردٍ لِتلكِ الآراءِ ، و إثراءٍ لها بالملاحظاتِ و الإضافاتِ ، و تعليقٍ عليها ؛ إمَّا بالترجيح ، أو الإعتراضِ عليها و نقدِها أحياناً وهذا ما أشرنا إليه سابقاً ، و سأحاولُ بحولِ الله في هذا المبحثِ ؛ التركيزَ على أشهرِ تلكِ المؤلَّفاتِ و أكثرِها تأثيراً على الغربِ المسيحي .

يُعتبرُ كتاب (فردوس الحكمة) لِابن سهلِ الطبري ؛ من الكتبِ التي لَقِيَتْ إقبالاً كبيراً من طرفِ طُلابِ العلمِ في زمانه ، و من بعده ؛ أمثال : تلميذه " الرَّايزي " ، و الحكيم " ابن سينا " و " ابن عبَّاسِ الأهوازي " و غيرهم من أطبَّاءِ العالمِ الإسلامي ؛ الذين استفادوا كثيراً من هذه الموسوعةِ العلميةِ ؛ التي اكتسبت طابعاً نظرياً و علمياً في آنٍ واحدٍ ؛ و هو ما زاد من القيمةِ العلميةِ لهذا الكتابِ ، إذ جمع فيه بين العلومِ الطَّبَّيةِ و الأفكارِ و التَّنظيرِياتِ الفلسفيةِ لِمن سبقوه من الأطبَّاءِ و الحكماءِ ؛ خاصةً أبقرات ، جالينوس ، أرسطو ، حنين بن إسحاق ، ثابت بن قُرة ، و غيرهم . و بالتَّالي ؛ اعتمد " ابن ربن الطبري " على هذه الآراءِ و الأفكارِ ، و أضاف إليها المعارفَ التي توصلَ إليها ؛ بعد التجربةِ و الملاحظةِ طبعاً (2) .

أمَّا كتاب (الحاوي في الطبِّ) لِلرَّايزي ؛ فهو من أهمِّ و أجلِّ الكتبِ التي ألَّفها هذا الطبيبُ ، لما يحتويه من معارفِ طَّبَّيةِ قيِّمةٍ ؛ استفاد منها غيره ، و يذكر ابن أبي أصيبعة في هذا الشَّانِ : " ... إنَّ هذا الكتابَ من أجلِّ كتبِ الرَّايزي ، و أعظمُها في صناعةِ الطبِّ ، و ذلكِ لأنَّه جمع فيه كلَّ ما وجدَهُ مُتفرِّقاً في ذكرِ الأمراضِ و مُداواتِها

(1) عبد الخليم منتصر : المرجع السابق ، ص. 230 .

(2) الدَّقاع : رُوَّاد علمِ الطبِّ ... ، ص. 176 .

و متابعتها ؛ من سائر الكُتُب الطَّبَّية للمتقدِّمين ، و من أتى بعدهم إلى زمانه ... ، و نَسَبَ كلَّ شَيْءٍ نقله فيه إلى قائله ... " (1) ، و بالتالي ؛ كان هذا الكتاب موسوعاً علميةً شاملةً ، جَمَعَ فيها الرَّازي كلَّ ما توصل إليه الطبَّ اليوناني و السرياني و العربي ؛ من معرفةٍ و إكتشافاتٍ ، و هي عبارة عن عملٍ قام به و لم يُكْمَله ؛ بعد أن أدركه الموت ، فتكفل تلاميذه بذلك ، و وضعوه بِشكليه النَّهائي ، و لم يصلنا منه إلا عشرة مجلِّدات من أصل عشرين مجلِّداً . و يُعتبر الطبيب اليهودي : " فرج بن سالم " أول من ترجمه إلى اللاتينية سنة 1279 ، و إنتشر في القرون التالية على شكل مخطوطاتٍ ، ثمَّ طُبِعَ سنة 1486 ، و ما إن حلَّت سنة 1542 ؛ حتَّى كان يوجد من هذا الكتاب النَّفيس خمس طبعاتٍ ؛ عدا أجزاءً منه كثيرة طُبِعَت مُنفصلةً ، لِذا كان أثره في الطبِّ الأوربي عظيمًا (2) .

إضافةً إلى هذا الكتاب ؛ أَلَّفَ الرَّازي كُتُباً أُخرى لا تُقلُّ أهميَّةً عن الحاوي ، و لعلَّ أهمُّها : كتاب (المنصوري في الطبِّ) ؛ الذي أَلَفَهُ لِلأمير " منصور بن إسحاق " ؛ و المتكوّن من عشر مقالاتٍ (3) . و نظراً لما يحتويه هذا الكتاب من معارف طبَّية ثمينه ؛ فقد كان محلَّ إعجاب أطباء الغرب المسيحي ؛ الذين دأبوا على ترجمته إلى لغاتهم للاستفادة منه ، و أوَّل من ترجمه إلى اللاتينية " جيراردو الكريموني " (4) ، و تمَّ طبعه في ميلانو سنة 886 هـ ، و بقي من بين المراجع الرئيسيَّة في جامعات أوربا حتَّى القرن السابع عشر الميلادي (5) . و لأبي بكر الرَّازي كتاب (الجامع) الذي يحتوي على معارف طبَّية في غاية الأهميَّة ؛ تتعلَّق بعلم الصيدلة ، و تصنيف

(1) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 125 .

(2) جبهة من المستشرقين : تراث الإسلام ، ص. 426 ؛ Gustave Le Bon : op . cit , p 447

(3) Gustave Le Bon : ibid , p 446 .

(4) جيراردو الكريموني (ت 611 / 1214) : قضى معظم حياته في طليعة ، ترجم أزيد من سبعين كتاباً من الكتب العربية ؛ في علوم متعدّدة كالطبِّ و الرياضيات و الفلسفة و الفلك ... ، لِذلك لُقِّبَ بـ " أبي الترجمة و المترجمين " . أحمد شوكت الشطبي : المرجع السابق ، ص 256 .

(5) الدقاع : رُوَاد علم الطبِّ ... ، ص. 220 .

و تفسير الأدوية البسيطة و المركبة ، و منافع الأغذية ، و صفات طبيّة أخرى ؛ جَمَعَهَا من كُتُب الأقدمين ، و من عاصرهم من الأطباء ؛ و بالتالي كان لهذا الكتاب الأثر البالغ في تطوّر علم الصيدلة (1) .

و من الكتب النفيسة التي كان لها تأثير على الغرب المسيحي : كتاب (القانون في الطب) لابن سينا ؛ الذي كان على غرار (فردوس الحكمة) و (الحاوي في الطب) ؛ موسوعةً طبيّة نادرة ، فَضَّلَهَا طُلَّاب العلوم الطبيّة و الصيدلانية على من سَبَقَهُ من مؤلِّفات ؛ لِمَا وجدوا فيه من حُسْن التَّبْوِيهِ ، و سُهولة الأسلوب ، و الدقّة الفائقة في تشخيص الأمراض و العِلل ، و وصف العلاج لها ، و الشرح المفصّل للعقاقير و الأدوية البسيطة و المركبة و المفردات الطبيّة التي تدخل في التداوي . و بالتالي ؛ احتوى هذا الكتاب على المعلومات الضرورية التي يحتاجها طالب العلم و الطبيب و الهاوي (2) .

لقد جمع ابن سينا في هذه الموسوعة العلمية المتكاملة ؛ نظريات و آراء من سَبَقَهُ من الأقدمين و المعاصرين له و أضاف إليها المعارف التي توصل إليها ؛ بعد التجربة و البحث و الإستقصاء ، و هو ما زاد من قيمة هذا الكتاب النفيس ؛ الذي نال شهرةً عظيمةً ، و لَقِيَ إقبالاً كبيراً من دَوِي الإختصاص في البلاد الإسلامية و الغرب المسيحي بعد أن تُرجم إلى اللغة اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي . و يُعتبر " جيراردو الكريمونتي " أول من ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية ، و نَقَلَهُ إلى أوربا ؛ بعد عناءٍ و مشقّةٍ كبيرين ، و يقول في هذا الصدد : " ... لقد قضيت أكثر من نصف قرنٍ في تعلّم العربية ، و ترجمة نفائس الكتب العربية ، فكان أعظم كتابٍ لاقيتُ في نَقْلِهِ مشقّةً و عناءً ... " (3) . و بعد هذه الترجمة ؛ أضحى هذا الكتاب في وقتٍ وجيزٍ من أهمّ المصادر الطبيّة في كُليّات الطبّ الأوربية ، و ظلّ كذلك حتّى أواسط القرن السّابع عشر الميلادي ، و قد تعرّض أصله العربي إلى الضياع

(1) المرجع نفسه ، ص. 220 .

(2) عبد الخليم منتصر : المرجع السابق ، ص. 128 ؛ الدقاع : رُوَاد الطبّ في ... ، ص. 306 .

(3) أحمد شوكت الشطّي : المرجع نفسه ، ص. 256 .

و أُعيدت ترجمته من النّص اللّاتيني إلى العربية في عام 1373^١ في روما ، و طُبِع باللّغة اللّاتينية أكثر من عشرين مرّةً في القرن السادس عشر الميلادي (1) .

إنّ الإقبال الذي لقيّه كتاب (القانون في الطبّ) في أوربا ؛ أكّد على عبقرية ابن سينا ، و تفوّقه في ميدان الطبّ و هي حقيقة أدركها الأوربيون أنفُسُهُم ، بل إنّ بعضهم أنصف الرجل . و في هذا الصدد ؛ يذكر أحمد شوكت الشطّي ؛ أنّ مسؤولةً في قسم المخطوطات بالمكتبة الأهلية بباريس تسمّى " دالبرني " كتبت عن أثر ابن سينا العلمي في أوربا ، حيث قالت : " ... إذا استعرضنا المخطوطات الموجودة لكُتُبِ ابن سينا و رسائله ، و حَكَمْنَا على أهمّيّتها بعددِها ، فقد يكون كتاب القانون و رسالة النَّفس في كتاب الشّفاء من أعظم ما أعجّب به الباحثون و من أكثر ما دَرَسوه ، و قلّ ما تجدُّ مكتبةً من مكتبات أوربا ؛ لا تخلو من مؤلّفات ابن سينا ؛ الشّيء الذي جعله أكبر و أعظم شخصية في الطبّ عرفتها القرون الوسطى ... " (2) ، أمّا " وليم أوسلر " (3) ؛ فهو يعتبر أنّ كتاب (القانون) كان بمثابة الإنجيل الطّبيّ ؛ الذي ظلّ مُتداوِلاً في كَلِيّات الطبّ الأوربية لأطول فترةٍ من الزمن (4) . و ممّا يدلّ على تأثير هذا الكتاب على الغرب المسيحي ؛ هو أنّ الكثير من العقاقير التي وصّفها ابن سينا لمرضاه في هذا الكتاب ؛ ظلّت محتفظةً بأسمائها العربية كالعنبر ، الزعفران ، الكافور المسك... إلخ (5) .

(1) الدقّاع : زوّاد الطبّ ... ، ص. 303 .

(2) أحمد شوكت الشطّي : المرجع السابق ، ص. 259 .

(3) وليم أوسلر (1849 - 1919) : طبيب كندي ؛ درّس في العديد من الجامعات الكندية و الأوربية ، تحصّل على لقب " سير " سنة 1911 تتضمّن مُشاهداته الطّبية العديدة ما يختصّ بصفيحات الدّم ؛ و كلّ ما يتعلّق بكريات الدّم الحمراء و البيضاء ، من أشهر مؤلّفاته (مبادئ ممارسة الطبّ الباطني) ، (موجز في تاريخ الطبّ) . محمد شفيق غربال : المرجع السابق ، ص. 264 .

(4) الدقّاع : زوّاد الطبّ ... ، ص. 306 .

(5) محمد بن عبد الرحمن مرحبا : المرجع السابق ، ص. 297 .

أما كتاب (كامل الصناعة الطَّبَّية) أو (الكتاب الملكي) لِعَلِيِّ بن العَبَّاس الأَهْوَازِي ؛ فلا تقلَّ أهميَّته عن باقي الكتب السابق ذكرها ، إذ حظِّي بتقدير مؤرِّحي الطبِّ ؛ من حيث عرضِه الواضح ، و نقدِه و تقدِيرِه الصَّائب لِمَن سَبَقَه من الأطبَّاء و الحكَّماء ، و مُوازَنَتِه بين الطبِّ العملي و النَّظري ، و شرحِه المفصَّل لمختلف الأمراض و العلل ، و وظائف الأعضاء .

و كما أشرنا إليه سابقاً ؛ حين تعريفنا لهذا الطبيب ، فإنَّ هذا الكتاب كان موسوعةً طَبَّيةً شاملةً آنذاك و واحد من المؤلفات الشهيرة و المهمة في الطبِّ الإسلامي في القرن الرابع الهجري⁽¹⁾ ، و تفوَّق على جميع الكتب المعروفة يومذاك ، إذ فضَّله طَلَّاب العلوم الطَّبَّية على كتاب (المنصوري) للرازي ، و (فردوس الحكمة) لابن ربن الطبري ، و بقي كذلك حتَّى ظهور كتاب (القانون في الطبِّ) لابن سينا فتحولوا إليه ؛ و قد أشرنا إلى ما قاله القفطي في هذا الصدد ؛ حين قال : " ... و صنَّف للملك عضد الدولة " فخناسرو بن بويه " كَنَاشَه المسمَّى بالملكي ، و هو كتاب جليل في كَنَاشِ نبيِل ، اِشتمل على علم الطبِّ و عمله ، حسن الترتيب ، مال النَّاس إليه في وقته ، و لزموا دراسته إلى أن ظهر كتاب القانون في الطبِّ لابن سينا ، فمالوا إليه ، و تركوا الملكي بعض التَّرك ... " (2) .

و على غرار كتب (فردوس الحكمة) و (الحاوي في الطبِّ) و (القانون) و (المنصوري) و غيرها ؛ فقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللاتينية ، و لقيَ إقبالاً كبيراً من أطبَّاء الغرب المسيحي ، و لكنَّ طريقة إنتقال كتاب (الكتاب الملكي) إلى بلاد الغرب المسيحي ؛ تختلف عن نظيراتها في الكتب السَّابِق ذكرها ؛ ذلك أنَّها كانت غريبةً إذ تعرَّض ابن العَبَّاس الأَهْوَازِي إلى السرقة العلمية من طرف مُترجمي كِتَابِه إلى اللاتينية ؛ و على رأسهم " قسطنطين الإفريقي " الذي قام بِترجمة الكتاب ضمن مجموعة من الكتب العربية في القرن الحادي عشر ، و نَسَبَهُ

(1) الدقاع : رَوَاد علم الطبِّ ... ، ص. 247 .

(2) تاريخ الحكَّماء ، ص. 332 .

إليه ، ثمّ ظهر الكتاب أيضاً في مجموعة ترجمات الكتب العربية لـ " إسحاق بن سليمان الإسرائيلي " ، و ظلّت قضية نسب هذا الكتاب و عدد آخر من الكتب المترجمة يُحيطها الغموض ، و هكذا أصبح الكتاب مُتداولاً بين الناس على أنّه من تأليف شخصين مُختلفين ؛ إلى أن تمكّن " إسطفان الأنطاكي " من إنصاف الرّجل ⁽¹⁾ ؛ حين اكتشف بعد ترجمته للكتاب أنّه من تأليف " الأهوازي " و ليس " قسطنطين الإفريقي " .

إنّ هؤلاء الحكماء الذين ورد ذكرهم في هذا العمل ؛ هم عيّنة بسيطة من الأطباء الذين عرفهم العالم الإسلامي ؛ من مشرقه إلى مغربه ؛ عرّبهم و أعجمهم ؛ من المسلمين و أهل الذمّة ؛ و سأحاول بحول الله مستقبلاً التطرّق إلى عظماء الطبّ الإسلامي الذين لم يرد ذكرهم في هذا العمل ؛ أمثال : أبو جعفر الغافقي

(ت. 561 هـ) ، ابن رشد (ت. 595 هـ) ، ابن البيطار المالقي الأندلسي (ت. 646 هـ) أحمد بن مفرج الأموي ؛ المعروف بابن الرّومية (ت. 637 هـ) ، ابن ميمون ، أبو القاسم الزهراوي ، ابن التلميذ ، ابن النفيس و غيرهم .

(1) . Gustave Le Bon : **op. cit** , p 447 .

الخاتمة

حاولتُ خلال هذا البحث ؛ أن أستعرضَ أهمَّ إسهامات الأطباء الموالي في الفترة العباسية ؛ و كما أشرتُ إليه سابقاً ؛ فإنِّي قد إقتصرت على بعض الإختصاصات الطبيّة التي أبدع فيها الموالي ؛ كالجراحة ، طبّ العيون الطبّ النَّفسي ، طبّ النَّساء و الولادة ، طبّ الحيوان ، الصيدلة ؛ تاركاً المجال لغيري ؛ لمن أراد التوسّع فيها ، أو التطرّق إلى إختصاصات أخرى لم يرد ذكرها في هذا العمل ، و نفس الشّيء يُقال عن أشهر الأطباء من الموالي ؛ إذ تناولتُ في هذا البحث اثني عشر طبيباً من الموالي ؛ الذين عاشوا في بلاد المشرق الإسلامي ؛ تاركاً المجال لمن أراد التطرّق إلى غيرهم من الأطباء ؛ الذين ظهروا في مناطق مختلفّة من العالم الإسلامي كِمصر ، و بلاد الشام و بلاد المغرب الإسلامي ، و الأندلس .

و قد توصلتُ من خلال هذا العمل إلى النتائج التّالية :

- 1- لم يكن الأطباء الموالي نقلةً لثُراث الأمم السابقة في ميدان الطبّ ، و لم يكتبوا بترجمة و إقتباس مؤلّفات الأقدمين فحسب ؛ و إنّما تناولوا ما تناقلوه بالتّقّد و التحليل ، و عكفوا على إثرائه بالشرح و الملاحظة و الإضافة ؛ فكانت آراؤهم إمّا ترجيحٌ للتّظريّات و الأفكار السابقة ، أو إعتراضٌ عليها ؛ ممّا مكّنهم من إبتكار معارف جديدة في مختلف الإختصاصات الطبيّة ، و تأسيس منهجٍ علميٍّ قائم على الملاحظة و التجربة و الإستقصاء و بالتّالي ؛ أعطوا لعلم الطبّ دفْعاً جديداً ؛ من خلال إخراجِه من الجانب النظري إلى الجانب التجريبي التطبيقي .
- 2- لقد كانت تلك العناصر الأعجمية التي أقبلت على ميدان الطبّ ؛ أقدّر على التدوين و التّأليف ؛ بسبب ميراثهم الحضاري . و كما أشرنا سابقاً ، فإنّهم لما تعلّموا العربية ؛ كان تأليفهم بها سهلاً ميسوراً ؛ فأتقنوا هذه اللّغة و أبدعوا في التّأليف بها ، بل إنّهم تمكّنوا من التفوّق على بعض العرب في الفصاحة و البلاغة ؛ و هو ما تجلّى في مؤلّفاتهم الكثيرة .
- 3- لقد تمكّن الأطباء الموالي من الجمع بين علم الطبّ و علومٍ أخرى ؛ كالأدب ، و الفلسفة ، و الشعر و الفلك ، و الكيمياء... إلخ ؛ فكان كلّ طبيبٍ يُمثّل موسوعةً علميةً في حدّ ذاته .

- 4 - كان لهؤلاء الأطباء الموالي فضلُ السَّبْقِ في إكتِشاف بعض الأمراض و العلل التي تُصيب الجسد ، و تشخيصها و وصف العلاج لها ؛ و هو ما خلَّصَ البشرية من أمراضٍ كانت مُستعصيةً آنذاك ؛ كالجُدري و الحصبة و الطاعون ... إلخ ، أمّا الأمراض التي عجزوا على شِفائها ؛ فقد أعطوا وصفاً دقيقاً لها ؛ مهَّد الطريق لمن جاء من بعدهم من أطباء العالم الإسلامي و الغرب المسيحي ؛ من الوصول إلى العلاج المناسب لها ؛ بل إنَّ بعضها لا يزال الطب الحديث عاجزاً على شِفائها ؛ على غرار مرض السرطان .
- 5 - تمكَّن الأطباء الموالي من وضع معارف طبيَّةٍ جديدةٍ ، و إنتهاج طرقٍ و أساليب علاجٍ نادرةٍ ؛ أعطت دفعاً جديداً لهذا العلم ، و أثَّرت بشكلٍ واضحٍ على الغرب المسيحي ، و لا يزال بعضها مُتَّبَعاً عند الأطباء في الوقت الحالي .
- 6 - لقد أعطى هؤلاء الأطباء نموذجاً رائعاً للقيَم الإنسانية ؛ في تعاملهم مع مرضاهم ؛ من خلال تواضعهم مع النَّاس ، و رقة الكلام معهم ، و الرِّحمة و العطف على الفقراء ، و الإبتعاد عن اللُّهو و شرب الخمر و الفجور و صفاء النِّيَّة في النَّظر إلى النَّساء ، و عدم وصف الأدوية القاتلة ، أو المساعدة على إسقاط الأجنَّة ، و كثرة المداولة لِأُمور المرضى ، و ملازمة البيمارستانات ، كي يسهَّل الإِتِّصال به في حالة الضرورة ، إضافةً إلى الفرق الكبير بينهم و بين أطباء الغرب المسيحي ؛ في تعاملهم مع المصابين بالأمراض العقلية ، فقد كانت نظرُهُم لهم نظرةً إنسانيةً ساميةً ، فلم يعتبروهم مجرِّمين أو مُذنبين ، و إنّما نظروا إليهم كمرضى يحتاجون إلى العلاج ، و دعوا إلى حُسن مُعاملتهم ، و اللُّطف معهم ، و تحسين تغذيتهم و نومهم و شرايهم ، و تمثُّعهم بالرَّاحة و الهواء الطَّلَق و سماع الموسيقى و الطرب ، كما كان يُعالجونهم مجاناً ، و يتصدَّقون عليهم من مالهم الخاص .
- 7 - لقد كانت المؤلَّفات الطبيَّة التي تركها الأطباء الموالي على غرار كتب : فردوس الحكمة ، الحاوي في الطبِّ القانون في الطبِّ ، المنصوري ، كامل الصناعة الطبيَّة ، و غيرها من الكتب ؛ بمثابة موسوعات طبيَّةٍ شاملة ، إستفاد

منها كثيراً طلبة العلوم الطبيّة و الصّيدلانية في البلاد الإسلاميّة ، و تأثّر بها أطباء الغرب المسيحي ؛ الذين عكفوا على ترجمتها ، و الإستفادة من المعارف الطبيّة النادرة التي تحتويها .

إنّ كلّ ما قيل في هذا البحث ؛ عن دور الموالي في التقدّم الحضاري الذي شهدهته الدولة الإسلاميّة في العصر العباسي ؛ ما هو إلا محاولة متواضعة من بين محاولاتٍ سابقةٍ حاولت الخوض في هذا الموضوع ، و مهما قيل عن هؤلاء العظماء ؛ إلا أنّنا لا نستطيع أن نُصِفَهُم ، أو أن نُعْطِيَهُم حَقَّهُم ، أو أن نُكَلِّمَهُم بِكَلِّ ما قدّموه للأُمَّة الإسلاميّة من خدماتٍ جليّةٍ ، و إنجازاتٍ علميّةٍ خالدةٍ ؛ كان لها الأثر الكبير في إنجاز أعظم حضارة عرفتتها العصور الوسطى .

الملاحق

الملحق 1 : وصف ابن ربن الطبري لعَلَلِ العين

" ... إنّ المرض إمّا أن يُصيب نفسه ، و إمّا قُوَّتَه ، و إمّا الأشياء التي تخدمه ، فالذي يُصيب البصر نفسه أربع عِلَلٍ ؛ إمّا يتّسع مجرى النور أو يزول كلّه عن موضِعِه ، أو يميل شيئاً ، فإن مالت الرطوبة الجانبية . و هي الحدقة . إلى فوق أو أسفل رأى الشخص شخصين ، و إن مالت إلى شيءٍ منه ؛ أعني إلى جانبٍ منه لم يضر ذلك بالبصر وإن اتّسع مجاري النور من الجبلّة في الرّحم ، أو من تمدّد ، أو من علّةٍ أخرى ؛ تبدّد لذلك النور و ضَعُف ، و أن ضاق مجرى النور ، و كان ذلك من الجبلّة فإنّه محمود ؛ لأنّه يجمع الرّوح النوري كما وصفنا آنفاً ... و إن ضيئها من قبل نقصان الرطوبة البيضية أضرّ ذلك بالجليدية ، و من عِلَلِ الرطوبة البيضية أمّا إذا كثرت حالت بين الحدقة التي هي الجليدية و بين البصر ، و إن قلت البيضية جفت الجليدية ؛ لأنّ الجليدية إمّا تغتذي منها ، و إن غلظت البيضية غلظاً قليلاً ؛ لم يرى الناظر الشيء البعيد منه رأساً ، و رأى ما قُرب منه رُؤيةً ضعيفةً ؛ لأنّه إذا مدّ بصره إلى البُعد لظفت تلك المادة و تفرقت ، و لذلك صار من نظر من فوق جبلٍ لا يقدر أن يرى من رفع بصره إلى السماء لأنّ الرطوبات الغليظة تتراجع إلى خلف ، و إن كانت المادة الغليظة في البيضية كلّها ذهب البصر ، و يُسمى ذلك نزول الماء ، و إن كانت تلك المادة في وسطها فقط ؛ رأى كلّ شيءٍ يراه كُوةً ، لأنّه يُحِيلُ إليه أنّ ما لا يُدركه بصره من ذلك الشيء عميق ، و إن لم تكن تلك المادة إلّا حوالي البيضية لم ير شيئاً كثيراً في دفعةٍ واحدةٍ ، و احتاج إلى أن ينظر إلى كلّ شيءٍ على حدّته ، و إن كانت تلك شيئاً كثيراً في دفعةٍ واحدةٍ ، و احتاج إلى أن ينظر إلى كلّ شيءٍ على حدّته ، و إن كانت تلك المادة متفرقة فيها رأى بين يديه أشياء على لون تلك المادة ... " (1) .

(1) الطبري ، علي ابن ربن : فردوس الحكمة ، ص. 161

الملحق 2 : العلل التي تُصيب الرَّحِم (أسبابها و علاماتها)

" ... أمّا العلل العارضة في الرحم ؛ فهي النزف ، و احتباس الطمث ، و العلة المعروفة بإختناق الرحم ، و النفخ و الرياح العارضة له ، و الأورام ، و العسلة المعروفة بالرجاء ، و العلة المعروفة بالقبّ ، و البواسر ، و الشقاق و سائر القروح ، و إسترخاء الرَّحِم و خروجه خارج ، و ميله إلى جانبٍ ، و إنقلاب فَمِ الرَّحِمِ ، و بطلان الحمل و كثرة إسقاط الأجنّة ، و عسر الولادة ، و القروح الحادثة فيه . فأما احتباس الطمث فينبغي أن تعلم أولاً درور الطمث الطبيعي و إنقطاعه ، و ذلك أنّ الطّمث للمرأة يكون عند ثمان سنين ، و أكثر من ذلك في أربعة عشر سنة ، و أمّا إنقطاعه ؛ فقد ينقطع عند بعضهنّ في السنة السادسة و الثلاثين ، و في بعضهنّ فيما بعد ذلك إلى تمام الستين سنة ، و الخنثى من النساء لا تطمث ... و احتباس الطمث يكون إمّا بسبب علة في الرَّحِم ، و إمّا بسبب غلظ الدم ، و إمّا بسبب ضربة تقع بالرَّحِم ، و إمّا بسبب علة تكون في جميع البدن أو في عضوٍ واحدٍ ... و أمّا التّزف فهو كثرة خروج الدم من الرحم ، و حدوثه يكون إمّا من إفراط إستفراغ دم الطّمث ؛ و هذا يكون إمّا من ضعف القوّة الماسكة ، و إمّا من رقة الدم و لطافته و حدّته ، و إمّا من كثرة الدم ، و إمّتلاء العروق و تمدُّها و إمّا من إنخراق بعض العروق ؛ بسبب خلطٍ حادٍ و تآكلٍ ... " (1) .

(1) الأهوازي ، علي بن العباس المجوسي : كامل الصناعة الطّبيّة ، ص. 384 .

الملحق 3 : وصف السمرقندي لبعض الشيفات للأمراض التي تُصيب العين .

" ... و أمّا الشيف الحادّة تتخذ من مثل الزاج ، و الفلفل ، و الزنجبار ، و الدمنج ، و الشادنج ، و الزرنخ و النوشادر ، و زيد البحر ، و البورق ، و الاشقّ ، و الزنجرف ، و السكبينج ، و الغرفيون ، و شحم الحنظل و الدار فلفل ، و الزنجبيل ، و الملح الهندي ، و الشنج المحرّق ، و بعر الضبّ ، و قشور البيض ، و المرات ... و لا ينبغي أن تخلو الأدوية الحادّة من اللينة المسكنة للحدّة ؛ مثل التّشا و الصمغ ، و أسفيداج الرصاص بمقدار الحاجة ؛ إلى تسكين حدّتها ، و حفظ العين من حرارتها ... و يطول زمان استعمالها أولى إلى السلامة من تهيج العين و إيجاعها ... و أمّا الشيفات المتعملة في قروح العين فهي المتخذة من غير لدع ؛ لحاجة القروح إلى ذلك و لذكاء حاسة العين ، و لما كانت قروحها لا تنجو من ورم و شدّة وجع ؛ فتحتاج من ذلك إلى المسكّنات و المغريات . أمّا الأولى ؛ أعني التي تجلو و تُخفّف من غير لدع مثل : التوتيا ، الرصاص المحرّق ، الابار المحرّق ، الكحل ، الكندر المصقّى و غير المصقّى ، الأنزروت . و أمّا الأخرى ؛ أي المسكّنات المغريات فمثل : الماميثا الصمغ ، بزر الورد ، الزعفران ، الأفيون ... و على الطبيب التركيب بحسب حالات القروح و أوقاتها على التدرّج و الترتيب ، و الجمع بين الشيفات اللينة و الحادّة ... " (1) .

(1) النجيب السمرقندي ؛ نقلاً عن مارتن ليفي و نوري الخالدي : الكيمياء في أقراباذين السمرقندي ، مجلة الأبحاث ، ص. 41 .

الملحق 4 :

تدبير من خرج من جنينها الرجل قبل الرأس :

" ... يجب أن تتلطف ، و تردّ الرجل ، و تُقلّبه بلطفٍ حتّى يستوي قاعداً ، و تُشيل ساقيه قليلاً حتّى ينزل على رأسه . فإن لم يُمكن شئ من ذلك ، شدّ الجنين بعصابات ، و أخرج . فإن لم يُمكن إلا القطع فعَل ذلك على قياس ما قيل في الجنين الميّت ... " (1) .

تدبير من يخرج من جنينها على جنبه :

" ... هو قريب من ذلك ، و يُسوّى بالرفع إلى فوق ، و بالإجلاس و التّكس بالرّفق ... " (2) .

عسر الولادة و أسبابها :

" ... عسر الولادة إمّا أن يكون بسبب الحبل ، أو بسبب الجنين ، أو بسبب الرّحم ، أو بسبب المشيمة ، أو بسبب المجاورات و المشاركات ، و إمّا بسبب وقت الولادة ، و إمّا بسبب القابلة ، و إمّا بأسبابٍ بادية ... " (3) .
صفة دواء يمنع الإسقاط :

" ... يُؤخذ درونج ، و زرنباد ، و جند بيدستر ، و حلتيت ، و سكّ ، و مسك ، و عفص ، و طباشير ؛ من كلّ واحدٍ درهم ، زنجبيل عشرة دراهم ، الشربة كلّ يومٍ مثقال بماءٍ باردٍ ، و حقن مستخّن من قبيل هذه ... و ممّا ينفع فيه الصعتر ، و البابونج ، و الحلبة ، و الشبث ... " (4) .

(1) ابن سينا : القانون في الطبّ ، مج. 2 ، ص. 1660 .

(2) المصدر نفسه ، ص. 1660 .

(3) نفس المصدر ، ص. 1658 .

(4) نفس المصدر ، ص. 1650 .

الملحق 05 :

أسباب الإسقاط :

" ... أسباب الإسقاط ؛ إما بادية من سقطة ، أو ضربة ، أو رياضة مفرطة ، أو وثبة شديدة ؛ و خصوصاً إلى خلف ، فإنّها كثيراً ما تُنزل المنيّ العالق بحالِهِ ، أو شيئاً من الآلام النفسانية ؛ مثل غضبٍ شديدٍ ، أو خوفٍ ، أو حُزنٍ ، و من برد الأهوية ، و حرّها المفرطين ؛ و من هذا القبيل يُكره للحبالي مطاولة الحمام ... " (1) .

تدبير من تلد و في رحمها ورم :

" ... يُستعمل عليها القيروطيات ، و الأدهان ، و تعمل بها ما رُسم أن يعمل بالسّمان ؛ من هيئة الولادة و غيرها ... " (2) .

تدبير إخراج الجنين الميت :

" ... و أعلم أنّه إذا تعسّرت الولادة أربعة أيّام فقد مات الجنين ؛ فاشتغل بحياة الوالدة ، و لا تشتغل بحياة الجنين بل اجتهد في إخراجهِ ، و الإسقاط قد تفعله حركات ، و قد تفعله أدوية ... و الأدوية تفعل بأن يقتل الجنين و بأن تدرّ الحيض بقوة ، و قد تفعله بالإزلاق . و القاتلة للجنين هي المرّة ... و من الحركات الفصد ؛ و خصوصاً الرياضة ، و الوثبات الكثيرة ، و حمل الحمل الثقيل ، و التقيئة ، و التعطيس . و من التدبير الجيّد في ذلك أن يُدخل في فم الرّحم من الحبلى كاغد مفتول ، أو ريشة ، أو خشبة مبرية ؛ فإنّها تُسقط لا محالة ؛ و خصوصاً إذا لُطّخت بشييء من الأدوية المسقطة ؛ كالفطران ، و ماء شحم الحنظل ، و نحوه (3) .

(1) ابن سينا : القانون في الطب ، مج. 2 ، ص. 1647 ، 1648 .

(2) نفس المصدر ، مج. 2 ، ص. 1661 .

(3) نفس المصدر ، مج. 2 ، ص. 1660 ، 1661 .

الفهارس

فهرس الأعلام

الأعلام

. أ .

أبقراط 38 ، 48 ، 49 ، 65 ، 71 ، 134 .

إبن أبي الأشعث 52 ، 53 ، 54 ، 117 .

أبو سعيد بن أبي الخير 75 .

أرسطو 70 ، 71 ، 134 .

أسامة بن شريك 35 .

أفلاطون 71 .

إقليدس 71 .

الأشعري ، أبو موسى 10 .

الإسرائيلي ، إسحاق بن سليمان 139 .

الأنطاكي (إتيان) 61 ، 139 .

الأمير علاء الدين 72 ، 75 .

الأهوازي ، علي بن عباس 48 ، 59 ، 60 ، 61 ، 65 ، 88 ، 112 ، 133 ، 134 ، 138 ، 139

. ب .

بابك الخرمي 15 .

بختيشوع 40 .

بديع الزمان الهمداني 59 .

بشار بن برد 27 .

البلاذري 32 .

البلخي ، أحمد بن سهل 30 .

البوزجاني ، أبو الوفاء 30 .

ث .

ثابت بن قرة 134 .

ج .

إبن الجزار 127 .

الجاحظ 100 .

جالينوس 38 ، 48 ، 49 ، 50 ، 52 ، 53 ، 55 ، 59 ، 71 ، 134 .

الجبائي ، أبو منصور 72 .

جلال الدين القزويني 101 .

جنكيزخان 78

جيراردو الكريموني 135 ، 136 .

ح .

الحارث بن كلدة 36 ، 40 .

الحسن القمري 76 ، 77 .

الحسن بن سوار 62 ، 63 ، 126 .

حنين بن إسحاق 48 ، 88 ، 134 .

· خ ·

إبن خردذابة 31 .

الخازني 29 .

خالد بن برمك 13 .

الخرساني ، أبو مسلم 23 .

الخلال ، أبو سلمة 13 .

خوارزم شاه 63 .

· د ·

أبو الدرداء 34 .

الدميري أبو البقاء 101 .

دوفريس هوغو 111 .

· ر ·

الرازي ، أبو بكر 39 ، 40 ، 44 ، 47 ، 48 ، 49 ، 50 ، 51 ، 52 ، 60 ، 83 ، 85 ، 90 ، 92

94 ، 96 ، 97 ، 102 ، 107 ، 112 ، 114 ، 115 ، 118 ، 121 ، 122 ، 126

129 ، 132 ، 134 ، 135 .

الرازي ، فخر الدين 29 .

رفيدة 35 .

ركن الدين البويهي 64 .

. س .

إبن سينا 39 ، 48 ، 60 ، 70 ، 71 ، 72 ، 73 ، 74 ، 75 ، 76 ، 83 ، 85 ، 86 ، 87 ، 90
92 ، 93 ، 94 ، 98 ، 99 ، 103 ، 108 ، 109 ، 110 ، 111 ، 112 ، 115 ، 116
122 ، 123 ، 124 ، 125 ، 128 ، 130 ، 132 ، 134 ، 136 ، 137 .

السفّاح ، أبو العباس 13 .

سبكتكين 64 .

سعد بن أبي وقّاص 36 ، 40 .

سعد بن معاذ 35 .

سلجوق بن دقاق 19 .

السمرقندي ، النّجيب 77 ، 78 .

. ش .

شمس الدين البويهى 75 .

. ط .

طاهر بن الحسين 16 .

الطبري ، أبو جعفر 32 .

الطبري ، أحمد بن محمد 64 ، 65 ، 126 ، 127 .

الطبري ، علي بن ربن 46 ، 47 ، 60 ، 90 ، 100 ، 101 ، 102 ، 106 ، 128 ، 134 ، 138

الطوسي ، نصير الدّين 28 .

· ع ·

عبد الرحمن بن مندويه 66 .

عبد الله بن المقفع 26 .

عضد الدولة البويهى 44 ، 51 ، 52 ، 58 ، 59 ، 67 ، 68 ، 138 .

عمر الحيام 28 .

· غ ·

الغضنفر ، أبو تغلب 54 .

· ف ·

الفارابي 27 ، 70 .

فرج بن سالم 135 .

فرويد 125 .

إبن الفقيه 31 .

· ق ·

قسطنطين الإفريقي 61 ، 138 ، 139 .

· ك ·

الكوهي 30 .

· م ·

ماري مونتاغو 120 .

إبن مسعود 35 .

إبن مسكويه 56 ، 57 ، 58 ، 104 ، 105 ، 127 .

إبن مندويه 66 ، 67 ، 70 .

المأمون 24 ، 49 ، 101 ، 113 .

المتوكل 23 .

المعتصم 19 ، 47 ، 49 ، 113 .

معزّ الدولة 17 .

المنصور ، أبو جعفر 12 ، 13 ، 113 .

المنصور (أمير بخارى) 51 ، 119 .

المورياني ، أبو أيّوب 13 .

المهدي بن المنصور 12 .

منصور بن نوح السّاماني 74 ، 96 .

. ن .

إبن النّفيس 38 .

ناصر الدولة 53 ، 54 .

التّسوي ، أبو الحسن 28 .

. ه .

هارون الرّشيد 14 ، 23 ، 24 ، 49 .

هبة الله بن ملكا البغدادي 29 .

. و .

الوليد بن عبد الملك 43 .

وليم أوسلر 137 .

. ي .

يعقوب بن داوود 13 ، 27 .

يعقوب بن الليث الصفار 16 .

فهرس الأماكن

الأماكن

.أ.

. أدرنة 120 .

أرمينية 56

أصفهان 57 ، 66

. أفشنه 70 .

. الإسكندرية 37 .

. الأندلس 8 ، 24 ، 26 .

. الأهواز 20 ، 59 ، 64 .

. الصين 8 .

. العراق 22 ، 53 ، 54 .

. الموصل 24 ، 53 ، 56 .

. الهند 8 .

.ب.

. بُجاری 51 ، 70 ، 76 ، 78 .

. بغداد 17 ، 18 ، 20 ، 24 ، 44 ، 47 ، 49 ، 52 ، 62 ، 67 ، 76 ، 118 .

. بلاد الشام 22 .

. بلاد المغرب 46 .

بلاد فارس 20 ، 52 ، 53 ، 56 ، 57 ، 64 ، 66 ، 78 .

البلاد العثمانية 120 .

بلاد ما وراء النهر 19 .

· ج ·

جنديسابور 37 ، 59 .

· خ ·

خراسان 12 ، 14 ، 22 .

خوزستان 16 .

· ر ·

روما 135 .

· س ·

سامراء 19 ، 20 ، 47 .

سجستان 19 .

· ص ·

صنعاء 24 .

· ط ·

طبرستان 46 ، 64 .

· غ ·

غزنة 64 .

.ك .

.كرمان 22 .

.م .

.مكران 19 .

.ن .

.نياسابور 68 .

.ه .

.هراة 77 ، 78 .

.همدان 64 .

فهرس الطوائف و الأجناس و الدول القبائل

المحتوى

. أ .

الأتراك 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 .

الأمويين 43 .

أهل الذمة 23 ، 45 .

. ب .

البيزنطيين

البويهيين 17 ، 18 ، 59 ، 68 ، 80 .

. ح .

الحمدانيون 53 ، 54 .

. د .

الدولة العباسية 19 ، 20 ، 23 ، 58 .

الدولة السامانية 16 ، 71 ، 98 .

الدولة الخوارزمية 78 .

الدولة الصفارية 16 .

الدولة الطاهرية 16 .

. س .

السلاجقة 21 ، 22 .

·ع·

العبّاسيين 43 ، 80 .

العرب 62 ، 63 .

·غ·

الغرب المسيحي 50 ، 61 ، 74 ، 95 ، 118 ، 120 ، 125 ، 128 ، 129 ، 132 ، 133 ، 136

. 138

·ف·

الفرس 82 ، 128 ، 134 .

·م·

المسلمون 34 ، 37 ، 38 ، 40 ، 41 ، 43 ، 45 ، 62 ، 63 ، 82 ، 83 ، 88 ، 95 ، 100

. 102 ، 113 ، 114 ، 126 ، 127 ، 131 .

المغول 56 ، 78 .

الموالي 8 ، 9 ، 11 ، 45 ، 46 ، 94 ، 99 ، 100 ، 107 ، 112 ، 114 ، 115 ، 117 ، 118

. 127 ، 128 ، 130 ، 133 .

·ه·

الهنود 83 ، 114 .

·ي·

اليونانيين و الإغريق 67 ، 82 ، 83 ، 106 ، 114 ، 128 ، 134 .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدّمة	أ.
الفصل الأوّل : دور الموالي في الحضارة الإسلامية في العصر العبّاسي .	
أولاً . التأثير السياسي للموالي في العصر العبّاسي	09
1 . التعريف بالموالي	09
2 . تأثير العنصر الفارسي	11
3 . تأثير العنصر التركي	19
ثانياً . التأثير العلمي للموالي في العصر العبّاسي	23
الفصل الثاني : دور الطبّ في الحضارة الإسلامية في العصر العبّاسي	
أولاً : الطبّ في الحضارة الإسلامية	33
1 . الطبّ في عهد الرّسول صلّى الله عليه و سلّم	33
2 . تطوّر علم الطبّ في العصر العبّاسي	37
3 . المنهج الطبّي عند المسلمين	38
4 . مكانة الأطباء في العصر العبّاسي	41
5 . أجور الأطباء في العصر العبّاسي	42
6 . المستشفيات في العصر العبّاسي	43

- ثانياً. تراجم لأشهر الأطباء الموالى فى العصر العباسى 46.
1. على بن ربن الطبرى 46.
2. أبوبكر الرازى 48.
3. ابن أبى الأشعث 52.
4. أحمد بن على مسكويه 56.
5. على بن عباس الأهوازى 59.
6. الحسن بن سوار 62.
7. أحمد بن محمد الطبرى 64.
8. ابن مندويه الأصفهانى 66.
9. على بن هندو 68.
10. ابن سينا 70.
11. الحسن القمرى 76.
12. النّجيب السمرقندى 77.

الفصل الثالث : إسهامات الأطباء الموالى فى العصر العباسى

1. الجراحة 82.
2. طبّ العيون 89.
3. الطبّ النفسى 95.

100.....	4 . طبّ الحيوان
105.....	5 . طبّ النّساء و الولادة
113.....	6 . الصيدلة

الفصل الرّابع : أثر إسهامات الموالى الطّبيّة على الغرب المسيحي

118.....	1 . السّبق في إكتشاف الأمراض
127.....	2 . طرق العلاج
131.....	3 . الجانب الإنساني
133.....	4 . المؤلّفات
139.....	الخاتمة
140.....	الملاحق

الفهارس

145.....	فهرس الأعلام
152.....	فهرس الأماكن
155.....	فهرس الأجناس و القبائل و الدول
176.....	فهرس المحتويات
157.....	قائمة المصادر و المراجع

البيولوجيا الجزيئية

المصادر

القرآن الكريم .

إبن الأثير ، أبو الحسن علي الشيباني (ت. 630 هـ / 1232 م) :

1- **الكامل في التاريخ** ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1997 .

إبن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس الحزرجي (ت. 668 هـ / 1269 م) :

2- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، تحقيق : نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت (د س ط) .

الأهوازي ، علي بن عباس الجوسي (ت 384 هـ / 994 م) :

3- **الكامل في الصناعة الطبية** ؛ المعروف بـ : **الملكي** ، نقلاً عن موسوعة الطب الإسلامي ، معهد التاريخ

العربي الإسلامي ، فرانكفورت (ألمانيا) 1996 ، المجلد 28 .

البُخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت. 256 هـ / 869 م) :

4 - **الجامع الصحيح المختصر** ، تحقيق : مصطفى ديب البُغا ، دار الهدى ، عين أمليلة (الجزائر)

1992 .

البُستي ، أبو الحاتم محمد بن حَبَّان (ت 354 هـ) :

5- **تاريخ الصحابة** ، تحقيق : بوران الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1408 هـ / 1988 م .

البغدادي ؛ عبد القادر بن طاهر بن محمد :

6- **الفرق بين الفرق** ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا (لبنان) 1995 .

البكري ، أبو عبد الله الأندلسي (ت 487 هـ / 1094 م) :

7- **معجم ما أُسْتُعْجِم من أسماء البلدان و المواضع** تحقيق : جمال طُلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1418

هـ / 1988 م .

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (279 هـ / 892 م) :

8- فُتوح البلدان ، تحقيق : شوقي أبو خليل ، منشورات وزارة الثقافة السورية دمشق 1997 .

إبن بلبان ، علاء الدين الفارسي (ت. 739 هـ) :

9 - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط 2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت

1414 هـ / 1993 .

البنداري ، الفتح بن علي الأصفهاني (ت 643 هـ / 1245 م) :

10 - تاريخ دولة آل سلجوق ، ط 3 ، دار الآفاق الجديد ، بيروت 1980 .

البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت. 458 هـ) :

11 - شُعَبُ الإِيمَان ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت / 1410 هـ

1990 .

البيهقي ، ظهر الدين (ت. 565 هـ / 1169 م) :

12- تاريخ حُكَمَاء الإسلام ، تحقيق : محمد كرد علي ، مطبعة الترقّي ، دمشق 1365 هـ .

الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي (ت. 279 هـ / 892 م) :

13- الجامع الصحيح ، تحقيق : أحمد محمد شاكر و آخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د س ط) .

إبن جلجل ، سليمان بن حسان الأندلسي (عاش في القرن الرابع الهجري) :

14- طبقات الأطباء و الحكماء ، تحقيق : فؤاد سيّد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، القاهرة 1955

الجهشياري ، أبي عبد الله محمد بن عبدوس :

15- كتاب الوزراء و الكُتّاب ، تقديم : حسن الزين ، دار الفكر العربي بيروت 1988

- إبن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت. 597 هـ / 1201 م) :
- 16- المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ،** تحقيق : محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية ، بيروت 1992.
- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله الرّومي (ت. 1067 هـ / 1656 م) :
- 17- كشف الظنون في أسامي الكتب و الفنون ،** دار الكتب العلمية بيروت 1413 هـ / 1992 م .
- إبن الحشاء :
- 18- مفيد العلوم و مبيد الهموم ،** تحقيق : جورج س كولان ، ه ب ج رونو ، المطبعة الإقتصادية مصطفى بن عبد الله ، الرباط (المغرب) 1941 .
- الحموي ، شهاب الدين الرومي البغدادي (ت. 626 هـ / 1228 م) :
- 19- معجم الأدباء ،** المسمى : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 .
- 20 - معجم البلدان ،** ط 2 ، دار صادر ، بيروت 1995.
- إبن خلّكان ، أبي العباس شمس الدين بن محمد (ت. 681 هـ / 1282 م) :
- 21- وفيات الأعيان و أنباء أهل الزمان ،** تحقيق : إحسان عباس دار الثقافة ، بيروت 1968 .
- أبو داوود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت 275 هـ) :
- 22 - سنن أبي داوود ،** تعليق : عزّت عبيد الدّعاس ، دار إبن حزم ، بيروت 1418 هـ / 1997 م .
- داوود الأنطاكي (ت. 1008 هـ / 1599 م) :
- 23- تذكرة أولي الألباب و الجامع للعجب العُجاب ،** شرح و تعليق : علي شيري ، مؤسسة عزّ الدين للتّشّير بيروت 1411 هـ / 1991 م .

الذهبي ، الحافظ أحمد بن عثمان (ت. 748 هـ / 1347 م) :

24- الإعلام بوفيات الأعلام ، تحقيق : مصطفى بن علي عوض و ربيع أبو بكر عبد الباقي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت 1413 هـ / 1993 م .

الرازبي ، أبوبكر محمد بن زكريا (ت. 320 هـ / 932 م) :

25- أخلاق الطبيب ، تحقيق : عبد اللطيف محمد العبد ، المكتبة العصرية ، بيروت 1400 هـ / 1980 ط 2 ، ص. 33

26- الحاوي في الطبّ ، تحقيق : هيثم طعيمة ، دار إحياء التراث ، بيروت 2002 .

27- كتاب المرشد أو الفصول ، تحقيق : ألبيّر زكي اسكندر ، ط 2 ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة 1995 .

28 - كتاب المنصوري ، نقلاً عن موسوعة الطبّ الإسلامي ، معهد التاريخ العربي الإسلامي ، فرانكفورت (ألمانيا) 1996 ، المجلد 26 .

29- منافع الأغذية و دفع مضارّها ، دار صادر ، ط 1 ، المطبعة الخيرية 1305 هـ .

الرهاوي ، إسحاق بن علي (القرن الثالث الهجري / القرن التاسع الميلادي) :

30 - أدب الطبيب ، تحقيق : كمال السامرائي و داوود سليمان علي دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1992 ، ص. 141-144 .

السندي ، أبي الحسن الحنفي :

31- شرح سنن ابن ماجة القزويني ، دار الجيل ، بيروت (د س ط) .

إبن سينا ، أبو علي الحسين بن عبد الله :

32- القانون في الطب ، تقديم : علي زيغور ، تحقيق : إدوار القشّ ، مؤسسة عزّ الدين للطباعة و النشر
بيروت 1993 .

33- الأدوية المفردة ، من كتاب : **القانون في الطب** ، شرح : جبران جبّور تعليق : أحمد شوكت الشطّي
ط 4 ، دار المعارف 1404 هـ / 1984 م .

السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت. 911 هـ / 1505 م) :

34- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، تحقيق : محمد محي الدّين عبد الحميد ، ط 4 ، المكتبة التجارية ، القاهرة
1969 .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت. 310 هـ / 922 م) :

35- تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، ط 3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1411 هـ /
1991 م .

الطبري ، علي بن رين (ت 232 هـ / 850 م) :

36- فردوس الحكمة ، تحقيق : محمد زبير الصديقي ، مطبع أقتاب ، برلين (ألمانيا) ، 1928 .

طيفور ، أحمد بن أبي طاهر (ت. 280 هـ / 893 م) :

37- كتاب المستوعب لفترة خلافة المأمون ، تحقيق : هنس كلّر ، دار الجِنان ، بيروت (د س ط) .

إبن عمراني ، محمد بن علي بن محمد :

38- الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : قاسم السامرائي ، دار الآفاق العربية القاهرة 1991 .

إبن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم :

39- المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط 4 ، دار المعارف ، القاهرة 1934

القرماني ، أحمد بن يوسف (ت. 1019 هـ) :

40- أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، تحقيق : أحمد حطيط و فهمي سعد ، عالم الكتب
1412 هـ / 1992 م .

القفطي ، أبو الحسن يوسف جمال الدين (ت. 646 هـ / 1248 م) :

41 - تاريخ الحكماء ، من كتاب : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، تحقيق : جوليوس ليبارت ، لايبزيغ
(ألمانيا) 1903 .

المزري ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت. 742 هـ) :

42 - تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : بشار عوَّاد معروف ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت
1408 هـ / 1988 م .

المسعودي ، علي بن الحسين (ت. 346 هـ / 957 م) :

43- مروج الذهب و معادن الجواهر ، تعليق : قاسم وهب ، دمشق 1988 .

مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد (ت. 421 هـ / 1030 م) :

44- تجارب الأمم ، طبعة أمدرود ، القاهرة 1919 .

مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين النيسابوري (ت 284 هـ / 897 م) :

45- صحيح مسلم ؛ بشرح النووي ، إشراف : حسن عبَّاس قطب ، ط 1 ، دار عالم الكتب ، الرياض
(المملكة العربية السعودية) 1424 هـ / 2003 م .

المقريزي ، أحمد بن علي (ت. 845 هـ / 1441 م) :

46- السلوك لمعرفة الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ط 2 ، مطبعة لجنة التأليف و النشر ، القاهرة
1956 .

إبن منظور (ت 711 هـ / 1311 م) :

47 - لسان العرب ، تعليق : محمد شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 1988 .

إبن النّسّم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب (ت. 385 هـ / 995 م) :

48- الفهرست ، تحقيق : رضا المازندراني ، ط 3 ، دار المسيرة ، طهران (إيران) 1988 .

إبن هشام ، أبي محمد بن عبد الملك :

49- السيرة النبوية ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1419 هـ / 1998 م .

إبن وردان ، حسين بن محمد (ت. 1172 هـ)

50 - تاريخ العباسيين ، أو : دولة الرشيد من بني العباس و بنييه تحقيق : منجي الكعبي ، دار الغرب الإسلامي

بيروت 1993 .

قائمة المراجع :

أ. المراجع العربية :

إبراهيم بن مراد :

1 - بحوث في تاريخ الطبّ و الصيدلة عند العرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1991 .

أحمد الشايب :

2 - تاريخ الشعر السياسي ، ط 5 ، دار القلم ، بيروت 1987 .

أحمد أمين :

3 - ضحى الإسلام ، ط 10 ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1343 هـ / 1935 م .

أحمد جبار :

4 - علماء الحضارة العربية الإسلامية و مساهماتهم ، ط 1 ، كليك للنشر ، الجزائر 2011 .

أحمد لطفي جمعة :

5 - تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق و المغرب ، المكتبة العلمية ، بيروت 1435 هـ .

أحمد موراني :

6 - تاريخ العلوم عند العرب ، دار المشرق ، بيروت 1989 .

آدم متز :

7 - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تعريب : محمد عبد الهادي أبو ريده ، ط 4 ، دار الكتاب

العربي بيروت 1387 هـ / 1967 م .

بديوي ، يوسف علي :

8 - عصر الدويلات الإسلامية في المغرب و المشرق ، دار الأصاله ، الجزائر 1431 هـ / 2010 م .

بك ، أحمد عيسى :

9- البيمارستانات في الإسلام ، دار الرائد العربي 1401 هـ / 1981 م .

الترمانيني ، عبد السلام :

11 - أحداث التاريخ الإسلامي ، دار طلاس ، دمشق 1411 هـ / 1991 م .

بول غليونجي :

10- قطوف من تاريخ الطبّ ، دار المعارف ، القاهرة 1987 .

توماس أربولوند و آخرون :

12- تراث الإسلام ، ترجمة : جورجيس فتح الله ، ط 2 ، دار الطليعة ، بيروت 1972 .

جلال محمد عبد الحميد موسى :

13 - منهج البحث العلمي عند العرب ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت 1988 .

جميل صليبا :

14 - تاريخ الفلسفة العربية ، ط 3 ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت 1415 هـ / 1995 م .

جودت فرج :

15- البرامكة ، سلبياتهم و إيجابياتهم ، دار الفكر العربي ، بيروت 1990 .

حربي عبّاس عطيتو محمود ، و حسان حلاق :

16- العلوم عند العرب ، أصولها و ملامحها الحضارية ، دار النهضة العربية ، بيروت 1995 .

حسّان حلاق :

17- مقدّمة في تاريخ العلوم و التكنولوجيا ، الدار الجامعية 1990 .

حسين إبراهيم حسن :

18- تاريخ الإسلام ، ط 13 ، دار الجيل ، 1991 .

حنان قرقوني :

19 - من العلوم عند المسلمين ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت

1427 هـ / 2006 م .

حنيفة الخطيب :

20- الطبّ عند العرب ، الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت 1988 . الدفاع ، علي بن عبد الله :

21- إسهام علماء العرب و المسلمين في علم الحيوان ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1986 .

22 - رواد علم الطبّ في الحضارة العربية الإسلامية ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1419 هـ /

1998 م .

23- روائع الحضارة الإسلامية في العلوم ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1998 .

الدمرداش ، أحمد سعيد :

24- تاريخ العلوم عند العرب ، دار المعارف ، القاهرة 1977 .

راغب السرجاني :

25 - قصّة العلوم الطّبية في الحضارة الإسلامية ، مؤسسة إقرأ ، القاهرة 2009 .

الزبيدي ، محمد حسين :

26- العراق في العصر البويهي ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1969 .

الزركلي ، خير الدين :

27- كتاب الأعلام ، قاموس و تراجم الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ط 15 ، دار

العلم للملايين ، بيروت 2002 .

زهير حمدان :

28 - أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية و التطبيقية ، مكتبة الأسد ، دمشق 1995 .

زيجريد هونكه :

29 - شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون و كمال الدسوقي ، ط 2 ، منشورات المكتب

التجاري للطباعة و النشر ، بيروت 1969 .

الشطّي ، أحمد شوكت :

30- الحضارة العربية الإسلامية ، مطبعة جامعة دمشق ، 1383 هـ / 1993 م .

31- تاريخ الطب ، أعلامه و آدائه ، مطبعة طربين 1967 .

عامر التّجار :

32- في تاريخ الطبّ في الدولة الإسلامية ، ط 3 ، دار المعارف ، القاهرة 1969 .

عبد الحلّيم منتصر :

33- تاريخ العلم و دور العلماء في تقدّمه ، ط 3 ، دار المعارف ، الإسكندرية 1969 .

عبد العزيز سالم :

34- تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية ، بيروت 1971 .

- 35 - دراسات في تاريخ العرب . العصر العباسي الأول . مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية (مصر)
1993 .
العقيقي ، نجيب :
- 36- المستشرقون ، ط 4 ، دار المعارف ، القاهرة 1965 .
علي شلق :
- 37- العقل العلمي في الإسلام ، منشورات جرّوش برس ، طرابلس (لبنان) 1413 هـ / 1992 م .
العيدروس محمد حسن :
- 38- تطوّر الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و الفكرية في العصر العباسي ، دار الكتاب الحديث
القاهرة 1432 هـ / 2011 م .
العيّسوي ، عبد الرحمن محمد :
- 39- علم النفس الإكلينيكي ، الدار الجامعية ، بيروت 1992 .
- 40- علم النفس الطّبي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية (د س ط) .
قدري حافظ طوقان :
- 41- العلم مع الحياة ، ط2 ، مكتبة المعارف ، بيروت 1407 هـ / 1987 م .
قنواقي :
- 42- تاريخ الصيدلة و العقاقير في العهد القديم و العصر الوسيط ، القاهرة 1954 .
اللّهبي ، مؤيّد عيدان كاطع :
- 43- الإتجاهات الفكرية و السياسية في العصر العباسي ، دار مُحاكاة للدراسات ، دمشق (سوريا) 2012 .

محمد سعيد العشماوي :

44 - الخلافة الإسلامية ، ط 2 ، دار سينا للنشر ، القاهرة 1992 .

محمد عابد الجابري :

45- الكليات في الطبّ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1991 .

محمد بن عبد الرحمن مرجبا :

46- المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، دار الجليل ، بيروت 1998 .

محمد حسن عرقسوسي :

47 - ابن سينا و النفس البشرية ، ط 2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1986 .

محمود الحاج قاسم :

48 - الطبّ عند العرب و المسلمين . تاريخ و مساهمات . ط 1 ، الدار السعودية للنشر 1987 .

هاشم يحي الملاح و آخرون :

49- حضارة العراق ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1984 .

هاني سعادة نادية :

50- حفريات طبّ الرّازي ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران 2005 .

يوسف فرحات :

51- علماء العرب ، الشركة المشرقية للمطبوعات ، (د م ط) 1986 .

ب . الموسوعات و المعاجم

1 . إبراهيم القرشي و آخرون :

الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع ، الرياض (المملكة العربية السعودية)
1416 هـ / 1996 م .

2 . أحمد راتب عرموش :

موسوعة الأديان ، ط 4 ، دار التفائس ، بيروت 1428 هـ / 2007 م .

3 . آمنة بوحجر :

موسوعة المدن الإسلامية ، ط 2 ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، عمّان (الأردن) 2010 .

4 . التونجي محمد :

مشاهير العالم . الموسوعة الثقافية العامة . دار الجليل ، بيروت (د س ط) .

5 . البعلبكي منير :

معجم أعلام المورد ، دار العلم للملايين ، بيروت 1413 هـ / 1992 م .

6 . الخطيب ، مصطفى عبد الكريم :

معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1416 هـ / 1997 م .

7 . السمّك ، محمد هشام :

موسوعة العلوم الحيوية ، دار المعرفة ، دمشق ، 1413 هـ / 1992 م .

8 . سيفمند ستيف لمر :

الموسوعة الطبيّة الكاملة للأسرة ، ترجمة : أنس الرفاعي ، دار الفكر العربي ، دمشق 1408 هـ / 1987 م .

9. شاعر مصطفى :
موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها ، دار العلم للملايين ، بيروت 1993 .
10. قنسنك و آخرون :
دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة : محمد ثابت الفندي و آخرون ، القاهرة 1352 هـ / 1933 م .
11. عبد المنعم مصطفى :
الموسوعة الطبية العائلية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت 1408 هـ / 1987 م .
12. علي بن هادية و آخرون :
القاموس الجديد للطلاب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1411 هـ / 1991 .
13. عبد الرحيم مارديني :
موسوعة كنز المعلومات ، دار البدر ، المحمدية ، (الجزائر) د س ط .
14. كمال محمد الدسوقي و آخرون :
الموسوعة العربية الميسرة ، ط 2 ، دار الجيل ، بيروت 2001 .
15. محمد أمين فرشوخ :
موسوعة عباقرة الإسلام في العلم و الأدب و الفكر و القيادة ، دار الفكر العربي ، دمشق (سوريا)
- 1413 هـ / 1992 م .
16. هشام نشابة و آخرون :
موسوعة أعلام العلماء و الأدباء العرب و المسلمين ، دار الجيل ، بيروت ، 1425 هـ / 2004 م .

17. وديع جبر :

معجم النباتات الطيبة ، دار الجيل ، بيروت 1408 هـ / 1987 م .

18. يُسرى عبد الغنيّ عبد الله :

معجم المؤرّخين المسلمين ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1411 هـ / 1991 م .

19. هولوزامبارو :

معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة : سيّدة إسماعيل و آخرون دار الزائد العربي

بيروت 1400 هـ / 1980 م .

ج. الجرائد و المجلات

1. إحسان صدقي العمدة :

الطبّ التّفسي عند العرب و المسلمين ، مجلة العربي ، العدد 333 ، أوت 1987 .

2. عبد الحق حميش :

حفظ الصّحة في الإسلام ، جريدة الخبر (الجزائر) ، العدد 7396 ، الإثنين 07 جمادى الثانية

1435 هـ / 07 أفريل 2014 م .

3. عبد العزيز عبد الله :

تعليم الطبّ بالمغرب و العالم الإسلامي ، مجلة الأكاديمية ، العدد 5 ، ربيع الثاني 1409 هـ /

ديسمبر 1988 م .

4. عبد العزيز خضر عبّاس :

الطبّ العبّاسي ، مجلة آفاق التراث و الثقافة ، مركز جمعة ماجد للثقافة و التراث ، دبي (الإمارات

العربية المتّحدة) ، العدد 34 ، 1422 هـ / 2001 م .

5. محمد ياسر زكور :

رسالة أبي بكر الرّازي في الزّكام التحسيسية ، مجلة آفاق التراث و الثقافة ، العددان 22 ، 23 ،

1419 هـ / 1998 م .

6 . نشأت الحمارنة :

فضل دمشق في تطوّر الطبّ بين العصرين النوري و المملوكي ، **مجلة التراث العربي** العدد 55 ،
دمشق (سوريا) ذي القعدة 1414 هـ / 1994 م .

7 . مارتن ليفي و نوري الخالدي :

الكيمياء في أقراباذين السمرقندي ، **مجلة الأبحاث** ، الدار الشرقية للطباعة و النشر ، بيروت
السنة 17 ، الجزء 1 ، آذار 1964 .

د - المراجع الأجنبية :

- 1 - André Miquel : **l'islam est sa civilisation** , Armand _ Colin , Paris, 2003 .
- 2 - Dominique Sourdel : **Histoire Des Arabes** , çinquième edition , presses unversitaire de France , paris 1976
- 3 - Fuad Sezin : **Islamic Medicine** , Institute for history of Arabic islamic , science at johann wolfgang goethe university , Frankfurt Germany 1996
- 4 - Gustave Le Bon : **La civilization des arabes** , Casbah - édition , Alger 2009.
- 5 - Pierre Vallas : **Dictionnaire de civilisation musulmane** , Larousse Paris 2001 .
- 6 - Rosdi Rashed : **Histoire des sciences arabes** , édition du Seuil , Paris 1997 .
- 7 - H . A .R GIBB : **The Encyclopedia Of Islam** forth impression , vol 2 LEIDEN , E . J . BRILL , 1986 .
- 8 - Madleine Michaux : **Histoire du Moyen Age** , Edition Eprolles , Paris 2007

